

الإمام الشهيد

حسن البنا

بين الشعاع السوداء

وعطاء الرسائل

مُقْدِمة

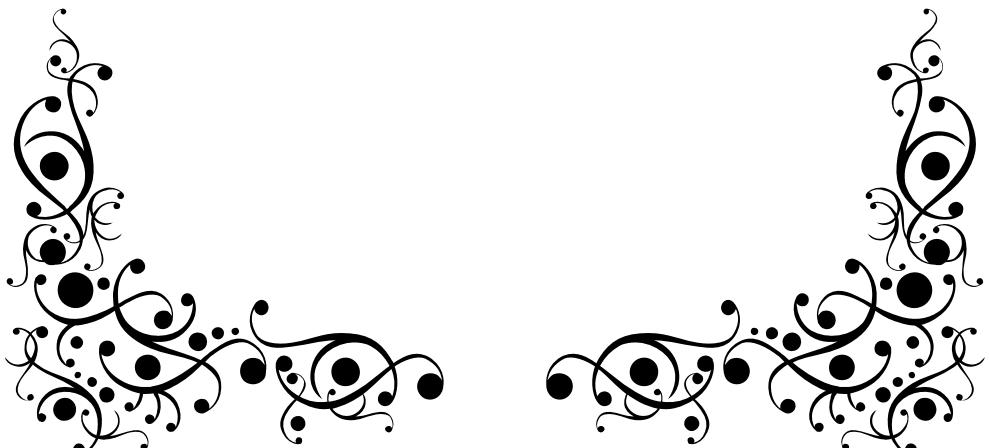
الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على رسولنا الأمين، وعلى آله وصحبه ومن
والآله إلى يوم الدين.
أما بعد.

فهذا هو الجزء الثاني من كتب أربعة في مجلد باسم "في رحاب الإخوان والدعوة".
وهذا الكتاب يضم ما وجه إلى الإمام الشهيد من أكاذيب وافتراطات، صدرت في
عشرات من الكتب الخاصة والرسمية، وكلها . بحمد الله . لا أساس لها من الصحة.
ثم جاء تعاملي بعد ذلك مع العطاء الفكري والعقدي المتمثل في رسائل الإمام الشهيد.
وهو . بحمد الله . عطاء غني يهدف إلى مضامين فكرية وإسلامية وسياسية وتربوية ،
ومنها رسائل خاصة على مستوى الأسرة، وبذلك يكون هذا العطاء متسماً بالشمولية
والنظر الثاقب، والحرص على نفع الإسلام والمسلمين. والحمد لله رب العالمين.

â â â



الفصل الأول
حسن البناء في ذاكرة التاريخ



سنوات الطفولة والصبا

ولد حسن البنا صحي يوم الأحد ٢٥ من شعبان ١٣٢٤هـ (١٤ من أكتوبر ١٩٠٦م) في مدينة محمودية بمحافظة البحيرة، وكان هو باكورة الأبناء من أبيه الشيخ أحمد عبد الرحمن الذي عاش يهوى العلوم الشرعية، أما عمله فكان إماماً ومأذوناً بال محمودية، كما كان يملك دكاناً يزاول فيه هوايته في تصليح الساعات، وزيادة على ذلك احترف تجليد الكتب، و Ashtonغل بعلوم السنة، وقدم في هذا المجال مصنفة الشهير «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني»، وقد انتهى منه في شهر شوال سنة ١٣٥٢هـ.

وتلقى الطفل حسن البنا دروسه الأولى بمدرسة الرشاد الدينية، ثم المدرسة الابتدائية بال محمودية، كما تعلم في صغره من والده صناعة الساعات، وقد أغرم بها، وأخذ يزاولها بعد الانصراف من المدرسة إلى أن تحل صلاة العشاء.

وظهرت تطلعاته وطوابعه الدينية والأخلاقية الإصلاحية في صغره، فكان عضواً، ثم رئيساً لجمعية سميت باسم «جمعية الأخلاق الأدبية»، وكان لها لائحة مكتوبة تتضمن فرض غرامات مالية محددة على من يخالف قواعد الأخلاق والأدب الاجتماعية^(١).

ثم اشتراك في جمعية أوسع دائرة من السابقة باسم «جمعية منع المحرمات» كانت مهمتها توجيه رسائل مكتوبة إلى من يرتكبون المعاصي والآثام، أو يقترون في الصلاة والفرائض تأمرهم بالمعروف، وتهاهم عن المنكر.

ثم تعرف على الطريقة الحصافية وهو في الثانية عشرة من عمره، وقرأ كتاب «المنهل الصافي في مناقب حسنين الحصافيين»، وهو الشيخ الأول للطريقة، وأعجبه من

(١) انظر التفصيل (١٧، ١٨) من كتاب الإمام الشهيد: مذكرات الدعوة والداعية. (دار الزهراء للإعلام العربي - القاهرة، ١٩٩٠م).

سيرة الشيخ حرصه على نشر دعوة الإسلام على القواعد السليمة، والغيرة العظيمة على محارم الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١)، وقادته هذه النزعة الصوفية في صورتها الروحانية العملية إلى أن يؤسس مع بعض إخوانه - وأهمهم صديقه الحميم أحمد السكري - جمعية «جمعية الحصافية الخيرية»، وقد وزعت جهادها على ميدانين:

الميدان الأول: نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ومقاومة المنكرات والمحرمات الفاشية كالخمر والقمار وبذع المأثم.

والميدان الثاني: مقاومة الإرسالية الإنجيلية التبشيرية التي هبطت البلد واستقرت فيه.

في القاهرة طالباً

وبعد أن أنهى حسن البنا دراسته بدار المعلمين بدمياط انتقل إلى القاهرة، والتحق بدار العلوم، وتخرج فيها سنة ١٩٢٧م، وكان ترتيبه الأول.

وأثناء سنوات الطلب في دار العلوم رأى في القاهرة من مظاهر الفساد والانحلال الكثير والكثير، واكتشف أن إلقاء الموعظ في المساجد لم يعد يكفي لمواجهة هذه التحديات اللا أخلاقية، فاتفق مع عدد من إخوانه في دار العلوم والأزهر على أن يتوجهوا بوعظهم إلى المقاقي، ونجحت التجربة نجاحاً باهراً، ويصور ذلك حسن البنا في مذكراته بقوله: «... كان شعور السامعين عجيباً، وكانوا ينصتون في إصغاء، ويستمعون في شوق، وكان أصحاب المقاقي ينظرون بغرابة أول القول، ثم يطلبون المزيد منه بعد ذلك، وكان هؤلاء يقسمون بعد الخطبة أننا لابد أن نشرب شيئاً، أو

(١) السابق، ٢٥.

نطلب طلبات، فكنا نعتذر لهم بضيق الوقت، وبأننا نذرنا هذا الوقت لله، فلا نريد أن نضيعه في شيء. وكان هذا المعنى يؤثر في نفوسهم كثيراً، ولا عجب فإن الله لم يرسلنبياً ولا رسولاً إلا كان شعاره «**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**» (الأنعام: ٩٠) لما لهذه الناحية العافية من أثر جميل في نفوس المدعويين..»^(١).

وبعد إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا بدأ تيار العلمانية والإلحادية والمرور من القيم يندفع، ويهدد كيان الوطن، وفي ذلك يقول الإمام الشهيد في مذكراته:

وبالإمام قوي وشعور فياض بدأ حسن البنا يتصل بذوي الحماسة الإسلامية والغيرة على الدين من العلماء والكتاب مثل: الشيخ يوسف الدجوي، ومحمد الخضر حسين، ومحب الدين الخطيب. وكان من ثمرات هذا الاتصال وتلك اللقاءات إنشاء مجلة «الفتح» التي كانت - كما يقول حسن البنا - «مشعل الهدایة والنور لهذا الجيل من شباب الإسلام المثقف الغيور»^(٣). ثم كان من الثمرات كذلك فيما بعد إنشاء جمعية «الشيان المسلمين».

لإنشاء جماعة «الإخوان المسلمين»، يدل على ذلك ما كتبه حسن البنا في الموضع
ولا شك أن كل هذه المشاعر والسلوكيات كانت إرهاصات وتمهيدات طبيعية

(٦٢) المذكرات:

(٢) المذكّرات:

٧١) المذكرات:

التعييري الأخير بالسنة النهائية بدار العلوم، وكان عن "أعمال الطالب بعد أن يتم دراسته"، وفيه يقول: إن أمله العام "أن يكون مرشدًا معلمًا: إذا قضى في تعليم الأبناء سحابة النهار، قضى ليه في تعليم الآباء هدف دينهم، ومنابع سعادتهم، ومسرات حياتهم، تارة بالخطابة والمحاورة، وأخرى بالتأليف والكتابة، وثالثة بالتجول والسياحة".^(١)

ويعلن أنه يرصد لنشر هذه الدعوة .. نفساً باعها لله صفة راجحة، وتجارة بمشيئته منجية، راجياً منه قبولها ..^(٢).

في الإسماعيلية مدرساً ومؤسسًا

ويحقق الله أمله، ويعين مدرساً في مدينة الإسماعيلية في سبتمبر ١٩٢٧م، وفي ذي القعدة سنة ١٣٤٧هـ "مارس سنة ١٩٢٨م" كون مع ستة من أهله أول شعبة للاخوان المسلمين.

وكانت السنوات الخمس التي قضاها في الإسماعيلية - مدرساً ومرشدًا - سنوات خير وبركة، فقد استطاع أن يوفق بنجاح فائق بين وظيفته الحكومية - مدرساً مثالياً بالمرحلة الابتدائية - ومرشدًا يدعو إلى الله على هدى وبصيرة في المدينة والقرى.. في المساجد والمحافل والمقاهي.

وفي الإسماعيلية، بنى الإخوان داراً ومسجدًا ومدرسة، سموها "معهد حراء".^(٣)

وأنشأ الإخوان كذلك مدرسة للبنات باسم "مدرسة أمهات المؤمنين"، كما أنشأ الإخوان قسماً خاصاً "للأخوات المسلمات" يتالف من زوجات الإخوان و قريباتهم.

(١) المذكرات: ٧٤.

(٢) المذكرات: نفس الصفحة.

(٣) المذكرات: ١٢٢.

ومن الإسماعيلية انتقلت الدعوة واتسع نطاقها، وأنشئت شعب للاخوان في عدد من القرى والمدن، مثل: أبو صوير، وبور سعيد، والسويس، وشبراخيت، والمنزلة، وجديدة المنزلة، والمطرية، وميت خضرير، والبصراط، وميت سلسيل، وبرمبال القديمة، وميت عاصم، وغيرها، وكلها مدن وقرى في شمال دلتا النيل.

وتزوج حسن البنا فتاة من أسرة صالحية هي أسرة الصولي. وتطلع إلى الانتقال والعمل بالقاهرة، وطلب رسمياً نقله إليها، فحقق الله له ما أراد في أكتوبر سنة ١٩٣٢ م.

في القاهرة.. الانطلاقات الكبرى

وفي القاهرة اتسع نشاط الإخوان لينتظم الأنواع الآتية:

- ١- المحاضرات والدروس في الدور والمساجد، وتأسيس درس الثلاثاء.
- ٢- إصدار رسالة المرشد العام عددين فقط، ثم مجلة "الإخوان المسلمين" الأسبوعية، وفي أثناء ذلك مجلة "النذير".
- ٣- إصدار عدد من الرسائل والنشرات.
- ٤- إنشاء الشعب في القاهرة، وزيادة شعب الأقاليم، ونشر الشعب في الخارج.
- ٥- تنظيم التشكيلات الكشفية والرياضية.
- ٦- تركيز الدعوة في الجامعة والمدارس، وإنشاء قسم الطلاب، والانتفاع بجهود الأزهر الشريف: علمائه وطلابه.
- ٧- إقامة عدة مؤتمرات دورية للاخوان في القاهرة والأقاليم.
- ٨- المساهمة في إحياء الاحتفالات الإسلامية والذكريات المجيدة في القاهرة والأقاليم كذلك.
- ٩- المساهمة في مناصرة القضايا الإسلامية الوطنية، وبخاصة قضية فلسطين.

- ١٠- تناول الناحية الإصلاحية السياسية والاجتماعية بالبيان، والإيضاح، والتوجيه، وكتابة المذكرات والمقالات والرسائل بهذا الخصوص.
- ١١- المساهمة في الحركات الإسلامية، كحركة مقاومة التبشير، وحركة تشجيع التعليم الديني.
- ١٢- مهاجمة الحكومات المقصورة إسلامياً، ومهاجمة الحزبية، والدعوة في وضوح إلى المنهاج الإسلامي، وتأليف اللجان لدراسات فنية في هذه النواحي^(١).
- وفي القاهرة صدرت مجلة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية، وقد استمر صدورها أربع سنوات، وتلتها في الصدور مجلات أخرى، مثل: النذير، والمنار، ثم صحيفة "الإخوان المسلمون" اليومية، التي ظلت تصدر إلى أن حلت الجماعة عام ١٩٤٨م، كما أصدر الإمام البنا سنة ١٩٤٧م مجلة شهرية للدراسات الإسلامية باسم "الشهاب".
- وفي القاهرة كان "المراكز العام" للجماعة كلها، ووضع النظام الأساسي للجماعة، فهناك المرشد العام، ومكتب الإرشاد، ثم الهيئة التأسيسية، والمكاتب الإدارية، والمناطق، والشعب التي تجاوز عددها ألف شعبة في مصر كلها.
- وأخذت الدعوة طريقها إلى البلاد العربية، فأُنشئت شعب في الأردن وفلسطين والشام، وانفتحت الدعوة على كل فئات الشعب، فأنشأ مكتب الإرشاد الأقسام الآتية:
- ١- قسم نشر الدعوة.
 - ٢- قسم العمال.
 - ٣- قسم الفلاحين.

(١) المذكرات: ١٨٠ - ١٨١.

٤- قسم الأسر.

٥- قسم الطلبة.

٦- قسم الاتصال بالعالم الإسلامي.

٧- قسم التربية البدنية.

٨- قسم الصحافة.

٩- قسم المهن.

١٠- قسم الأخوات المسلمات.

وحدد لكل قسم من الأقسام السابقة مهامه واحتضاناته.

وانشرت الدعوة بين الطلبة على نطاق واسع، وأصبح لإخوان ثقل واضح في الجامعات المصرية، كما كان لهم تأثيرهم الفعال في توجيه المسارات السياسية.

وتولى صدور رسائل الإمام البنا تحمل فكر الجماعة، وتشرح أهدافها، ووسائلها، وأساليبها، ومن هذه الرسائل ما وجّه الإمام البنا إلى الملكين فؤاد وفاروق، ورؤساء الوزارات، وذوي المراكز المرموقة، وكلها تتناول القضايا الإسلامية والعربية والاجتماعية، وموقف الإخوان منها، ورؤيتهم الخاصة لها، والحلول التي يرونها، وهي حلول تنطلق من الفهم العملي الشامل لمبادئ الدين الحنيف.

المرشد وخوض الانتخابات النيابية

وتفاعلًا مع الحياة السياسية المصرية بهدف الإصلاح، رشح المرشد نفسه عن دائرة الإسماعيلية مرتين: المرة الأولى سنة ١٩٤٢م، ولكنه تنازل عن ترشيح نفسه بعد لقاء مع النحاس باشا - رئيس الوزراء - صارحة فيه بأن الإنجليز - وهم الذين يصرفون أمور مصر وسياساتها - يضغطون على الحكومة ضغطًا رهيبًا، بضرورة تنازل المرشد

عن ترشيح نفسه، والرفض - في ظروف الحرب العصبية - قد يؤدي إلى نكبة على مصر، وفي استطاعة الإنجليز - على حد قول النحاس - "أن يدمروا البلد في ساعتين"^(١)، فآخر المرشد مصلحة مصر، وتنازل عن الترشيح، على الرغم من معارضة مكتب الإرشاد في أول الأمر.

وجاءت وزارة أحمد ماهر "الأولى" في ٨ من أكتوبر سنة ١٩٤٤م، وأعلنت عن عزمها إجراء انتخابات نيابية "نزيهة"، وقرر الإخوان خوض هذه الانتخابات، ورشح المرشد نفسه في دائرة الإسماعيلية، وأرسلت السفارة الإنجليزية خطاباً سرياً إلى أحمد ماهر لمنع المرشد من ترشيح نفسه، والتقي أحمد ماهر المرشد وطلب منه التنازل، وألح في الطلب، ولكن الإمام البنا رفض طلب رئيس الوزراء رفضاً قاطعاً.

وفي يوم الانتخاب واجه المرشد الإخوان حرباً حقيقية، فكان الذي يشرف على الانتخاب هو الحكمدار الإنجليزي لمدينة الإسماعيلية، وتدخل الجيش البريطاني في الانتخابات تدخلًا سافرًا، وأحضروا الآلاف من عمال المعسكرات الإنجليزية، وتم تزوير الانتخابات، وظهرت النتائج بإعادة الانتخابات بين المرشد ومرشح آخر.

وفي الإعادة تكشفت وتضاعفت جهود الحكومة المصرية والحكمدار الإنجليزي، والقوات البريطانية، وعشرات الآلاف من عمال الجيش البريطاني، وزورت الانتخابات على نحو أفح، وكانت النتيجة معروفة مقدماً، وهي سقوط المرشد^(٢).

(١) فريد عبد الخالق: الإخوان المسلمون في ميزان الحق، ٣٥ (دار الصحوة: القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

(٢) انظر: محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ، ٣٢٦/١، ط١، "دار الدعوة - الإسكندرية"، وكذلك: فريد عبد الخالق: السابق ٤٥ - ٤٦ وريتشارد ب. ميتشل: الإخوان المسلمون، ترجمة الدكتور محمود أبو السعود، هامش ص ١١٢ من تعليقات الأستاذ صالح أبو رقيق "دار الوفاء - مصر، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م".

قضايا العالم الإسلامي

واهتم الإخوان اهتماماً بالغاً بقضايا العالم الإسلامي، وفتحوا صدورهم للمضطهدين والمجاهدين الذين أخذ المستعمرون وأعداء الإسلام يطاردونهم في كل مكان.

ووجهوا أكبر اهتمام إلى القضية الفلسطينية، وقدموا من أجلها التضحيات بالجهد والوقت والمال والدم، وتقدمت كتائب الإخوان، وسجلت على اليهود انتصارات باهرة في معارك طاحنة ما زال بعضها يدرس في الأكاديميات العسكرية في العالم^(١).

وكان دخول الجيوش العربية أرض فلسطين سقطة كبرى، ولم تستمع الحكومات العربية لمقوله الإمام الشهيد "إنّ دولة الباطل قامت على أكتاف عصابات صهيونية، ولا ينهي وجودها إلا عصابات إسلامية".

وتواتت السقوطات الفادحة، فبينما كان الإخوان يسجلون أروع الانتصارات، ويتأهبون لاحتلال القدس الجديدة فوجئوا بقبول الحكومات العربية المذلة الأولى في ١١ من يونيو ١٩٤٨م، وكانت فرصة لليهود لانتقاط الأنفاس وتكريس القوة، واستيراد أنواع متطرفة من الأسلحة، واستأنفوا القتال، وتقهقر الجيش المصري، وحُوصرت بعض قواته في الفالوجة، وارتکب اليهود مذابح وحشية كان أشهرها مذبحة "دير ياسين" في ٩/٤/١٩٤٨م.

وأصبحت كتائب الإخوان هي القوة الفاعلة الوحيدة في فلسطين، فلا عجب أن تتكلب الصهيونية العالمية والقوى الاستعمارية، والساسة والحكام الخونة على ضرب الإخوان، وإيقاف قوتهم العسكرية المنتصرة في فلسطين.

(١) ارجع في تفصيل ذلك إلى كتاب: *كامل الشريف: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين*، وخصوصاً الصفحتان ٥٧ - ٧٦، والصفحتان ١٤٢ - ١٤٩، "مكتبة المنار - الأردن، دار الوظاء: المنصورة، مصر، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م".

حل الجماعة

ووقع في القاهرة بعض حوادث العنف والنسف الفردية، نسبت إلى أفراد من الإخوان، وفي ١٠ من نوفمبر سنة ١٩٤٨م اجتمع ممثلو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة في فايد - وهي قاعدة بريطانية تقع على قناة السويس والبحيرات المرة، أجمعوا على ضرورة حل جمعية "الإخوان المسلمين"، وتقدمت السفارة البريطانية بهذا الطلب، بل هذا الأمر لرئيس الوزراء محمود فهمي الن크اشي، الذي أصدر في ٨ من ديسمبر ١٩٤٨م الأمر العسكري رقم ٦٣ "بحل جماعة الإخوان وشعبها أينما وجدت، وبغلق الأماكن المخصصة لنشاطها، وبضبط جميع الأوراق والوثائق والمجلات والمطبوعات والمبالغ والأموال، وكافة الأشياء المملوكة للجمعية"^(١).

وقد علل الإمام الشهيد اندفع النكاشي إلى حل الإخوان بتعليلات حقيقة، خلاصتها:

١- الضغوط الأجنبية على حكومة النكاشي بضرورة حل الإخوان، وذلك بعد اجتماع فايد في ١٠/١١/١٩٤٨م، واستجابة لهذا الأمر صدر قرار الحل في ٨/١٢/١٩٤٨م، وقد أقر وكيل وزارة الداخلية عبد الرحمن عمار بذلك.

(١) انظر: محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري، ٢٣ - ٢٤، وميشيل: الإخوان المسلمون ١٧١.

وفريد عبد الخالق: الإخوان المسلمون في ميزان الحق، ٥٣، وقد نشرت مجلة "الدعوة" في عددها الأول، الصادر يوم الثلاثاء ٢٢ من ربيع الآخر، ١٣٧٠هـ - ٣٠ من يناير ١٩٥١م، تحقيقاً مدعماً بالوثائق والصور للتسلسل التاريخي لحل الإخوان، ابتداءً من ١٠ من نوفمبر، وانتهاءً بقرار الحل في ٨ من ديسمبر ١٩٤٨م.

وراجع في تفاصيل هذا المخطط: ١٣٢ - ١٣٧ من كتاب: لماذا اغتيلا الإمام الشهيد حسن البنا، عبد المتعال الجبري "دار الاعتصام، القاهرة، ط، ٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

ولم يكن هذا جديداً على القوى الاستعمارية: ففي سنة ١٩٤٢ م – وال الحرب العالمية على أشدّها – طلب السفير البريطاني من رئيس الوزراء مصطفى النحاس حل الإخوان ولكنّه رفض، وأكتفى بإغلاق الشعب مع بقاء المركز العام إلى حين.

- اقتراب موعد الانتخابات التي زعمت حكومة السعديين أنها ستكون في أكتوبر سنة ١٩٤٩ م، وتصفية الإخوان، وتشويه سمعتهم تفسح المجال للسعديين للحصول على الأغلبية كما كانوا يعتقدون.

- رغبة الحكومات العربية في إنهاء قضية فلسطين بالصورة التي يريدها المستعمرون ومواليهم، وكان الإخوان هم القوة الوحيدة الضاربة التي تقف في وجه الحلول الإسلامية والتفریط في الحق الفلسطيني.

وأكّدت الأيام صدق ما استتجه الإمام البنا، فبعد أن اغتيل مساء ٢١٢/٢/١٩٤٩ م، وقعت اتفاقية الهدنة بين مصر وإسرائيل في جزيرة رودس في ٢٤/٢/١٩٤٩ م، وسحب الجيش المصري من فلسطين، وعشنا بعد ذلك "حياة من التنازلات" المؤسفة المخزية على ما هو مشاهد على الساحة العربية حالياً^(١).

الاغتيال.. الشهادة

واستكمالاً لحلقات المؤامرة دبرت جريمة اغتيال المرشد في الخامسة مساء السبت ١٢ من فبراير سنة ١٩٤٩ م، وكان التدبير دقِيقاً، فقبل الاغتيال اتخذت الحكومة من الخطوات والأعمال التمهيدية ما يأتي:

(١) انظر: فريد عبد الخالق: السابق ٥٣ - ٥٥. ومحمد شوقي زكي: السابق ٢٩ - ٣١.

وللتوضيح راجع: موسوعة السياسة: د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، ٥٨١/٤، ط٢، ١٩٩٠ م، وكذلك ١٠٦ - ١٠٣/٧، ط١، ١٩٩٤ م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

- ١- سُحبَتْ من المرشد سلاحه المُرخص، وهو وسيلة الوحيدة للدفاع عن نفسه.
- ٢- رفضت الحكومة طلباً تقدم به لكي يعتقل مع أصحابه ومربيه.
- ٣- رفضت الحكومة كذلك طلبه بأن ينزل ضيفاً مقيماً بعزبة أحد الإخوان بالريف، وألقت القبض على صاحب العزبة.
- ٤- منعَتْ الحكومة من السفر إلى الخارج، أو التقلُّ من مكان داخل القطر بغير إذن من الحكومة.

وأمام جمعية الشبان المسلمين في شارع الملكة نازلي أطلق عليه الرصاص، واستقل الجناة سيارة سوداء، ثبت بعد ذلك أنها سيارة القائمقام محمود عبد المجيد - مدير إدارة المباحث بوزارة الداخلية - وقد قُدم - بعد قيام الثورة - للمحاكمة هو وعد من كبار الضباط ورجال المباحث.

وبعد إطلاق الرصاص، تحمل الإمام البنا على نفسه، وذهب إلى الإسعاف، ويقال إن أوامر مشددة صدرت إلى الأطباء بتركه ينزف إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة، ليلحق برَّكب النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً^(١).

صورة نفسية

إننا لو أردنا أن نرسم صورة نفسية لحسن البنا ما اتسع لذلك ضعف هذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ، وما هذه الكلمات التي نكتبها عن مسيرة حياته وأبعاد شخصيته إلا مدخلاً وتوطئة للموضوع الأصلي للكتاب، وهو: وقفة نقدية تقديرية مع رسائله، وخصوصاً رسائله إلى "الكبار" من رجال السياسة والمجتمع، وكذلك رسائله إلى والده في شبابه.

(١) ارجع إلى كتاب عباس السيسى "في قافلة الإخوان المسلمين" /١٢٨٣ - ٢٨٤ ، دار الطباعة والنشر والصوتيات، الإسكندرية، ط٢، ٧، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

ولكننا لا نغلو إذا قلنا: إنه كان يمثل في حياة العالم الإسلامي "الرجل الأمة"، فقد عاش ثقيل الميزان، عالماً، خطيباً قوي البيان، مؤمناً بالله إلى أقصى حدود الإيمان، ذكياً خارق الذكاء، بعيد النظر في أعماق النفوس، وأمام الأحداث، يتمتع بأعظم الحظوظ من روح الأبوة والسماحة والقدرة على تطوير النفوس وتوجيهها وتربيتها، وساعدته على كل أولئك قوة الذاكرة بصورة لم يسمع بها أحد، ولم يشاهد أحد لها مثيلاً في عصره، وربما في عصور سابقات. وفي ذلك يقول تلميذه عمر التلمساني - وهو المرشد الثالث للجماعة بعد الإمامين حسن البنا وحسن الهضيبي.

كانت له ذاكرة غير مألوفة في قوتها: إذا سأله أحنا عن اسمه مرة، وابنه، وأبيه، وعمله، ثم التقاه بعد أشهر طوال، حياه باسمه، وسأله عن والده فلان، وابنه فلان، وكان ذلك مثار العجب عند الجميع.

ولو علمت عدد شعب الإخوان أيام حياته، ولكل شعبة مسؤول، ثم هو بعد ذلك يعرف كل مسؤول عن كل شعبة، وهو الذي يعرف الآخرين بهم، لأذهلت هذه الذاكرة الجبارية التي ما ضاقت يوماً عن اسم، أو غاب عنها حدثاً مهماً طال به الزمن.

كانت هذه الذاكرة تواتيها بالواقع على وجهها الصحيح، إذا أراد مجادل أن يحاور أو يكابر فيرده إلى الواقعية بزمانها ومكانها وأفرادها وملابساتها، كأنما يقرأ من كتاب، بلا تحدي ولا محاولة إحراج، ولكن الإقناع المترافق، حتى ليظن العائد إلى الحق أنه هو الحق.

كما كانت هذه الذاكرة المتوقدة سبباً في إزالة الكثير من المشاكل بين الإخوان إذا ما رجعوا إليه، وإذا ما دعا الأمر إلى سرد أحداث معينة سردها كأنما تسمعها من شريط مسجل^(١).

(١) عمر التلمساني: الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل، ٢٨، دار نصر للطباعة، القاهرة، د. ت.

وأغرب الواقع التي تدل على قوة ذاكرة الإمام البنا - رحمه الله - ما كان بينه وبين كتاب "مستقبل الثقافة في مصر"، الذي كتبه طه حسين، ودعا فيه إلى "تغريب التعليم والثقافة، ووسائل العيش والحياة، ويحكي الإمام البنا قصته مع هذا الكتاب للأستاذ محمود عبد الحليم، فيذكر أن المسؤولين في جمعية الشبان المسلمين أصرروا على سماع رأي الإخوان في هذا الكتاب، وخصوصاً بعد أن أعلن طه حسين بوصفه "مستشار وزارة المعارف" إصراره على وضع آرائه موضع التنفيذ، وطبع المسؤولون في جمعية الشبان المسلمين الدعوات لحضور محاضرة يلقىها الأستاذ المرشد عن كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" بعد خمسة أيام، ولم يكن الأستاذ البنا قد قرأ الكتاب، ولم يجد وقتاً يخصه لقراءة الكتاب إلا فترة ركوبه الترام في الصباح إلى مدرسته، وفترة رجوعه منها، وكان يضع علامات بالقلم الرصاص على فقرات معينة، ولم تمض الأيام الخمسة حتى استوعب الكتاب كله.

يقول الأستاذ البنا: وفي الموعد المحدد ذهبت إلى دار الشبان فوجدتها - على غير عادتها - غاصة، والحاضرون هم رجال العلم والأدب والتربية في مصر، ووقفت على المنصة، واستفتحت بحمد الله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبجانبي الدكتور يحيى الدرديري - السكرتير العام للشبان المسلمين - ورأيت الكتاب كله منطبعاً في خاطري بعلاماتي التي كنت علمتها بالقلم الرصاص.

وبدأت أول ما بدأت، فقلت: إنني لن أنقد هذا الكتاب بكلام من عندي، وإنما سأنقد بعضه ببعضه، وأخذت - ملتزماً بهذا الشرط - أذكر العبارة من الكتاب، وأعارضها بعبارة أخرى من نفس الكتاب، ولاحظ الدكتور الدرديري أنني في كل مرة أقول: "يقول الدكتور طه حسين في الكتاب في صفحة كذا، وأقرأ العبارة بنصها أيضاً من خاطري، ثم أقول: ويناقض الدكتور طه نفسه فيقول في صفحة كذا، وأقرأ

العبارة بنصها أيضًا من خاطري، فاستوقفني الدكتور الدرديري، وطلب إلى أن أمهله حتى يحضر نسخة من الكتاب ليراجع معي النصوص والصفحات، لأنه قرأ الكتاب، ولم يلاحظ فيه هذا التناقض"، وكأنه لم يقرأ العبارات التي يسمعها الآن.

وأحضر له الكتاب، وظل يتبعني، فيجد العبارات لا تنقص حرفاً، ولا تزيد حرفاً، ويجد الصفحات كما أحدها تماماً، فكاد الدكتور الدرديري يجن، كما ساد الحاضرين جو من الدهشة والذهول، والكل يتوجه - كلما قرأت من خاطري عبارتين متلاقيتين - إلى الدكتور الدرديري كأنهم يسألونه: أحقاً هذه العبارات في الكتاب؟ فيقول الدكتور الدرديري في كل مرة: "تماماً بالنصوص والصفحات".

وظلت على هذه الوتيرة حتى أنهيت الكتاب كله، وأنهيت المحاضرة، فقام الجميع - وفي مقدمتهم الدكتور الدرديري - بين معانق ومقبل^(١).

ويسقط أدعية الزعامة من المتشيئين والمتعلمين، ويهيل عليهم التاريخ تللاً من الطين والبصاق، ويبقى حسن البنا في ذاكرة التاريخ إشراقة متوهجة لا تخبو ولا تذبل ولا تموت، وتبقى مسيرة حياته وفكره مداداً ومدداً لحملة الأقلام الشريفة الأصيلة، من شرقيين أوفياً مؤمنين، وغربيين عدول منصفين، ومن هؤلاء الكاتب الأميركي "روبير جاكسون" في كلمات تتدفق بشعور يمتزج فيه الإعجاب والعجب بالحزن واللوحة والأس: .

· هذا الشرق لا يستطيع أن يحتفظ طويلاً بالكنز الذي يقع في يده.

· إنه رجل لا ضريب له في هذا العصر.. لقد مر في تاريخ مصر مرور الطيف العابر الذي لا يتكرر.

(١) الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ /١ - ٢٤٠ ، ٢٤١ ، وبعد ذلك بمدة ألقى الإمام الشهيد - بطلب منه - محاضرة قوية عن الكتاب في جامعة القاهرة مبيناً خطورة الكتاب على العقيدة، واستمرت المحاضرة عدة ساعات "انظر عمر التمساني: ذكريات لا مذكرات، ٤٩ ، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٥ م.

- كان لابد أن يموت هذا الرجل - الذي صنع التاريخ وحول مجرى الطريق -
شهيداً كما مات عمر وعلي والحسين.
- كان لابد أن يموت باكراً، فقد كان غريباً عن طبيعة المجتمع، يبدو كأنه الكلمة التي سبقت وقتها، أو لم يأت وقتها بعد^(١).

âââ

(١) من كتاب: روبير جاكسون: حسن البناء الرجل القرآني: ٥، ١٥، ١٩.



الفصل الثاني
السهام السوداء
(شبهات وأكاذيب)

في مطلع الدعوة

يقال: إن أحد "الكتاب" قال للفيلسوف الأيرلندي الشهير برنارد شو: "إنني أؤدي عملي في نجاح كامل لأنه لا عدو لي"، فقال شو: "فمتى تكون عظيمًا إذن؟".

ورد "شو" يضع أيدينا على حقيقة تكاد تكون قاعدة اجتماعية، وخلاصتها أنه بقدر نجاح الشخص - وخصوصاً في مجال الحياة العامة - تتفتح عليه العيون، وتكثر حوله الأحقاد، وكان الإمام الشهيد واحداً من هؤلاء، فلاحقته إساءات الحاقدين، وأكاذيب المفترين، بعد أن بدأ يشد إليه الأنظار، ويحقق النجاح تلو النجاح من أول يوم أنشأ فيه أول شعبة لـ الإخوان في مدينة الإسماعيلية.

ومن مظاهر حرب الأحقاد ضد الإمام البنا والتصرفات الآتية:

- ٢- كتب بعضهم عريضة بتوجيه لفيف من أهالي الإسماعيلية إلى إسماعيل صدقى باشا - رئيس الوزراء آنذاك - تضمنت أموراً غريبة، منها:

• أن هذا المدرس شيوعي متصل بموسكو، ويستمد المال من هناك؛ لأنه يبني مسجداً وداراً، ويصرف على جمعية ودعوة، ولا يكلف الناس مالاً، فمن أين له هذا؟

• ومنها أن هذا المدرس وفدي، ويعمل ضد النظام الحاضر، ويقول: إن الانتخابات - بهذه الصورة - باطلة، وأن دستور سنة ١٩٣٠ م باطل كذلك، وأنه سافر إلى "البحيرة" لعمل دعاية ضد هذا النظام.

• ومنها أنه يتغوه ضد الملك فؤاد ولي النعم بالفاظ يستحق من ذكرها.

• ومنها - وقد نسي الكاتبون البند الأول - أن هذا المدرس يجمع من الأهلين أموالاً لينفقها في مشروعات مدارس ومساجد، لا ندري أين يذهب بها، مع أن القانون المالي يمنع الموظفين من جمع المال^(١).

(١) راجع: مذكرات الدعوة والداعية، ١١٢ - ١١٥.

٣- ومن هذه العرائض واحدة بتوقيع "مسيحي" جاء فيها أن هذا المدرس المتعصب الذي يرأس جمعية متعصبة اسمها "الإخوان المسلمون" يفرق بين أبناء العنصرين في الفصل، فيتعمد إهانة التلاميذ من المسيحيين وإهمالهم، وعدم العناية بهم، ويؤثر الطلاب من المسلمين بكل اهتمامه وأسئلته وتوجيهاته، وأن ذلك سيحدث فتنة كبرى لو لم تداركها الوزارة بنقل هذا المدرس^(١).

٤- وحينما تبرع "البارون دي بنوا" - مدير شركة قناة السويس - بخمس مئة جنيه مساهمة من الشركة في بناء مسجد الإخوان في الإسماعيلية ثارت ثائرة المغرضين، وأطلقوا الإشاعات بأن الإخوان المسلمين يبنون المسجد بمال الخواجات، وآزرتها الفتوى الباطلة ممن يعلم، وممن لا يعلم: كيف تصح الصلاة في هذا المسجد، وهو سيبنى بهذا المال؟

يقول الإمام المرشد: "... وأخذنا نقعن الجمهر بأن هذه خرافه، فهذا مالنا لا مال الخواجات، والقناة قناتنا، والبحر بحرنا، والأرض أرضنا، وهؤلاء غاصبون في غفلة من الزمن".

وأراد الله أن يكون المسجد قد تمَّ والحمد لله، فلم توضع فيه أموال الخواجات، ووضعت في "دار الإخوان المسلمين" بالذات، وبذلك سكنت الثائرة، وانطفأت الفائرة"^(٢).

وظلت الدعايات المغرضة والأحكام الغالطة المتافقه تلاحق الإخوان ودعوتهم في الشرق والغرب.. في الداخل والخارج، في الإذاعات والصحف والمقالات والكتب، والمتصفح لكتابات هؤلاء وأمثالهم عن الإخوان يخرج بحصيلة تدعو إلى العجب، بل كثيراً ما تبعث في النفس الرثاء، إن لم يكن السخرية، في بينما يعتبرهم اليساريون من الرجعيين الذين

(١) المذكرات: ١١٧.

(٢) المذكرات: ١٢١.

رفعوا شعار العودة إلى الماضي، ترى الرأسماليين يرمونهم باليسارية الثورية، وبينما يرى فريق من كتاب الغرب أنهم فئة تقدمية خطيرة على المذاهب الغربية تجد فريقاً آخر يرميهم بالتزمت والعنف والتنظيم العسكري "أو الفاشي"، وهكذا دواليك.

فالإخوان في نظر الشيوعيين عملاء للإنجليز المستعمرات، والإخوان في نظر المنحازين للديمقراطية الرأسمالية اشتراكيون مقنعون أو فاشيون إرهابيون.

والإخوان في نظر الأوروبيين دعاة إلى عودة الإمبراطورية الإسلامية البغيضة التي تحاول أن تكره الناس حتى يكونوا مسلمين مؤمنين.

أما أغرب الاتهامات ما رواه أحد كبار موظفي القصر في عهد الملك فاروق أن الملك كان يعتقد أن الإخوان يحصلون على مدد مالي سخي من اليابان^(١).

الجهاز الخاص.. والإرهاب

ومن أهم الافتراضات وأشهرها اتهام الإخوان بالإرهاب والتخريب والدموية، حرصاً على الوثوب على الحكم، معتمدين في ذلك على تشكيل سري يسمى "النظام الخاص" أو "الجهاز السري".

والواقع التاريخي الثابت يقرر أن هذا النظام الخاص - كوحدة منتظمة - قد بدأ حوالي سنة ١٩٤٣م، وكان أول رئيس له الأستاذ صالح عشماوي - نائب المرشد العام - في ذلك الوقت، وكان طبيعياً أن يظل الأمر سراً مكتوماً، إذ كانت الدعوة معرضة لأخطار كثيرة، ومن أهم الدواعي إلى قيام النظام الخاص:

(١) من تقديم الدكتور محمود أبو السعود لكتاب ميشيل "الإخوان المسلمون" ١٨ - ١٩، وقد ذكر أن الذي نقل له ذلك عن الملك فاروق هو اللواء طيار حسن عاكف، وهو صاحب تاريخ بطولي في حرب فلسطين، وإن غاب ذكره عن الكثيرين، وانظر هامش ص ١٩ من الكتاب المذكور.

١- الاحتلال البريطاني - والاستعمار بوجه عام - لعظم البلاد الإسلامية، وفشل المساعي السلمية للتخلص من الأجنبي المستعمر.

٢- استعمال هذا الجهاز كقوة لمواجهة الصهاينة في فلسطين.

٣- كبت الحرريات في مصر، وغياب القانون.

وكل هذه الدوافع من مبررات الجهاد ودعائيه، وفكرة "النظام الخاص" تمثل جزءاً من التصور الإخواني ومنهج الدعوة: فالجهاد شعار من شعارات الإخوان المسلمين، والجهاد لا يتحقق إلا بإعداد الرجال مادياً وروحياً، وخصوصاً في وقت تعرض فيه الإخوان للإعنات والاضطهاد والمحن.

ومن الناحية التاريخية صاحب تكوين الإخوان إنشاء فرق رياضية، ثم الجوالة التي كانت مسجلة رسمياً في حركة الكشافة المصرية، وكان الأعضاء المنتسبون إلى هذه الفرق يتدرّبون في معسكرات خاصة علنيّة على إطلاق النار ونوع من الحياة العسكرية.

وحينما نشبّت الحرب العالمية الثانية، وتعرّضت البلاد للأحكام العسكرية، وبدأت الحكومات تضيق الخناق على الحرريات بعامة، وعلى نشاط الإخوان بخاصة، كان من المنطق أن يتّخذ هذا النشاط لنفسه مظهراً غير جوهري، وقبيل الحرب العالمية الثانية "١٩٣٩م" تطوع بعض الإخوان ليقفوا مع ثوار فلسطين مجاهدين ضدّ البريطانيين والصهاينة، وكان لزاماً أن يتدرّبوا على بعض الأعمال الفدائية التي لا غنى عنها في مثل هذه المعارك^(١).

(١) صالح أبو رقيق: من تعليقاته الهمشية على كتاب ريتشارد ب. ميشيل "الإخوان المسلمون" ص ١٠٨، وإن أردت التوسيع فارجع إلى كتاب أحمد عادل كمال: النقط فوق الحروف: الإخوان المسلمون والنظام =

الانحراف بالدين إلى السياسة

ومن هذه الافتراضات أن الإخوان سيسوا الدين، أي انحرفوا بدعوتهم من دعوة دينية أخلاقية إلى الاشتغال بالسياسة كالأحزاب الأخرى.

والقائلون بذلك يقعون - بقصد أو غير قصد - في الأخطاء الآتية:

١- فهمهم الناقص المشوه للإسلام على أنه دعوة دينية روحية محصورة في العبادات والتحلي بالأخلاقيات دون الاشتغال بالحياة العامة في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدولية.

ولسنا في حاجة إلى تقديم الأدلة النصية من القرآن والسنة، والأدلة الفعلية العملية من حياة الرسول ﷺ، وحياة الخلفاء الراشدين، فهي أكثر من أن تحصى، ولكننا نشير هنا إلى بعض شهادات المنصفين من المستشرقين في هذا المقام:

- ٠ يقول فتزجرالد: "ليس الإسلام دينًا فحسب، ولكنه نظام سياسي أيضًا".
- ٠ ويقول نلينو: "لقد أسس محمد في وقت واحد دينًا ودولة، وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته".
- ٠ ويقول ستروثمان: "الإسلام ظاهرة دينية سياسية، إذ إن مؤسسه كاننبياً، وكان سياسياً حكيمًا، أو رجل دولة".
- ٠ ويقول توماس أرنولد: "كان النبي في الوقت نفسه رئيساً للدين، ورئيساً للدولة"^(١).

=الخاص "الزهراء للإعلام العربي، القاهرة"، وكذلك كتاب محمود الصباغ: "حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين"، وخصوصاً الصفحتان: ٣١٧ - ٤٢٠، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٩م.

(١) عن كتاب "النظريات السياسية الإسلامية" للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس، ٢٨ - ٢٩، ط٦، دار التراث، القاهرة ١٩٧٦م.

٢- وهذا الفهم الصحيح للإسلام بأبعاده الروحية والسياسية والاقتصادية والتربوية كان - من بداية نشأة الإخوان، وما زال حتى الآن - من ثوابت دعوتهم، وكان الإمام الشهيد في كل خطبه ورسائله يكرره ويلح عليه، ومن كلماته في رسالة "دعوتنا":

دعوتنا دعوة أجمع ما توصف به أنها "إسلامية"، ولهذه الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذي يفهمه الناس، فإننا نعتقد أن الإسلام معنى شامل ين尸体م شؤون الحياة جميماً، ويفتي في كل شأن منها، ويضع له نظاماً محكماً دقيقاً، ولا يقف مكتوفاً أمام المشكلات الحيوية، والنظم التي لابد منها لإصلاح الناس.

فهم بعض الناس خطأ أن الإسلام مقصور على ضروب من العبادات أو أوضاع من الروحانية، وحصروا أنفسهم وأفهامهم في هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المحصور^(١). ويقول المرشد العام في رسالته "الإخوان المسلمون تحت راية القرآن": "أما مهمتنا - في بعض تفاصيلها - فهي أن يكون في مصر أولاً بحكم أنها في المقدمة من دول الإسلام وشعوبه، ثم في غيرها كذلك:

❸ نظام داخلي للحكم يتحقق به قول الله (تبارك وتعالى): «وَإِنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْدَدْهُمْ أَنْ يَقْتَتِلُوكَ عَنْ بَعْضٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصَبِّبَهُمْ بِبَعْضٍ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ» (المائدة: ٤٩).

❹ نظام للعلاقات الدولية يتحقق به قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقرة: ١٤٣).

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ٢٢، وانظر تحديده لموقف الإخوان من الوطنية والحزبية القومية، ٢٣ - ٣١، وهو موقف ينطلق من هذا الفهم للإسلام بأبعاده الشمولية، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

❸ ونظام عملي للقضاء يستمد من الآية الكريمة: «فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ
يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا» (النساء: ٦٥).

❹ ونظام للدفاع والجندية يحقق مرمي النفير العام (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (التوبه: ٤١).

❺ ونظام اقتصادي استقلالي للثروة والمال والدولة والأفراد، أساسه قوله تعالى: «وَلَا
تُؤْثِرُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً» (النساء: ٥).

❻ ونظام للثقافة والتعليم يتضي على الجهالة والظلم، ويطابق جلال الوحي في أول
آية من كتاب الله «اقْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» (العلق: ١).

❽ ونظام للأسرة والبيت ينشئ الصبي المسلم، والفتاة المسلمة، والرجل المسلم،
ويحقق قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ» (التحريم: ٦).

❾ ونظام للفرد في سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
رَكَّا هَا» (الشمس: ٩).

❿ وروح عام يهيمن على كل فرد في الأمة من حاكم أو محكوم قوله تعالى:
«وَابْتَغُ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ تَصْبِيَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ
اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ» (القصص: ٧٧).

نحن نريد الفرد المسلم، والبيت المسلم، والشعب المسلم، والحكومة المسلمة،
والدولة التي تقود الدول الإسلامية، وتضم شتات المسلمين، وتستعيد مجدهم، وترد
عليهم أرضهم المفقودة، وأوطانهم المسلوبة، وببلادهم المغصوبة، ثم تحمل علم الجهاد
ولواء الدعوة إلى الله، حتى تسعد العالم بتعاليم الإسلام^(١).

(١) مجموعة الرسائل، ١١٥ - ١١٦.

وفي رسالة "بين الأمس واليوم" يُجمل الإمام الشهيد أهداف الإخوان في اثنين، هما:

١- تحرير الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي، وذلك حق طبيعي لكل إنسان

لا ينكره إلا ظالم أو جائر أو مستبد قاهر.

٢- أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام، وتطبق

نظامه الاجتماعي، وتعلن مبادئه القوية، وتبلغ دعوته الحكيمية للناس، وما لم

تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعاً آثمون مسؤولون بين يدي الله العلي الكبير

عن تقصيرهم في إقامتها وقعودهم عن إيجادها.

نريد تحقيق هذين الهدفين في وادي النيل، وفي بلاد العروبة، وفي كل أرض

أسعدها الله بعقيدة الإسلام: دين وجنسية توحد بين جميع المسلمين^(١).

"وتصديقاً لهذا الفهم الشامل للإسلام، يصف الإمام المرشد"

في المؤتمر الدوري الخامس في ١٣ من ذي الحجة ١٣٥٧هـ) دعوة الإخوان المسلمين

بأنها دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية،

ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية^(٢).

وتمثل فهم الإخوان للإسلام بهذه الصورة الشاملة المتكاملة في شخصية الأخ المسلم

الذي كان استجابة عملية لهذا التكامل وهذا الشمول، وفي ذلك يقول الإمام الشهيد:

"..من هنا كان كثير من مظاهر أعمال الإخوان يبدو أمام الناس متافقاً، وما هو

متناقض، فقد يرى الناس الأخ المسلم في المحراب خاشعاً متربلاً يبكي ويذلل، وبعد

(١) مجموعة الرسائل؛ ١٦٠.

(٢) انظر الشرح والتفسير في مجموعة الرسائل، ١٧٤ - ١٧٥.

قليل يكون هو بعينه واعظاً مدرساً يقرع الآذان بزواجه الوعظ، وبعد قليل تراه نفسه رياضياً، وبعد فترة يكون هو بعينه في متجره أو معمله يزاول صناعته في أمانة وإخلاص.

هذه مظاهر قد يراها الناس متناقضة لا يلتئم بعضها ببعض، ولو علموا أنها جميعاً يجمعها الإسلام، ويأمر بها ويحض عليها لتحقيقها فيها مظاهر الالتزام، ومعاني الانسجام، ومع هذا الشمول فقد اجتب الإخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحي من المأخذ ومواطن النقد والتقصير، كما اجتبوا التصub للألقاب، إذ جمعهم الإسلام الجامع حول لقب واحد هو الإخوان المسلمين^(١).

وفي وضوح كامل وصراحة جلية - من ستين عاماً مضت - يحدد الإمام الشهيد - في مؤتمر الإخوان الخامس سنة ١٣٥٧هـ - موقف الإخوان من الحكم وطلب السلطة، فيقول بالحرف الواحد.

الإخوان المسلمون يسيرون في جميع خطواتهم وأعمالهم وأعمالهم على هدي الإسلام الحنيف كما فهموه، وهو يجعل الحكومة ركناً من أركانه، ويعتمد على التنفيذ، كما يعتمد على الإرشاد، فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء، لا ينفك واحد منها عن الآخر^(٢).

وقد يكون مفهوماً أن يقنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصفاء لأوامر الله وتنفيذ لأحكامه، وإيصالاً لآياته وأحاديث نبيه.

وأما الحال كما نرى: التشريع الإسلامي في وادٍ، والتشريع الفعلي والتنفيذي في وادٍ آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف.

(١) السابق، ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) السابق، ١٩٠.

وعلى هذا، فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة، والحكم بمنهاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم، وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله^(١).

وليس هذا عيباً يعاب على الإخوان، بل هي محبة يجب أن يحمدوا لها كل مسلم؛ لأن الشيوعي يعمل على اغتصاب الحكم، ويومها يكون الشعب ومصيره ومقاليد أمره وثروته غنية لروسيا.

والعلمانيون يعملون على اغتصاب الحكم لتكون الأهواء والعواطف هي المسيطرة على مقاليد الأمور، فإذا ما سعى الإخوان لطلب الحكم بعد أن لم يجدوا أميناً على شرع الله فلا عيب في سعيهم إلا أنه سعي مشكور، والفارق بينهم وبين غيرهم في السعي إلى الحكم أن غيرهم يجعل الحكم تبعاً لهواه هو، أما هم فسيجعلونه لله ولرسوله ولسعادة المسلمين وغيرهم على السواء^(٢).

ويفصل الإمام البنا القول في موقف الإخوان من الدستور والقانون والوحدة القومية والعربية والإسلامية والأحزاب والهيئات^(٣)، وبعد ذلك أزدادت رسائل الإمام الشهيد قريباً، بل توغلأ في الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي مفصلاً رؤية الإخوان في هذه الأوضاع، فشخصَّت الأدواء التي تضعف الأمة في هذه المجالات، وقدمت الحلول العملية من وجهة نظر الإسلام^(٤).

(١) السابق، ١٩١.

(٢) د. رعوف شلبي: الشيخ حسن البنا ومدرسته "الإخوان المسلمون"، ٣٤٠، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٨م.

(٣) وقد أكد الإمام البنا هذه الآراء في مؤتمر الإخوان السادس المنعقد في يناير ١٩٤٣م، انظر مجموعة الرسائل، ٣٢٥ - ٣٤٦.

(٤) انظر مجموعة الرسائل، ٣٠٩ - ٣٨٥.

والاشغال بالسياسة - بالمفهوم السابق - لم يكن بدعاً من الإمام البنا، بل كان قاعدة من قواعد "قانون النظام الأساسي للإخوان"، فالمادة الثانية منه تنص على الآتي: الإخوان المسلمون هيئة إسلامية جامعة تعمل لتحقيق الأغراض التي جاء من أجلها الإسلام الحنيف، وما يتصل بهذه الأغراض، وهي:

- أ - شرح دعوة القرآن الكريم شرحاً دقيقاً يوضحها.
- ب - جمع القلوب والنفوس على هذه المبادئ القرآنية.
- ج - تتميم الثروة القومية وحمايتها وتحريرها والعمل على رفع مستوى المعيشة.
- د - تحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعي.
- ه - تحرير وادي النيل والبلاد العربية جمِيعاً والوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي.
- و - قيام الدولة الصالحة التي تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عملياً، وتحرسها في الداخل، وتبلغها في الخارج.
- ز - مناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة، في ظل المثل العليا الفاضلة التي تصون الحريات، وتحفظ الحقوق، والمشاركة في بناء السلام والحضارة الإنسانية على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة.

ولم يقف اشتغال الإخوان بالسياسة عند التظير والتقييد، وعرض الرؤى الخاصة في المواقف، بل أخذوا أنفسهم عملياً بما عرضوا وما نظّرُوا انطلاقاً من المفهوم الشامل المتكمّل للإسلام، فلم يغيبوا عن مشكلات الوطن والأمة الإسلامية، وسنرى في رسائل الإمام الشهيد إلى الملوك والوزراء وكبار السياسة ما يقطع بذلك، ومنها رسالة إلى الملك فؤاد سنة ١٩٣٣م، ورسالته العنيفة الملتهبة إلى الملك فاروق سنة ١٩٣٨م،

وكذلك رسائله إلى مصطفى النحاس، وإسماعيل صدقى، وعلي ماهر، ومحمد فهمي النقراشى، والأمير عمر طوسون، والأنبا يونس متى، والسفير البريطانى، وحاخام اليهود في مصر.

والمعروف أن الإمام البنا تقدم للترشيح لمجلس النواب عن دائرة الإسماعيلية مرتين: مرة سنة ١٩٤٢م، وإن انسحب لأسباب تتعلق بمصلحة الوطن، والثانية سنة ١٩٤٤م في وزارة أحمد ماهر، وتكاتفت الحكومة وقوى الاستعمار الإنجليزي على تزوير الانتخابات حتى سقط المرشد.

وكان لإخوان صحفهم ومؤتمراتهم ومظاهراتهم في الجامعة وغيرها، مما كان له تأثير بالغ على الرأي العام المصري، كما ترتب على كل أولئك تعديل واضح لكثير من المسارات الخاطئة.

وغير رسائل الإمام الشهيد أصدرت المكتبة الإخوانية مئات من الكتب في مجال السياسة والمجتمع والاقتصاد، وقدموا كثيرةً من الخدمات والمشروعات الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والصحية^(١).

وتأسيساً على ما عرضناه آنفًا نرفض، ويرفض الواقع الصادق الفريدة التي تزعم أن الإخوان انحرقوا من الدين إلى السياسة، فالذين تبنوا هذه الأكذوبة كانوا واقعين تحت سيطرة قوتين:

الأولى: سيطرة الفهم المشوه أو المنقوص للإسلام بدعوى أنه دين "تعبدى" يقف عند تنظيم العلاقة الروحية بين العبد وحالقه.

والثانية: انعدام الدراسة الوعائية للمسيرة الإخوانية، بل المسيرة الطبيعية لـكل الدعوات الإصلاحية على مدار التاريخ الإنساني كله، وقد اعتمدت مسيرة الإخوان

(١) راجع الإخوان المسلمون والمجتمع المصري لـمحمد شوقي زكي ١٢٧ - ٢٠٨.

على قاعدة شرعية - بل كونية - هي "قاعدة التدرج" انطلاقاً من مرتكز أساسي اعتمد عليه الإخوان من أول نشأة الدعوة سنة ١٩٢٨م، وهي الإيمان المطلق بشمولية الإسلام: دينًا ودولة، ومصحفًا وسيفًا، وعبادة وسياسة، وقيادة وجندية.

وكان هذا المفهوم هو "ثابتة الثوابت" التي لم تتغير، وحدد الإخوان وسائل لتحقيق هذا المفهوم، ومتطلقات مفصلة ترتبط به، ولكن كان من الطبيعي أن تزداد هذه التفصيلات - بتقدم الزمن اتساعاً، وتتضمن إلى منظومة الفكر الإخوان مستجدات لا تتال من هذه الثابتة، فتتغير بعض الوسائل، وتتطور بعض التفصيلات تبعاً لمعطيات الواقع، ومواضيع السياسة، ونتائج التجريب.

ومن الأمثلة التي توضح ما ذهبت إليه آنفًا أن الإخوان في عهد الإمام البنا - قرابة عشرين عاماً - كانوا ينكرن الحزبية ونظام الأحزاب، ويطالبون بحلها، ويدعون إلى نظام الحزب الواحد، فهم يعتقدون أن الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم، ومزقت روابطهم، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر.

ويعتقدون كذلك أن النظام النيابي - بل حتى البرلماني - في غنى عن نظام الأحزاب بصورتها الحاضرة في مصر، كما طلبوا من الملك فاروق حل هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج جمیعاً في هيئة شعبية واحدة، تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام^(١).

ومن المعروض السابق نرى الإمام البنا :

- ١- لا يؤمن بالتعديدية الحزبية، ويدعو صراحة لحل الأحزاب المصرية، وكان أهمها على الساحة المصرية - حزب الوفد وحزب السعدويين وحزب الأحرار الدستوريين.
- ٢- أنه يؤمن بنظام الحزب الواحد، أو التجمع الشعبي الواحد القائم على قواعد الإسلام والعامل لصالح الأمة.

(١) رسالة المؤتمر الخامس الذي عقد في ذي الحجة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

وفي مقام تقييم هذا الرأي، نقرر ابتداء أن النظرة الآنية إليه في ضوء الواقع الذي تعيشه مصر ودول الشرق العربي تتكره، بل ترفضه تماماً، ولكننا نرى أنه من الظلم الفادح أن نحكم قواعد تقييم جديدة في مقولات أو معلومات قديمة، وخصوصاً إذا أغفلنا الظروف التي كانت محطة بالرأي القديم وملائمة له.

والآحزاب التي كانت قائمة آنذاك كانت واقعة تحت سيطرة المستعمر الإنجليزي والقوى الاستعمارية، ومن المواقف التي تدل على ذلك:

١- إجبار الإنجليز الملك فاروق على إقالة وزارة حسين سري، وإسناد الوزارة إلى حزب الوفد برئاسة مصطفى النحاس باشا، وتم ذلك بحصار الدبابات الإنجليزية لقصر عابدين في ٤ من فبراير سنة ١٩٤٢م.

٢- استجابة النحاس لضغط الإنجليز وتهديداتهم حتى ينسحب الإمام البنا من ترشيح نفسه نائباً عن دائرة الإسماعيلية سنة ١٩٤٢م.

٣- ضغط الإنجليز على رئيس الوزراء وزعيم الحزب السعدي أحمد Maher باشا سنة ١٩٤٤م، لكي يسحب الإمام البنا ترشحه في الدائرة المذكورة، وألح أحمد Maher على الإمام المرشد في شدة أن ينسحب من الترشيح، ولكن رفض، فحورب في هذه الدائرة وزورت الانتخابات بشكل مفتوح، ومن ثم لم يكتب له النجاح في دائنته.

٤- في سنة ١٩٤١م، ضغط الإنجليز على رئيس الوزراء حسين سري باشا لإيقاف نشاط الإخوان؛ لأن حسن البنا - على حد قولهم - "يعمل في أوساط جماعته لحساب إيطاليا".

ولم يجد حسين سري مخرجاً من هذا الضغط إلا نقل المرشد - الذي كان يعمل مدرساً بالقاهرة - إلى "قنا" بأقصى صعيد مصر، وتم ذلك في ٢٢/٢/١٩٤١م.

٥- تم حل جماعة الإخوان - كما ذكرنا آنفًا - في ٨ من ديسمبر ١٩٤٨ م بأمر من السفير البريطاني بعد اجتماع "فايد" بين سفراء بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وقد ثبت ذلك بوثائق رسمية نشرت فيما بعد.

وكل هذه الوقائع تدل على عمالة الأحزاب المصرية وتضامنها مع المستعمر ضد المصالح الوطنية والشرفاء من أبناء هذا الوطن. ومن ثم يكون للإمام البنا العذر في الإلحاح على ضرورة حل هذه الأحزاب والتوحد في حزب أو تجمع واحد أو "هيئه شعبية واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام"^(١).

ولما قامت الثورة سنة ١٩٥٢ م - بعد اغتيال الإمام البنا بثلاثة سنوات - وجرت الأمة المصرية دكتاتورية الحزب الواحد بزعامة القائد "الفرد" جمال عبد الناصر الذي نجح نجاحاً باهراً في إلغاء الشخصية المصرية، وملأ السجون المصرية بالآلاف من الإخوان وأصحاب الرأي في غيبة العدل والقانون، وحقق من المزائم (١٩٥٦، ١٩٦٧ م) ما لم تعرفه مصر من قبل.. لما رأى الإخوان كل هذه المأساة التي صنعوا "الحزب الواحد" و"القائد الواحد" أصبحوا يؤمنون بالتعديدية الحزبية حرصاً على تحقيق العدل والأمن والتقدير.

فهذا الشاهد يدل على سعة الأفق ومرنة تفكير الإخوان في التعامل مع الأوضاع السياسية والاجتماعية في نطاق الوسائل والمواقف والتوجهات "القابلة" للتغيير دون خدش للثوابت التي تمثل نخاع دعوة الإخوان، وهي - في حقيقتها وواقعها - ترتكز على القيم والقواعد الإسلامية في مفهومها الشامل الرحيب.

(١) مجموعة الرسائل، ٢٠١. وانظر كذلك: رسالة الإمام البنا إلى الطلاب (سنة ١٣٥٧ - ١٩٣٧) في مجموعة الرسائل، ٣١٨-٣٢١. علينا أن نلاحظ أن ما دعا إليه الإمام البنا هو تكوين "هيئه شعبية واحدة ملتزمة بالقيم الخلقية والوطنية" لا حزب واحد تسلط ولا ترد له كلمة ولا مشيئة.

الإخوان متعصبون دينياً!!

ويتهم الإخوان ظلماً وبهتاناً بالتعصب الديني ضد النصارى بصفة خاصة، مع أنهم عاشوا في سيرتهم الطويلة يتحلون بالتسامح مع الأقليات غير المسلمة، وخصوصاً أقباط مصر، انطلاقاً من إيمانهم الصحيح بالإسلام "فإن الإسلام الذي وضعه الحكيم الخبير الذي يعلم ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها.. لم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذي لا يحتمل لبسًا ولا غموضاً في حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص: **«لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبْرُوْهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ»** (المتحنة: ٨).

وإن الإسلام الذي قدس الوحدة الإنسانية العامة في قوله تعالى: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًاٰ وَقَبَائِيلَ لِتَعَارَفُوا»** (الحجرات: ١٣).

ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك، فقضى على التعصب، وفرض على أبناءه الإيمان بالرسالات السماوية جمیعاً في قوله تعالى: **«قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَتَحْنُنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنَّ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَتَحْنُنُ لَهُ عَابِدُونَ»** (البقرة: ١٣٦ - ١٣٨).

ثم بعد ذلك قدس الوحدة الدينية الخاصة في غير صلف ولا عداون، فقال (تبارك وتعالى): **«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْرَوْهُ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ»** (الحجرات: ١٠)، هذا الإسلام الذي بُني على هذا المزاج المعقول والإنصاف البالغ لا يمكن أن يكون أتباعه سبباً في تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوحدة صفة القدسية الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدني فقط^(١).

(١) من رسالة (نحو النور) - مجموعة الرسائل، ٨٣ - ٨٤.

كان هذا هو التوجه الإسلامي في التعامل مع ذوي الأديان الأخرى، وكان الإمام البنا يعرض هذا التوجه كثيراً في رسائله وخطبه ومقالاته، ويواجه به كل من يتهم الإسلام بالتعصب.

وكان السلوك العملي للإمام البنا والإخوان المسلمين ينم على التسامح والودة وحسن التعامل مع المواطنين من الأقباط الذين عاشوا يبادلون المرشد والإخوان الشعور نفسه، على الرغم من محاولة المغرضين وذوي النوايا السيئة تعكير الصفو، وإفساد هذه العلاقة الطيبة.

وأكفي فيما يأتي ببعض الواقع شاهداً على طبيعة هذه العلاقة:

١- أراد بعضهم أن يحدث فتنة بين الإخوان والمسيحيين في مطلع الدعوة والإمام البنا مدرس بالإسماعيلية، فكتب أحدهم عريضة بتوقيع "مسيحي" يذكر فيها أن "المدرس المتعصب" حسن البنا يرأس جماعة متغيبة اسمها "الإخوان المسلمون"، وأنه يهين ويضطهد التلاميذ المسيحيين، ويفضل التلاميذ المسلمين عليهم. ويرى كاتب العريضة ضرورة نقل هذا المدرس من الإسماعيلية حتى لا تكون فتنة، وحولت هذه العريضة إلى ناظر المدرسة؛ فاستاء المسيحيون منها جداً، وجاء وقد عظيم منهم إلى المدرسة معلناً استنكاره، وعلى رأس هذا الوفد راعي الكنيسة الأرثوذكسية.

وكتب كثير من أعيان الأقباط، وكذلك الكنيسة بختمتها وتوقيع راعيها، عرائض وخطابات استنكار أرفقها الناظر بتقريره الذي ختمه بقوله: أرجو وزارة المعارف ألا ترهقنا بمثل هذه المجهولات، وأن تتحقق فيها بمعروفتها بعد أن ثبت أنها جميعاً أمور كيدية لا يراد من ورائها خير^(١).

(١) المذكرات: ١١٨.

٢- وحينما نقل حسن البنا سنة ١٩٤١م من القاهرة إلى "قنا" نتيجة ضغط الإنجليز على حسين سري باشا - رئيس الوزراء - تسابق كثير من المنافقين ودعاة الفتنة إلى نشر إشاعة بين الأقباط في قنا تصور حسن البنا والإخوان مبغضين للأقباط، عاملين على الإضرار بهم؛ فكيف قضى الإمام البنا على هذه الفرية؟ إن الجواب نجده في السطور الآتية من رسالة بعث بها حسن البنا من قنا إلى أبيه في القاهرة:

".. الجمعية - جمعية الإخوان بقنا - تسير بخطى موفقة، وكانت عندنا بالأمس حفلة كبيرة دعونا إليها كل الطائفة القبطية وعلى رأسها المطران، وأقبلوا جميعاً لم يختلف منهم أحد، وكانت صفعة قوية لمنافقي المسلمين الذي يتزلقون إلى هؤلاء بالفتنة، ولقد كنت صريحاً جداً في لباقته في بسط فكرة الإخوان بصورة حازت إعجاب الجميع، والحمد لله، وكل شيء على ما يرام".^(١)

٣- وقد أراد الأستاذ البنا أن يضرب المثل في سماحة الإسلام، وأن الإخوان لا يفهمون دينهم على أنه تعصب، فحينما رشح نفسه في الانتخابات النيابية سنة ١٩٤٤م - في عهد وزارة أحمد ماهر باشا - عن دائرة الإسماعيلية، كان وكيله في لجنة الطور يوناني مسيحي متصر يدعى "الخواجة باولو خريستو"، وكانت تلك اللفتة الذكية محل تعليق وسخرية من أحمد ماهر ومحمود فهمي النقراشيقطبي الحزب السعدي الحاكم.^(٢)

٤- وكان المسيحيون - على مستوى مصر كلها - يشعرون بروح الود والسامحة المتبادلة بينهم وبين الإخوان، فكانوا يتداولون الزيارات وخصوصاً في المناسبات

(١) من "خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه"، ١٣٦. جمع جمال البنا (دار الفكر الإسلامي - القاهرة. د.ت).

(٢) انظر: أحمد عادل كمال: النقط فوق الحروف، ٩١.

الدينية، وكان الإخوان ينشرون في صحفهم أخبار هذه الزيارات، ومثال ذلك الخبر التالي المنشور في صحيفتهم:

زار نيافة مطران الشرقية والمحافظات دار الإخوان المسلمين بالزقازيق يوم العيد، ومعه أعيان المسيحيين بالشرقية يهنئون الإخوان بعيد الأضحى المبارك، وأذاع نيافته نشرة مطولة بعنوان (هدية العيد) تدور حول معنى (الاتحاد رمز الانتصار)، وقال في آخرها: أشكر جمعية الإخوان؛ لأنهم إخوان في الشعور، إخوان في التضامن، إخوان في العمل^(١).

٥- ولكن هذا التسامح لم يُشُبِّه شيء من التهاون والتفريط في قيمة من القيم الدينية أو الوطنية، فحينما رأى الإخوان أحد كبار رجال الدين المسيحي وهو "القمص سرجيوس" يتصرف بما يسيء إلى الدين والوطنية؛ هاجموه بشدة في صحيفة الإخوان، وما جاء في الصحيفة: علمنا أن القمص سرجيوس يجتمع بمواطنينا الأقباط في "التل الكبير"، وأن هذا الاجتماع يتم في كنيسة داخل أحد المعسكرات البريطانية، فماذا وراء هذه الاجتماعات؟

وهل هناك تدبير مبيت للاعتداء على كنيسة أخرى مثل كنيسة الزقازيق؟ إن أصبح المستعمر في إثارة الفتنة بادية وملمودة، وإن كان للإنجليز أن يطبقوا سياستهم التي استعمروا بها العالم – وهي التفرق بين أبناء الوطن – فكيف يسمح رجل من رجال الدين لنفسه أن يكون مطية لأعداء الوطن والدين؟^(٢).

ويظهر أن "سرجيوس" بتصرفاته هذه، وبمقالات نشرها ينال فيها من المرشد العام ودعوة الإخوان، قد أساء إلى شعور عقلاه المسيحيين، فكتب أحدهم (واسمه أمين برسوم):

(١) صحيفة "الإخوان المسلمون"، العدد ١٥٨، السنة الأولى ١٦ من ذي الحجة ١٣٦٥هـ (١٠ من نوفمبر ١٩٤٦م). عن كتاب السيسي (في قافلة الإخوان المسلمون) ١٢٨/١.

(٢) صحيفة الإخوان العدد ٣١٥، السنة الثانية: ٢٢ من جمادي الثانية ١٣٦٦هـ (١٣ من مايو ١٩٤٧م) عن السيسي: السابق ١٢٨/١.

إخواني في الوطن: مما يأسف له جميع الأقباط ما اطلعنا عليه من مقالات القمص سرجيوس المخزية التي لا يصح أن تصدر من رجال الدين الأطهار الذين هم فخرنا، وهي تحوم حول المرشد العام للإخوان المسلمين.

إننا نستذكر تلك المقالات؛ لأننا نشعر بالأخوة التي بيننا وبين إخواننا المسلمين؛ لأن الوطن للجميع والدين للديان، وإن القمص سرجيوس معروف بأنه صاحب اللسان اللاذع^(١).

٦- وتم على التسامح الديني – كما سنرى – الرسائل التي أرسلها الإمام الشهيد إلى القيادات الدينية القبطية، مثل: الأنبا يونس بطريرك الأقباط الأرثوذكس في مصر، والأنبا يوساب الثاني بابا، وبطريرك الكرازة المرقسية، وكذلك رسالته إلى حاخام الطائفة الإسرائيلية في مصر.

٧- لقد كان المرشد – رحمه الله – مطبوعاً على الطيبة والتسامح وسعة الأفق والبعد عن التعصب والتزمت، ومما جاء في مذكراته هذه الصورة العفوية الدالة، وهي غنية عن كل تعليق^(٢).

.. ومن الطرائف أننا بعد أربعين يوماً من نزولنا إلى الإسماعيلية لم نسترح في الإقامة في البنسيونات، فعولنا على استئجار منزل خاص، فكانت المصادفة أن نجد دوراً أعلى في منزل، استأجر دوره الأوسط مجتمعاً لمجموعة من المواطنين المسيحيين اتخذوا منه نادياً وكنيسة، وكنا نحن بالدور الأعلى نقيم الصلاة، ونتخذ من هذا المسكن مصلى، فكأنما هذا المنزل يمثل الأديان الثلاثة، ولست أنسى "أم شالوم" – سادنة الكنيسة - وهي تدعونا كل ليلة سبت لنضيء لها النور، ونساعدها في "توليع وابور

(١) عن السيسى: السابق ١٤٣/١.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ٩٢ (وحسن البناء تخرج في دار العلوم في يونيو ١٩٢٧م، وسافر إلى الإسماعيلية في ١٦/٩/١٩٢٧م ليتسلم العمل بها مدرساً. وأنشأ أول شعبة للإخوان بالمدينة في مارس ١٩٢٨م).

الجاز". وكنا نداعبها بقولنا: إلى متى تستخدمن هذه الحيل التي لا تنطلي على الله!! وإذا كان الله قد حرم عليكم النور والنار يوم السبت - كما تدعون - فهل حرم عليكم الانتفاع أو الرؤية؟ فتعذر وتنتهي المناقشة بسلام.

حسن البنا.. دكتاتور.. ١١٠.

ومن هذه الافتراضات القول بأن حسن البنا اعتمد على الفردية والدكتاتورية في قيادة الجماعة وتسيير أمورها، فيدعي أحد الباحثين أن المرشد العام "حسن البنا" استأثر بإصدار القرارات رغم وجود عدة مستويات تنظيمية للجماعة كانت لها اختصاصات محددة - ولو من الناحية النظرية - في إدارة الجماعة وتوجيه سياستها؛ لأن المرشد العام كان الموجه لهذه المستويات، والمحدد لاختصاصاتها، علاوة على تحكمه في اختيار أعضائها، حيث كان يتولى اختيار أعضاء الجمعية التأسيسية بشكل نجبو لا ديمقراطي.

فقد كان للمرشد العام اليد الطولى في اختيار أعضاء الجمعية التأسيسية التي كانت تتخب أعضاء مكتب الإرشاد من بين أعضائها، والذين جاءوا من يعرفهم المرشد العام معرفة شخصية، ويستطيع إقناعهم دونما عناء بإصدار قرارات الجماعة بالإجماع.

وصياغة حسن البنا مثل هذا البناء التنظيمي كان انعكاساً لاتجاه البنا منذ تأسيس الجماعة بالإسماعيلية إلى ربط الجماعة بشخصه، والإمساك بكل خيوطها، ويفكك هذا خروج بعض أعضائها عليها وهي لا تزال في الإسماعيلية بدعوى افتقادها لحرية الرأي، وعدم التزامها بنظام الشوري، بعد أن أصبح مجلس إدارتها وجمعيتها العمومية لا تخالف للمرشد العام أمراً، وتطيعه طاعة عمياً.

وبعد أن نقلت الجماعة نشاطها إلى القاهرة، وازداد عدد أعضائها بازدياد شعبها في أنحاء البلاد، اتجه المرشد العام إلى تركيز السلطة بيده حتى يتمكن من تحقيق الترابط للجماعة وضمان انتظام أعضائها، وقد جاء هذا التركيز على حساب مبدأ الشوري، أحد المبادئ الأساسية للجماعة، الذي عطل العمل به بعد أن رأى أنه لا شوري في الدعوة التي يجب أن ينهض بها فرد واحد له أن يأمر، وعلى الجميع الطاعة، وأن الشوري فيها ليست ملزمة، للمرشد أن يأخذ برأي مكتب الإرشاد، كما يجوز له مخالفته.

كذلك اعتبر المرشد العام أن مجرد مناقشة أعضاء الجماعة - وبخاصة في المستوى القيادي - لأمورها تحت شعار الديمقراطية والحرية الشخصية يعد مظهراً جديداً وغريباً عليها، وبدعة يترتب عليها تفكيك الجماعة... ولذا؛ فإن دور الأعضاء يجب أن ينحصر في الثقة بالقائد والإخلاص والسمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره.

وانطلاقاً من هذا؛ عمل البناء على الحيلولة بين أعضاء الجماعة الذين يمكن أن ينافسونه على قيادتها، وبين منطقة اختصاصه، وكان على رأس هؤلاء نائب صاحب عشماوي الذي تجاوزه عندما كان يقوم باختيار أحد أعضاء الجماعة المقربين إليه للقيام بمهامه عند مغادرته القاهرة إلى الأقاليم لفترة حتى في حالة وجود نائب بالقاهرة. هذا علاوة على تصفية كل تجمع معارض له بالجماعة، وكذلك إقصاء كل عضو ينمو نفوذه، أو تستطيل هامته حتى تشارف هامة المرشد، أو ينذر بأن يكون قطباً ثانياً جاذباً لأي اتجاه معارض^(١).

و قبل تفنيد هذه المزاعم، ودفع الخلط الذي وقع فيه هذا الباحث، أرى من اللازم أن أذكر القارئ بملمح من أهم ملامح الإمام الشهيد حسن البناء - رحمه الله - وهو "قوة الأسر وشدة التأثير" في مريديه وإخوانه، وإنما عليهم على حبه والاستجابة له، وهو ملحم نفسي لم ينبع من فراغ، فقد كان الرجل ذكيًا واعيًا، قوي الشخصية، عالماً وخطيباً متدفعاً يخاطب كل جمع بلغته، وينادي مريديه بأسمائهم، ويدركهم بأحداث ووقائع وخصوصيات مضى عليها من الزمن سنوات مديدة؛ مما يشعر الإخوان بأنه يعيشهم واحداً واحداً، فبادلوه بذلك حباً غامراً عميقاً مبنياً على الثقة الصادقة. وفي ذلك يقول الإمام الشهيد في "رسالة التعاليم" :

(١) د. أحمد الشربيني، ١٢٣-١٢٢، من كتاب (الأحزاب المصرية من سنة ١٩٢٢م - سنة ١٩٥٣م) - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة ١٩٥٥م.

"والقائد جزء من الدعوة، ولا دعوة بغير قيادة، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة، وإحكام خططها، ونجاحها في الوصول إلى غايتها وتغلبها على ما يعرضها من عقبات وصعاب **﴿فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةً وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾** (محمد: ٢٠ - ٢١).^(١)

فهي إذن طاعة مبصرة لا طاعة عمياء، طاعة افتتاح لا طاعة إجبار وإذعان. والقيادة الإخوانية حينما كانت توجه وتحل محلها - كما يقول الإمام البنا - بما لها من "حق الوالد بالرابطة القلبية، والاستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربيه الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة".^(٢)

والمرشد البنا - رحمه الله - كان مثلاً للقيادة في صورتها التموزجية، وهي القيادة التي تجمع "بين الشخصية القوية، والخبرة الواسعة بالتاريخ والحياة والمجتمع، والمعرفة بنفسية الأمة، والخبرة بإمكاناتها وطاقاتها، والاضطلاع بالقضايا الكبرى التي تغير مسيرة الأمة، وتحظى بها خطوات واسعة نحو التقدم والتجدد والرفاهية".^(٣)

وهذا النوع من القيادة القوية المؤثرة الأسرة يسميه بعضهم "القيادة الكاريزمية"^(٤)، فلا عجب إذن أن يجذب الإخوان - بمجدهم ولجانهم في اتخاذ قرارتهم - إلى رؤية الإمام الشهيد، وخصوصاً في السنوات الأولى من عمر الدعوة. وهي استجابة ومسايرة طبيعية لرجل رصد عمره كله للجهاد، والعمل الدائب لإعلاء كلمة الله. وهذا

(١) مجموعة الرسائل، ٢٩٩.

(٢) السابق: الصفحة نفسها.

(٣) محمد علي الفتى: الزعيم: العبرية والزعامة السياسية، ٢٣٢ (ط ٢) - يناير ١٩٧٥ م - مؤسسة دار الشعب - القاهرة).

(٤) تقرير الحالة الدينية في مصر، ١٦٦ (ط ٣) ١٩٩٥ م - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة).

ومصطلح "الكاريزمية" مأخوذ من الكلمة الإنجليزية "CHARISMA" أو CHARISMA، ومن معانيها في الإنجليزية القدرة الخارقة، وسحر الشخصية والجاذبية.

THE AMERICAN HERITAGE DICTIONARY P. ٢٦٠ (Second College Edition - Boston. U.S.A).

التوافق، أو هذا الانسجام بين رؤية القائد ورؤية الجنود والمریدین هو ما فهمه الكاتب – الذي عرضنا له – فهماً مغلوظاً، وفسره بأنه "استئثار المرشد العام للإخوان بإصدار القرارات، وتركيز السلطة بيده"^(١).

وبناء على هذه الرؤية المغلوظة يقول هذا الكاتب: "فإن دور الأعضاء يجب أن ينحصر (كذا) في الثقة بالقائد والإخلاص والسمع والطاعة في العسر واليسر والنشط والمكره؛ لأن القائد تسلم الراية من رسول الله، وليس لأحد أن يحاسبه أو يراقبه"!!

والكاتب هنا يلجم إلى طريقة تتعارض مع أبسط قواعد المنهج العلمي، وهي: اقتطاع النصوص من سياقها بصورة تخدم هدفه، مع عزل النص عن الجو العام الذي هيمن عليه: فمسألة "السمع والطاعة في العسر واليسر والنشط والمكره.." ساقها الإمام الشهيد "سمة" من سمات "العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد"، وهي مرحلة من مراحل دعوة الإخوان سماها "مرحلة التكوين" ، وهي مرحلة تأتي وسطاً بين "مرحلة التعريف" و"مرحلة التنفيذ" ، ويدرك أن نظام الدعوة في مرحلة التكوين هذه: صويف بحث من الناحية الروحية، عسكري يبحث من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائماً "أمر وطاعة" من غير تردد ولا مراجعة، ولا شك ولا حرج، وتمثل الكاتب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة، وتمثلها رسالة المنهج سابقاً، وهذه الرسالة الآن"^(٢).

والرسالة التي يشير إليها الإمام البنا هي رسالة "التعاليم" ، وهذه الرسالة بخاصة – كما قال الإمام البنا في تصديرها – موجهة إلى "الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، الذين آمنوا بسمو دعوتهم، وقدسيّة فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها، أو يموتونا في سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط: أوجه هذه الكلمات، وهي

(١) الشرييني: مرجع سابق، ١٢٢.

(٢) من رسالة التعاليم: مجموعة الرسائل، ٣٩٧.

ليست دروساً تحفظ، ولكنها تعليمات تنفذ... أما غير هؤلاء، فلهم دروس ومowaazin وكتب ومقالات...".

فالحديث إذن موجه إلى فئة من الإخوان هم الذين أعدوا ويعدون إعداداً عسكرياً للجهاد، ومن البدهيات أن "السمع والطاعة" أهم قواعد الحياة العسكرية على مستوى العالم كله.

بل إن الإمام الشهيد كان يغرس في نفوس الإخوان روح الشورى والأخذ برأي الجماعة من مطلع بداية الدعوة في الإسماعيلية، فلم يقطع أمراً مهماً دون استشارة، وأخذ برأي الأغلبية. ومن المواقف التي تدل على ذلك:

١- حينما رأى الإمام البنا أن يرشح عالماً جليلًا هو "الشيخ علي الجداوي" نائباً عنه، وهو من أفضل الإخوان خلقاً وديناً.. حسن التلاوة لكتاب الله، جيد المشاركة في البحث، دائم الدرس القراءة، ومن أقرب الناس إلى قلوب الإخوان، وأحبهم إليهم^(١).

وكان من الممكن أن يصدر الإمام البنا قراراً بتعيينه بناء على هذه المسوغات، ولكنه دعا إلى اجتماع شامل، وعرض على المجتمعين رأيه في ترشيح الشيخ علي نائباً "فوافقوا عليه بالإجماع في فرج شامل وسرور عجيب بهذا الاختيار"^(٢).

٢- كان هناك أربعة فسدة طويتهم، فادعوا أن هذا "الاختيار" لم يكن قانونياً لعدم اكتمال الجمعية العمومية ومفاجأة المجتمعين بهذا الترشيح، وحتى لا تكون فتنة دعا الإمام البنا إلى الاجتماع من جديد "وأجتمع الإخوان"، وظهرت نتيجة الانتخاب، فإذا هي إجماع رائع - عدا أصوات هؤلاء الأربعة - على اختيار الشيخ علي^(٣).

(١) المذكرات، ١٥٠.

(٢) السابق: الصفحة نفسها.

(٣) السابق، ١٥٤.

٣- وهناك موقف للمرشد البنا قد يراه بعضهم فيه منفرداً مستبداً برأيه، خارجاً على الإجماع، ولكن لننظر إلى هذا الموقف نظرة متأنية: اتخذ الإخوان قراراً بترشيح المرشد العام عن دائرة الإسماعيلية في الانتخابات التي أعلنت حكومة الوفد إجراءها سنة ١٩٤٢ م.

وبعد بضعة أيام، تلقى المرشد دعوة بمقابلة رئيس الوزراء مصطفى النحاس، وتمت مقابلة، وطلب منه النحاس أن يتنازل عن الترشيح لمصلحة مصر ومصلحة الجماعة؛ بسبب ضغوط الإنجليز عليه، وإلا فهو مضطرب إلى حل الجماعة ونفي زعمائها خارج مصر؛ تحقيقاً لرغبة الإنجليز الذين كانوا يمرون بظروف عصبية جداً في حربهم مع الألمان، والإنجليز - كما قال النحاس للمرشد - يقدرون على كل شيء، وفي استطاعتهم أن يدمروا البلد في ساعتين^(١).

وعرض المرشد الأمر على هيئة مكتب الإرشاد؛ فلم توافق الأغلبية على التنازل، ولكنه رأى أن الخير في التنازل، ليس خوفاً من النفي، ولكن حرصاً على مصلحة الجماعة وحماية لها من الحل من ناحية، ومن ناحية أخرى: حرصاً على مصلحة مصر التي كان الإنجليز يتحكمون في مجريات أمرها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية:
 ፭ فهم الذين أجبروا الملك على إقالة وزارة علي ماهر؛ لأنه أعلن حياد مصر خلافاً لرغبة الإنجليز في أن تعلن مصر انضمامها إلى الحلفاء في حربهم ضد المحور، وتم لهم ما أرادوا.

፮ وهم الذين أرغموا الملك على الإتيان بوزارة مصطفى النحاس في ٤ فبراير ١٩٤٢ م بعد أن حاصروا قصر عابدين بالدبابات.

፯ وهنا وافق مجلس الإرشاد على تنازل الإمام البنا، وأثبتت الأيام بعد نظره:
 أ- فنجاجه كان مشكوكاً فيه؛ لأن الحكومة والإنجليز كانوا سيحاربونه بكل الوسائل.

(١) فريد عبيد الخالق: مرجع سابق، ٣٥.

بـ- وتركـت الحكومة الإخوانـ - مقابل هذا التـازل - ينطلقـون من بـاب مـفتوـح لـيث دعـوـتهم فيـ أنـحـاءـ القـطـرـ، فـازـدـادـ عـدـدـ الشـعـبـ بشـكـلـ مـلـحوـظـ.

جـ- وكـذـلـكـ استـجـابـ رـئـيـسـ الحـكـومـةـ - مقابل ذلكـ - لـعـدـدـ منـ الـطـلـبـاتـ الـتيـ تـقـدـمـ بـهاـ الإـخـوانـ: مـثـلـ إـحـيـاءـ الـأـعـيـادـ الـإـسـلـامـيـةـ، وـجـعـلـ الـمـولـدـ النـبـوـيـ عـيـدـاـ رـسـمـيـاـ لـلـدـولـةـ، وـإـلـغـاءـ الـبـغـاءـ، وـإـصـدـارـ قـانـونـ بـوـجـوبـ استـعـمـالـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ فيـ تـعـالـمـ جـمـيعـ الـشـرـكـاتـ وـالـمـؤـسـسـاتـ، وـفيـ مـرـاسـلـاتـهاـ^(١).

بعدـ هـذـاـ العـرـضـ نـذـكـرـ القـارـئـ بـالـحـقـائـقـ الـآـتـيـةـ:

١ـ رـأـيـ الإـمـامـ الـبـناـ - بـنـاءـ عـلـىـ ماـ اـقـتـنـعـ بـهـ مـنـ مـسـوـغـاتـ - أـنـ يـسـحبـ تـرـشـيـحـهـ لـنـيـابـةـ الـإـسـمـاعـيـلـيـةـ، وـلـكـنـ غـالـيـةـ أـعـضـاءـ مـجـلـسـ الـإـرـشـادـ رـأـتـ نـقـيـضـ ذـلـكـ، ثـمـ أـجـازـ الـمـكـتـبـ رـأـيـ الـمـرـشـدـ بـعـدـ أـنـ شـرـحـ وـجـهـ نـظـرـهـ، وـمـنـ ثـمـ يـسـقطـ الزـعـمـ بـأنـ الـمـرـشـدـ اـسـتـبـدـ بـرـأـيـهـ، وـخـرـجـ عـلـىـ الإـجـمـاعـ.

٢ـ وـمـعـ أـنـ هـذـاـ الـانـسـحـابـ كـانـ صـدـمـةـ لـشـاعـرـ جـمـاهـيرـ الإـخـوانـ، فـقـدـ حـقـقـ مـنـ الـفـوـائـدـ الـكـثـيرـ وـالـكـثـيرـ، وـتـفـادـيـ أـضـرـارـاـ جـسـيمـةـ كـانـتـ سـتـلـحـقـ بـالـأـمـةـ وـالـإـخـوانـ عـلـىـ أـيـديـ الـإنـجـليـزـ.

٣ـ وـالـقـوـةـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ - وـقـدـ كـانـتـ تـمـرـ بـأـحـرـ المـواقـفـ فـيـ الـحـربـ - كـانـتـ سـتـسـتـخـدـمـ كـلـ ضـغـوطـهـ وـإـمـكـانـاتـهـ - وـمـعـهـ الـحـكـومـةـ الـمـصـرـيـةـ لـإـسـقـاطـ الـمـرـشـدـ، كـمـاـ حدـثـ فـيـ الدـائـرـةـ نـفـسـهـاـ فـيـمـاـ بـعـدـ.. سـنـةـ ١٩٤٤ـ مـ.

وـلـمـ يـثـبـتـ فـيـ مـسـيـرـةـ الدـعـوـةـ أـنـ الإـمـامـ الـبـناـ قدـ خـرـجـ عـلـىـ إـجـمـاعـ، أـوـ انـفـرـدـ بـرـأـيـ، بلـ كـانـتـ الـأـرـاءـ تـتـخـذـ وـتـنـفـذـ بـالـأـغـلـيـةـ الـمـطلـقـةـ (أـيـ بـمـاـ يـزـيدـ عـلـىـ عـدـدـ النـصـفـ وـلـوـ بـصـوتـ وـاحـدـ)^(٢).

(١) فـريـدـ عـبـدـ الـخـالـقـ: السـابـقـ. ٣٦ـ. وـانـظـرـ كـذـلـكـ عـبـاسـ السـيـسـيـ: فـيـ قـافـلـةـ الإـخـوانـ الـمـسـلـمـينـ، ٩٣/١ـ - ٩٥ـ.

(٢) وـقـدـ انـقـدـ مـجـلـسـ الشـورـىـ الـعـامـ - وـهـوـ مـكـونـ مـنـ نـوـابـ شـعـبـ الإـخـوانـ بـالـقـطـرـ الـمـصـرـيـ - بـمـدـيـنـةـ الـإـسـمـاعـيـلـيـةـ فـيـ ٢٢ـ صـفـرـ ١٣٥٢ـ هـ (يـوـنـيوـ ١٩٣٣ـ مـ). وـبـنـاءـ عـلـىـ قـرـارـاتـهـ تـأـلـفـتـ هـيـةـ مـكـتـبـ الـإـرـشـادـ الـعـامـ لـلـإـخـوانـ مـنـ عـشـرـةـ أـعـضـاءـ. (انـظـرـ المـذـكـراتـ، ١٩٤ـ، ٢٠٣ـ - ٢٠٤ـ - ٢٠٩ـ - ٢١٠ـ).

وفي ٢ من شوال سنة ١٣٦٤ هـ (٨ من سبتمبر ١٩٤٥ م)، وافقت الجمعية العمومية للإخوان على قانون النظام الأساسي للإخوان، وأصبح نافذاً من هذا التاريخ.

وأمام تطورات الدعوة واتساع ميادين نشاطها، وأمام التجارب التي مرت بها الجماعة، رأى المرشد العام للإخوان أن يقترح على الهيئة التأسيسية المنعقدة في المحرم ١٣٦٧ هـ إدخال بعض التعديلات، فوافقت الهيئة على مبدأ التعديل، وأقرت تأليف لجنة من المرشد وثلاثة آخرين لإجراء هذا التعديل طبقاً للتوجيهات والرغبات التي أبدتها الهيئة.

وقد اجتمعت اللجنة عدة اجتماعات، وانتهت بهذا المشروع الذي عرض على الهيئة التأسيسية بجلسة يوم الخميس ٢٧ من جمادى الآخرة ١٣٦٧ هـ – الموافق ٦ من مايو ١٩٤٨ م، حيث قرئ القراءة الأولى، وأجريت بعض الرغبات والتعديلات، وأرجأت الهيئة اعتماده حتى ينظر للمرة الثانية في جلسة الهيئة التي حدد لها يوم الجمعة ١٢ من ربى ١٣٦٧ هـ (الموافق ٢١ من مايو سنة ١٩٤٨ م). وفي هذه الاجتماع أعيدت قراءة التعديل، وأقرته الهيئة بالإجماع، وصار نافذاً من هذا التاريخ طبقاً للمادة ٦٤^(١).

ومما سبق نرى أن اقتراح المرشد العام بتعديل بعض مواد القانون الأساسي للجماعة لم يأخذ طريقه، ولم ينفذ إلا من خلال الهيئة التأسيسية بعد دراسة بل دراسات وافية استغرقت عدة أشهر^(٢).

وقانون النظام الأساسي للجماعة لم يمنح المرشد العام أية سلطات استثنائية^(٣)، وتنص المادة ١٦ على أن "المرشد العام إذا أخل بواجبات منصبه، أو فقد الأهلية الالزمة لهذا المنصب، فعليه أن يتخلّى عنه، كما أن للهيئة التأسيسية أن تقرر إعفاءه في اجتماع يحضره أربعة أخماس الأعضاء، ويجب أن يكون هذا الإعفاء بموافقة ثلاثة أرباع الحاضرين.

(١) عبد الرءوف شلبي: مرجع سابق ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) تنص المادة ٦٣ من قانون النظام الأساسي بأنه لا يجوز تعديله إلا بناء على اقتراح يقدم به المرشد العام، أو مكتب الإرشاد، أو عشرون من أعضاء الهيئة التأسيسية. ولا يكون التعديل نافذاً إلا إذا وافقت عليه الهيئة التأسيسية في اجتماع يحضره ثلاثة أرباع أعضائها بالأغلبية المطلقة للحاضرين.

(٣) انظر المواد ١٠ - ١٨ من القانون المذكور.

ويتحدث الإمام البنا عن الشورى حديث من يؤمن بـإلزامها للحاكم، فهو يرى أن "من حق الأمة أن تراقب الحاكم أدق مراقبة، وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير، وعليه أن يشاورها ويحترم إرادتها، وأن يأخذ بالصالح من آرائها، وقد أمر الله الحاكمين بذلك، فقال: **«وَشَأْوِرُهُمْ فِي الْأَمْرِ»** (آل عمران: ١٥٩) وأتى به على المؤمنين خيراً فقال: **«وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ»** (الشورى: ٣٨).

ونصت على ذلك سنة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين المهدية من بعده: إذا جاءهم أمر جمعوا أهل الرأي من المسلمين، واستشاروهم، ونزلوا عند الصواب من آرائهم، بل إنهم ليندبونهم إلى ذلك، ويحثونهم عليه، فيقول أبو بكر (رضي الله عنه): فإن رأيتمني على حق فأعينوني، وإن رأيتمني على باطل فسددوني، أو قوموني. ويقول عمر بن الخطاب: "من رأى في أوجاجاً فليقومه".^(١)

وكان - رحمة الله - حريصاً على أن يغرس الإيمان بهذا المبدأ العظيم - مبدأ الشورى - في نفوس أبنائه ومريديه في كل المناسبات حتى في رسائله الخاصة، ففي رسالة جوابية منه إلى أحد الإخوان يقول: "... أما ما ذكرت من نصيحتك الغالية - والدين النصيحة يا بني، والعهد الذي بيننا إنما هو التفاهم في دين الله - فلا عليك أن تتقدم بالنصيحة مشكوراً، وتسوق الرأي الحق مأجوراً، وقد أوجب الله على القائد أن ينزل عند الحق، وإن جاءه على يد أصغر جنده، بل إن رأه عند أجنبي عنه، والحكمة ضالة المؤمن، فإن وجدها فهو أحق الناس بها. وهذا سيد خلق الله وأكملهم عقلاً وأسدتهم رأياً رسول الله ﷺ يأخذ برأي الحباب في شأن من أهم شؤون الدعوة في القتال والغزو، فمرحباً بـنصحك، ووفقنا الله وإياك على الأخذ بـسبيل الخير...".^(٢).

(١) مجموعة الرسائل، ٢٣٥.

(٢) عن كتاب "١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية": جمع وتعليق: د. عبد العظيم المطعني: ١٢ - ١٣ (دار الأنصار - القاهرة. د.ت.).

الغموص وضبابية الفكر !!

ويذهب بعضهم إلى أن الجماعة - في دور التأسيس وخاصة - "قد أحاطت فكرها بقدر كبير من العموميات مما جعله يتسم بالغموض"^(١).

ويستند أصحاب هذا الرأي إلى بعض مقولات المرشد، مثل:

١- دعوتنا إسلامية بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ، فافهم منها ما شئت بعد ذلك، وأنت فهمك هذا مقيد بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة السلف الصالح من المسلمين...".

٢- "أيها الإخوان، أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزباً سياسياً، ولا هيئه موضعية لأغراض محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن.. وصوت داٍ يعلو مرداً دعوة الرسول ﷺ ومن الحق الذي لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلي عنه الناس"^(٢).

٣- "... دعوة الإخوان فكرة جامعة تضم كل المعاني الإصلاحية: فهي دعوة سلفية، وحقيقة صوفية، وهيئه سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية وثقافية، وشركة اقتصادية..."^(٣).

٤- "... سننتقل من حيز الدعوة الخاصة إلى الدعوة العامة أيضاً، ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال، ولسنا بذلك نخالف خطتنا أو ننحرف عن طريقنا - بالتدخل في السياسة - كما يقول الذين لا يعلمون - ولكننا ننتقل بذلك خطوة ثانية في طريقتنا الإسلامية، وخطتنا

(١) تقرير الحالة الدينية، ١٦٨.

(٢) السابق: الصفحة نفسها.

(٣) السابق ١٧٠ (وقد أحال الكاتب على مجلة (الإخوان المسلمين) العدد ٣٠ - الصادر في ٢٩ من نوفمبر ١٩٣٤).

المحمدية، ومنها جنا القرآني، ولا ذنب لنا أن تكون السياسة جزءاً من الدين، وأن يشمل الإسلام الحاكمين، كما يشمل المحكومين...^(١).

ويرى هؤلاء أن الجماعة تعمد لوضع إطار فضفاض لفكرها العام يمكنها من التعامل مع السلطة ومع القوى السياسية الأخرى بقدر كبير من حرية الحركة، وبما لا يجعلها تخضع لقوانين ونظم محددة كسائر القوى السياسية، وفي الوقت نفسه يساعدها في جذب الكثيرين من الأعضاء لها في ظل شعارات عريضة غير محددة المعاني^(٢).

ولعل أبرز الأخطاء التي وقع فيها أصحاب هذه الوجهة ربطهم الحاد بين ما سموه "بالعموميات" وبين "الغموض"، مع أنه لا تلازم ضروريًا بين الأمرين، فهذه "العموميات" – في مرحلة نشأة الدعوة وخاصة – كانت وما زالت تعنى التمثيل الكلي الطبيعي "لثوابت" الدعوة، والأبعاد الرئيسية لشخصية الجماعة، وبعد ذلك – وهو وضع طبيعي أيضًا – جاء التفصيل على مدى عشرين عامًا، هي عمر الدعوة في حياة الإمام الشهيد.

وأين الغموض فيما ذكره الإمام البنا من أن الإخوان يعتقدون ويعرضون الإسلام "بمفهومه الشمولي"؟ ثم نرى البنا يعرف "هوية" الجماعة تعريفاً مانعاً جامعاً – كما يقول المناطقة – وذلك من ناحيتين: سلبية وإيجابية: فنفي عنها محدودية الطابع، وانحصرية المجال، فهي ليست جمعية خيرية، ولا حزباً سياسياً، ولا هيئه موضعية محدودة المقاصد... إلخ، ولو كانت كذلك لما كانت الساحة العربية أو المصرية في حاجة إليها، لوجود الأحزاب والجماعات المحسوبة في نطاق هذه المحدودات.

(١) السابق، الصفحة نفسها (وقد أحال الكاتب على العدد الأول من مجلة "النذير" – ٣٠ من ربيع الأول ١٣٥٧).

(٢) تقرير الحالة الدينية، ١٧٠.

وإيجاباً أثبت الإمام المرشد لها "المواصفات" التي لم تجتمع لحزب أو جمعية قائمة آنذاك. وهذه الموصفات تمثل الطوابع والأبعاد الحية للإسلام، وهي طوابع سلفية، وروحية، ورياضية (عسكرية)، وثقافية، وعلمية، وسياسية، وكلها تعكس حقيقة الإسلام بمفهومه الشمولي.

ودأب الإمام الشهيد على تفصيل هذه "العموميات" وشرحها في خطبه وأحاديثه ورسائله، وانطلق علماء الإخوان ومفكروهم من تلميذ حسن البنا ومريديه؛ فكتبوا عشرات – بل مئات – من الكتب والدراسات ارتكازاً على هذه الأصول و"العموميات".

إن مقولات حسن البنا لا يستعصي فهمها على نصف المتعلم، بل على الرجل الأمي، ولو كانت هذه "العموميات" غامضة مستعصية على الأفهام، ما استطاع الإمام البنا أن يجمع حوله مئات الآلاف من الشباب والكهول والشيوخ، منهم نسبة عالية جداً من الفلاحين والعمال كانوا يفهمون هذه الكلمات، ويتدارسونها في "الأسر"، وينشرونها بين الناس على نطاق واسع.

وهذه "الشمولية القاعدية" لم يكن الهدف منها – كما قيل – "الانفلات" من الأنظمة والقوانين، فتاريخ الجماعة مع نظم الحكم معروفة، ولم تتعرض جماعة للاضطهاد والظلم والقتل والسجن والتشريد – في مصر والشرق العربي – كما تعرضت جماعة الإخوان، وذلك باسم "قوانين ونظم" وضفت على مدى أربعة عهود – ابتداء من عهد الملك فاروق حتى الآن.

وقد ثبت – ابتداء من عشرينات هذا القرن – أن القوانين في مجال العمل السياسي والحزبي لا يرتبط تطبيقها بعموميات وخصوصيات في منظمة مبادئ الأحزاب والجماعات، ولكن تطبيقها واعمالها يرتبط – في كل الحالات – بمشيئة الحاكم، وبعضها – كما رأينا في العقد الأخير – يشرع وينفذ "بالمنهج الترمذى"، أي "يقصد"

و"يفصل" و"يحاك" على قدّ معين لا يتعاده، وذلك تبعاً لمشيئة سيادية علياً تملك من الإمكانيات والآليات ما يمكنها من إخراص أي لسان.. بل قطعه.

ويرتبط بفرية "الغموض" اتهام الإخوان بأنهم "يخوضون الحياة السياسية من دون أن يكون لهم برنامج محدد"، وأقول: إننا في مصر والشرق العربي لا ينقصنا اللوائح والبرامج والقوانين بقدر ما ينقصنا النوايا الطيبة والعزם الصادق والتنفيذ الأمين.

ولعل مثل هذه الحال هو ما دفع المفكر "الكسيس كاريل" إلى قوله: "إن البرنامج قد يخفى التجربة الحية خلف درع صلبة، إنه سيمنع انبثاق غير المتباً به، ويحبس المستقبل داخل حدود عقلنا"^(١).

وما أكثر البرامج التي طرحتها الأحزاب المصرية! ابتداء من حزب الوفد، ومروراً بأحزاب الثورة: الاتحاد القومي، وهيئة التحرير، والاتحاد الاشتراكي، وحزب مصر، والحزب الوطني، وكانت الحصيلة التي تعود على الوطن ضئيلة.. ضئيلة جداً، ولا أريد أن أعرض في هذه الصفحات لمظاهر التخلف والانكسارات التي جرتنا إليها هذه الأحزاب والحكومات التي تمثلها على الرغم من "مثالية" برامجها، وذلك لافتقارها لما ذكرته من النوايا الطيبة وصدق العزم، وأمانة التنفيذ^(٢).

(١) الكسيس كاريل: الإنسان ذلك المجهول، ٣٥٩ (تعریف شفیق أسد فرید - مکتبہ المعارف - بیروت. ط (٢) ١٩٨٠م).

(٢) ومن أغرب متعلقات "البرنامج" ما أعلنه الرئيس السابق محمد أنور السادات فجأة من قيام حزب جديد هو "الحزب الوطني الديمقراطي" برأسه السادات، مع أن "حزب مصر" وهو الحزب الحاكم آنذاك كان قائماً. وبعد دقائق من هذا الإعلان السداداتي انتقل أغلب أعضاء مجلس الشعب من حزب مصر إلى الحزب الجديد: الحزب الوطني الديمقراطي. (وهذا ما كان السادات حریصاً عليه).

وفي صحيفة "الأخبار" الصادرة في ١٥/٨/١٩٧٨م كتب مصطفى أمين تحت "فكرة": "كنت أتمنى لو أن أعضاء مجلس الشعب لم يهربوا إلى الانضمام إلى حزب الرئيس السادات، بل انتظروا حتى يعلن السادات "برنامج الحزب" ، ويبحثوه ويدرسوه، ثم يقتعوا به، وبعد ذلك يقررون الانضمام...".

ومع ذلك أقول: إذا كان المقصود بالبرنامج تحديد هوية الحزب أو التجمع السياسي وخطة عمله: وسائل وأهدافاً، فإن لهذا كلها وجوده المسجل في لوائح الإخوان وقانونهم الأساسي وكتبهم، وهي تعد بالمئات، بل إنهم - جماعة وأفراداً - يأخذون أنفسهم عملياً وسلوكياً بما كتبوا ونظروا، وكان وجودهم الغالب في النقابات المهنية كنقابة المحامين ونقابة المهندسين ونقابة الأطباء، وما حقوقه من كسب - لا سابقة لها - لأعضاء هذه النقابات.. تطبيقاً عملياً لبعض برنامج الجماعة في نطاق هذه القطاعات.

وأصحاب الفقه السياسي عرّفوا "البرنامج الحزبي" Party Platform " بأنه بيان على يصدره حزب من الأحزاب حول خطة الحزب وسياساته وأهدافه والوسائل التي يتولى استخدامها لتحقيقها في حال تسلمه زمام الحكم، أو إبان تسلمه الحكومة، أو من خلال وجوده في المعارضة وخارج الحكم^(١).

= وعوقب مصطفى أمين على هذه "الفكرة"، فأصدر وزير الإعلام عبد المنعم الصاوي قراراً بمنع مصطفى أمين من "الكتابة السياسية"، واختفت "فكرة" من صحيفة الأخبار ابتداء من ١٩٧٨/٨/١٨.

وفي صحيفة الأخبار بتاريخ ١٩٧٨/٨/١٧م ينشر المخرج حسام الدين مصطفى مقالاً بعنوان "لا يا أستاذ مصطفى.. نضال السادات هو البرنامج" وفيه يقول .. إن هرولة أعضاء مجلس الشعب للانضمام إلى الحزب هو أمر طبيعي، وتعرف تلقيائي صادق، إنهم لم ينتظروا إعلان برنامج الحزب؛ لأن السادات نفسه هو البرنامج.. وهو برنامج يختلف عن برامج الأحزاب في العالم، فكلها برامج مكتوبة، أما حزب السادات ف برنامجه حي، بل هو متدفق الحيوية، وبرنامجه نعيشه أقوى ألف مرة من برنامج نقرؤه..".

عن مقال لنا بعنوان "عندما يكون النفاق ظاهرة صحية" - مجلة "المجتمع" الكويتية، العدد ١٢١٩ - ١٨ من جمادي الأول ١٤١٧هـ - ١ من أكتوبر ١٩٩٦م.

وما ذكرته آنفًا - على سبيل الاستطراد - يعد ردًا ميدانيًا على "المفترين" ويبين عن حقيقة "البرنامج" ، ومكانته في واقعنا الحزبي وطبيعة النظر إليه، ومدى الالتزام به.

(١) موسوعة السياسة: عبد الوهاب الكيالي وآخرون ٥٢٦/١

ولكنهم ذكروا كذلك أنه "بالنسبة للأحزاب العقائدية، فإن البرنامج يشكل جزءاً من نضال طويل ثابت الأهداف، متغير الشعارات^(١)، والمقصود بتغيير الشعارات تطوير الوسائل والآليات وما يقبل التطوير من المبادئ دون النيل من الثوابt والأساسيات، وسنرى في الصفحات القادمات من هذا البحث مصداقية ذلك بالنسبة لرسائل الإمام الشهيد ومؤتمرات الإخوان وطروحاتهم الفكرية، وذلك يؤكد أن اتهام هذا المعروض بالغموض مسألة تتعلق "بالمتلقى" لا بالعارض الداعية، ولا بالمعروض الفكري والعقدي في ذاته، وتعليق هذه "الظاهرة" يتلخص فيما يأتي:

١- سوء النية، والحرص على تشويه منظومة الفكر الإخواني لأسباب ودافع مصلحية خاصة أو حزبية أو سلطوية أو غيرها.

٢- سطحية القراءة وضعف الاستيعاب، والاكتفاء بقراءة جزئيات مبتورة من سياقاتها، وبناء أحکام عليها تحمل في طياتها نوعاً من إيهام الآخرين بدقتها وحسمنها، وعدم قابليتها للمراجعة.

ومن فضول القول أن أقرر هنا أن الحكم لا يأخذ صورة الجسم العلمي الدقيق إلا بعد قراءة شاملة متعمقة للمطروحات المرشد العام ومفكري الجماعة في المجالات السياسية والاجتماعية والعقدية. ومعالجة كل أولئك بفكر مفتوح ومنهج علمي، بعيداً عن التحيز والتغصّب والأثرة.

٣- التشكيك في قدرة الإسلاميين على الحكم، فالمعروف أن جماعة الإخوان هي كبرى الحركات الإسلامية في القرن العشرين، كما وصفها بحق الدكتور إسحاق موسى الحسيني في كتابه الموسوم بهذا العنوان، المعروف أن الإخوان

(١) السابق: الصفحة نفسها.

وانظر كذلك ص ٢١٤ - ٢١٦ من: المعجم الدستوري: أو ليفييه دوهاميل - أيف ميني. ترجمة منصور القاضي ط (١) ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م. (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت).

ال المسلمين يدعون إلى إقامة خلافة إسلامية وحكم إسلامي على أساس من القرآن والسنة، مع الإفادة من التجارب والمعطيات والآليات والأساليب المعاصرة، وتشويه الطروحات الإخوانية وإنكار قدرة الإخوان على تولي الحكم وقيادة مسيرة الشعب ينسحب - من باب أولى - على الجماعات والحركات الإسلامية الأخرى، لا في مصر فقط، ولكن على مستوى العالم العربي والعالم الإسلامي.

ولم تتوقف مسيرة الأكاذيب

لقد بدأت دعوة الإخوان منذ سبعين عاماً، ومضى على استشهاد الإمام البنا قرابة نصف قرن، ومع ذلك ما زال المرشد ودعوته هدفاً لسهام الإفك والكذب والاتهامات الباطلة، والذين يتولون كبر هذه الحملات يستغلون ضعف ذاكرة شعبنا الطيب، وبعد العهد بين الشباب المعاصر ودعوة الإخوان في مطالعها، فيبسطون القول والاتهامات كما يشأون، وفي الصحف والمجلات القومية متسع رحيب لمثل هذه الاتهامات في شكل مذكرات أو ذكريات، أو فصول تاريخية بعيدة كل البعد عن الإنصاف.

ولعل الجديد في هذا المجال نزول رجال السلطة من قادة المباحث وأمن الدولة ميدان التأليف، ومن هؤلاء اللواء فؤاد علام - مسؤول أمن الدولة الكبير الذي كان يتولى أمر الإخوان في المعقلات، فقد كتب الرجل "مذكراته" في مجلة "روز اليوسف"، ثم جمعها بعد ذلك في كتاب ضخم مطبوع طباعة فاخرة^(١).

والكتاب غاص بالأكاذيب والمفتيات والمخالفات الصارخة لكثير جداً من الحقائق التاريخية، مع أن كثيراً منها ثابت في وثائق رسمية وأحكام قضائية نهائية.

ويطول بنا المسار لو رحنا نفند تفصيليًّا ما جاء في هذا الكتاب لهشاشة وضعفه الصارخ، ثم لأن هذا التنفيذ ورد في تضاعيف بحثنا هذا بأماكن متفرقة، ولكن هذا

(١) وعنوان الكتاب "الإخوان وأنا"، وشارك في صياغته صحفي بمؤسسة روز اليوسف يدعى كرم جبر. والكتاب تقترب صفحاته من الست مائة صفحة [المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر - القاهرة ط١، ١٩٦٦].

لا يمنعنا من نقض بعض الأكاذيب الصارخة، ونكتفي بنماذج قليلة تبين عن منهج الكتاب وطبيعة مضامينه:

فالبنا في نظر فؤاد علام "كان يهوى الزعامة والسلطة، ويسعى إليهما مهما كان الثمن، وعشق العمل السري، واتخذ منه أسلوبًا لتحقيق أهدافه، وكان حلمه الذي لم يتحقق هو أن يصبح خليفة للمسلمين"^(١).

وأحمد السكري - كما يقول حسن علام - "هو المؤسس الحقيقي لجماعة الإخوان المسلمين في محمودية سنة ١٩٢٠م، وحسن البنا ليس المؤسس الحقيقي لها، بل سرقها من السكري، وبعد أن استولى عليها طرد السكري من الجماعة، وتذكر له، بسبب خلافه مع ذئب النساء، وهاتك الأعراض عبد الحكيم عابدين"^(٢).

والكلام السابق يقطع بالجهل المطبق أو التجاهل الفادح لحقائق التاريخ، وهو يشهد أن التاريخ المذكور هو تاريخ إنشاء جمعية إصلاحية في محمودية، باسم "الجمعية الحصافية الخيرية"، وانتخب أحمد السكري رئيساً لها، وحسن البنا سكرتيراً، وكان أحمد السكري أكبر من حسن البنا بقراة خمس سنين، وكان السكري تاجراً مستقراً بـالمحمودية، أما حسن البنا فكان آنذاك طالباً بمدرسة المعلمين، وكانت هذه الجمعية ذات طابع محلي إصلاحي محصور محدد، وقد ذكرنا ذلك من قبل.

(١) علام: السابق، ٣٢.

(٢) علام السابق، ٣٣. ولا أريد الخوض في مسألة أحمد السكري فحكايته أو حكاياته مع الإخوان معروفة للجميع وقد فصل من الجماعة بعد إدانته بوقائع صارخة. ولمعرفة التفاصيل ارجع إلى كتاب السيسي "في قافلة الإخوان المسلمين" ١٥٠/١ - ١٦٥، وكتاب محمود عبد الحليم (الإخوان المسلمون..) ٤٥٧/١ - ٤٦٤. وتعليق صالح أبو رقيق ص ٤٠ (هامش) من كتاب ميشيل "الإخوان المسلمون".

أما أول جمعية "للإخوان المسلمين"، فقد نشأت على يد حسن البنا بمدينة الإسماعيلية في ذي القعدة ١٣٤٧هـ - مارس ١٣٢٨م، وكان المؤسسين ستة من أهل المدينة، ولم يكن السكري واحداً من هؤلاء المؤسسين الذين قصدوا حسن البنا وبايته^(١).

ومن عجب أن ينقض علام بعد ذلك ما قاله سابقاً فيقول بالحرف الواحد: "وأسس حسن البنا معهم (العمال) أول فرع لشعبة الإخوان في مدينة الإسماعيلية سنة ١٩٢٨م"^(٢). ولكن دعك من هذا، واقرأ معى العبارات التالية من كتاب "علام" ، وأقسم لك بأغلظ الأيمان أنني أنقلها حرفيًا، فصدقتي وصدق عينيك (والكتاب موجود بلا خطاء مطبوعة).

يقول علام:

"الإخوان وحرب فلسطين من الأكاذيب الكبرى التي اخترعها حسن البنا والذين معه. نسجوا قصص بطولات تتحدث عن تضحياتهم وشهادتهم، والدماء التي أريقت على أرض فلسطين الحبيبة، وصوروا للبسطاء أنهم هم الذين خاضوا جميع المعارك على تلك الأرض المقدسة.

ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً، لم يقدموا شهيداً، ولم يطلقوا رصاصاً، ولم يريقوا قطرة دماء واحدة، ولم يستطع واحد منهم أن يقدم أي دليل على صدق ما يقول... "^(٣).

وما ادعاه علام تنقضه شهادات رجال وقادة عرفوا بصدقهم وأمانتهم وجهادهم وسمعتهم الطيبة على مستوى الشعب والدولة والوطن العربي، مثل: الحاج أمين

(١) حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، ٩٥-٩٦.

(٢) فؤاد علام: مرجع سابق ٥١.

(٣) علام، السابق، ٧٧.

الحسيني - مفتى فلسطين، وأحمد الماوي، وفؤاد صادق - قائدى الجيش المصرى في فلسطين - والسيد طه (الضبع الأسود) - قائد الفيلق المصرى الذى كان محاصراً في "الفولوجا" ، - وكان معروفاً الحضري - أحد ضباط الإخوان - الفضل الأكبر في إمداد الفيلق المحاصر بالأغذية والمؤن.

وهذه الشهادات - أو أغلبها - ثابتة في سجلات ووثائق القضاء المصري.

وما ادعاه "علام" ينقضه رجال من الإخوان أحياء كانوا جنوداً في فصائل الإخوان المجاهدين في فلسطين.

وينقضه كذلك أبناء هؤلاء الشهداء، وهم ما زالوا أحياء.

بل ينقضه الصهاينة أنفسهم، ومنهم قادة كبار صرحو إبان الحرب أنهم يقادون مواجهة مقاتلي الإخوان؛ لأنهم "يحاربون باستماتة وجنون طمعاً في عالم موهوم اسمه الجنة فيه خمر ونساء وأطعاب الطعام..." على حد قولهم.

ولن أحيل "علام" على كتاب أحد قادة الإخوان المجاهدين وهو "الإخوان المسلمون في حرب فلسطين" ل كامل الشريفي ليقرأ بطولات الإخوان في معارك "كفار ديرور" ودير البلح والعسلوج وبيربسج والتبة ٨٦، ويقرأ في الكتاب القوائم التي تضم أسماء شهداء الإخوان... لن أحيله على الكتاب المذكور، ولكن أحيله على ما كتبه الأميركي ريتشارد. ب. ميشيل في أطروحته الأكاديمية الموثقة عن جهاد الإخوان وبطولاتهم في فلسطين، وهو موضوع تناولته أطروحات جامعية في الجامعات المصرية والערבية.

ويستكمل الكتاب منظومة الأكاذيب والأباطيل، فنقرأ فيه العبارات الآتية:

- لعب عمر التمساني - المرشد العام السابق للإخوان المسلمين - دور العميل المزدوج بين المباحث والإخوان، ولكنه ضحك على الاثنين معاً^(١).

(١) علام: السابق، ٢٠٧.

- "دعاة ولسنا قضاة" (كذا)^(١) أخطر كتاب لحسن الهضيبي المرشد العام الأسبق للإخوان المسلمين لم يؤلفه الهضيبي، ولم يكتب حرفاً واحداً فيه، وإنما صنعته مباحث أمن الدولة^(٢).
 - قررت الهيئة التأسيسية للإخوان (١٢٠ عضواً) فصل حسن الهضيبي لعجزه عن التفاهم مع الثورة، وبعد ذلك بأيام قليلة ارتكب أنصار الهضيبي حادث المنشية ردًا على فصل الهضيبي من منصبه^(٣).
- والحقيقة أن حسن الهضيبي ظل مرشدًا للإخوان إلى أن لقي ربه، فحمل أمانة المرشدية بعده عمر التمساني، والهيئة التأسيسية لم تفصل حسن الهضيبي على الرغم من محاولات عبد الناصر وحكومته شق الصف الإخواني، وإشعال الفتنة داخل الجماعة.
- أما حادث إطلاق الرصاص على عبد الناصر في ميدان المنشية بالإسكندرية، فقد كشفت الأيام عن أنه كان مجرد تمثيلية قدمت لتحقيق هدفين:
- الأول: ضرب الإخوان بوصفهم "جماعة إرهابية تسعى للتخريف والتدمير والاغتيال".
 - والثاني: جذب عواطف الشعب "الطيب" نحو عبد الناصر، وتلميع شخصيته، وإسقاط "محمد نجيب" القائد الحقيقي للثورة، وقد اتهمه عبد الناصر ورفاقه بعد ذلك بأنه ضليع في مؤامرة المنشية^(٤).

(١) الاسم الصحيح للكتاب "دعاة لا قضاة".

(٢) علام: السابق، ٢١٩.

(٣) علام: السابق، ٢٢٦.

(٤) عن مسرحية المنشية" ارجع إلى مقالنا في مجلة "المجتمع". العدد ١٢٢٣ (١٧ من جمادى الآخرة ١٤١٧هـ - ٢٨ من نوفمبر ١٩٩٦م).

وبعد هذه المسيرة التاريخية ننتقل إلى القسم الثاني من هذه الدراسة، وهو القسم الذي نقف فيه مع رسائل الإمام الشهيد - رحمه الله - بادئين برسائله في التظير لفكر جماعة الإخوان التي كان ميلادها على يديه في مدينة الإسماعيلية سنة ١٩٢٨م.

âââ

الفصل الثالث

رسائل الإمام الشهيد في التظير
ل الفكر الجماعة

لا يستطيع باحث منصف في شخصية حسن البنا "١٩٠٦ - ١٩٤٩ م" وفكره وأثاره، إلا أن يقرر باقتطاع أنه - رحمه الله - يعد أهم شخصية إسلامية في الربع الثاني من القرن العشرين، فقد كان - كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوبي - من الشخصيات التاريخية غير العادلة التي يخلقها - الله تعالى - لقيادة حركة أو القيام بدعاة، أو إحداث ثورة إسلامية في عهد من عهود التاريخ، ويهبهم للقيادة والإرشاد صلاحيات متنوعة فائقة، وعقلاً كبيراً واسعاً، وقلباً ولوغاً فائقاً بالحب والحنان، ولساناً فصيحاً بليغاً، وأخلاقاً طيبة كريمة، وشخصية حببة أثيرة، لقد كانت هذه هي العناصر التكوينية في شخصية حسن البنا، وتمثل شخصيته لعبني كأن "محمد إقبال" يقصده بقوله: "نظرة عالية سامية، وكلمة رقيقة حانية، وقلب ولوغ متالم، هذا هو زاد الطريق لأمير الركب، وقائد القافلة"^(١).

داعية.. دعوة..

ويبقى حسن البنا (رحمه الله) واضع نظريات العمل الإسلامي في هذا القرن: فهو الذي طرح فكراً قابلاً للاعتقاد، وقابلأً للتطبيق، قابلاً لأن يأخذ بيده المسلم من البداية إلى النهاية، وبيده المسلمين كذلك من البداية إلى النهاية بتوفيق الله (رَبِّكُمْ) وهذا يؤكّد أن الأستاذ (رحمه الله)، مجدد هذا العصر، كما أجمع على ذلك كل من تحدث عنه عن معرفة وإنصاف، ولعله - من خلال التجربة - يظهر أن أي فكر معاصر لا يعني عن فكر الأستاذ البنا (رحمه الله)^(٢).

(١) أبو الحسن الندوبي: في مسيرة الحياة، ٢٣٠ "دار القلم: دمشق، ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، وارجع إلى ما كتبه عن الإمام الشهيد من ص٥٤ - ٥٧ عن كتابه: مذكرات سائح في الشرق العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، وتقديمه لمذكرات الدعوة والداعية الشهيد: ص٥ - ١١.

(٢) سعيد حوى: في آفاق التعليم: دراسة في آفاق دعوة الأستاذ البنا ونظريات الحركة فيها من خلال رسالة التعليم، ص٢١، الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

ولئن كان الأستاذ البنا - بمجموع ما حباه الله (عَزَّلَهُ عَنِّي) - هو المرشح الوحيد لأن يطرح نظريات العمل الإسلامي، فإن الدعوة التي أقامها تركيب ذو نسب معينة، فمما اختلفت هذه النسب حدث الفساد، فللاسفافية، وللصوفية، وللفقه، وللفكر، وللعلم، وللجهاد، وللتربية، وللعمال، وللقوة، ولغير ذلك فيها نسب، إذا اختلف واحد منها وقع في الدعوة منها خلل^(١).

وعلى مدار عشرين عاماً - هي عمر جهاده الدعوي الفعلي إلى أن لقي ربه شهيداً، وعلى الرغم من الصعوبات والمضائق والحرروب الخسيسة التي فرضت عليه، وعلى تلاميذه بتواءٍ بغرض بين طغاة الخارج، وعملاء الداخل من أعداء الإسلام - استطاع الرجل أن ينتج ثماراً طيبة نافعة للوطن والعرب والمسلمين، تمثلت في مئات الآلاف من الشباب والكهول والشيوخ، منهم: الأطباء، والأساتذة، والطلاب، والعمال، وال فلاحون، وكلهم يستظلون تحت لواء "الإسلامية" بمفهوم شامل عملي دقيق، وكل منهم في سلوكه العملي، وتعامله مع الآخرين، ما ينم على أنه "آخر مسلم" دون أن يعلن عن نفسه بالقول، حتى إن الواحد منهم كانت "تُسْتَهُوْل" منه "اللهفة" الصغيرة التي هي من قبيل اللهم، بينما لا يَسْتَهُوْل الناس "الكبيرة" التي يرتكبها الآخرون، للاختلاف البين الكبير بين "معايير" الحساب ما بين "مسلم ملتزم"، وآخر يعيش لنفسه ونفعه على هامش الحياة^(٢).

(١) السابق، ٢٤.

(٢) انظر للإمام الشهيد كتابه: مذكرات الدعوة والداعية، ٩٨ - ١٠١، إذ سجل صوراً شريفة رائعة لتعامل بعض الحرفيين - من إخوان الإسماعيلية - مع الأجانب، على الرغم من قوة المغريات المادية واللاأخلاقية التي تقود إلى الحرام.

ودماؤه قادت إلى النصر..

وصدق على الرجل قول رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له»^(١).

ولكن الخير لم يكن مقصوراً على حسن البنا، بل انعكس على الدعوة كسباً ونصرًا وانتشاراً، فكان الاضطهاد والمضائقات التي فُرضت عليه تفتح للدعوة آفاقاً لم تكن لها من قبل^(٢)، وانتشر حسن البنا، وعرفه من لم يكن يعرفه، واقتنع بدعوته من كان يعبد الله على حرف، وتعلم منه تلاميذه العمل والصبر والصمود في أشد الظروف وأقساها.

وكانت المحن التي نزلت بالجماعة في عهده، وبعد أن لاقى ربه شهيداً إيزانًا بخروج دعوة الإخوان من مجال المحلية إلى نطاق العالمية، إذ حمل "المطاردون" من الإخوان هذا الفكر النير الساطع إلى أوروبا والأمريكتين، وصدق الشاعر القائل:

لولا اشتعال النار فيماجاورتْ ما كان يعرف طيبٌ عَرِفَ العود

وكان استشهاد حسن البنا هو السبب المباشر لجذب سيد قطب إلى دعوة الإخوان ليكون المنظر الثاني للمدرسة الإخوانية بعد حسن البنا، مع أن "سيد قطب" لم يلتقي به في حياته، فقد كان سيد في أمريكا يوم اغتيال الإمام البنا في ١٢ من فبراير سنة ١٩٤٩م، وقد لاحظ سيد مظاهر الفرح والابتهاج والشماتة عند الأمريكان لاغتيال المرشد حسن البنا، كما اطلع على سرور الصحفيين والمراقبين، كما بدا في

(١) رياض الصالحين: الحديث رقم ٢٧، ص ٣٥، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، دار الوراق - الرياض.

(٢) في سنة ١٩٤١م، وال الحرب العالمية الثانية على أشدتها، ودعوة الإخوان تشق طريقها في قوة وثبات، ضغط الإنجليز على رئيس الوزراء حسين سري لإيقاف هذا التيار، فأمر بنقل الإمام البنا من القاهرة إلى قنا، وكانت فرصة لنشر الدعوة في صعيد مصر على نطاق واسع.

تحليلاتهم وتعليقاتهم في الصحف الأوروبية والأمريكية، حيث اعتبروا حسن البناء أخطر رجل في الشرق، كما اعتبروا جماعة الإخوان المسلمين أخطر جماعة وتنظيم في بلاد المسلمين، ومن يومها بدأ سيد يوجه نظره، ويأخذ طريقه إلى مدرسة الإخوان^(١). وعن فكر الإمام الشهيد ومبادئ المدرسيّة الإخوانية كُتِبَتْ وُشَرِّطَتْ مئات من الكتب والدراسات الجامعية، وكذلك آلاف من المقالات والبحوث في الصحف والمجلات بكل لغات العالم.

الرسالة.. لغةً وفناً..

وعلى هذه الصفحات نقدم دراسة متواضعة مبسطة عن رسائل الإمام الشهيد - رحمه الله - لا ندعى أنها تضييف جديداً إلى ما كتب عنه وعن فكره ومنهجه الدعويّ، ولكنها على أية حال قد تلقي إضاءة على بعض الجوانب التي لم يدركها طلابنا وأبناءنا.

و قبل أن نحدد خطوط الدراسة وخطتها، وأيّ رسائل الإمام ستكون موضوع الدراسة، نرى من الوفاء للبحث أن نضع أيديينا أولاً على "مفهوم الرسالة لغة وفنًا".

فمما يتعلّق بهذه المادة:

جاء في لسان العرب: الإرسال: التوجيه، قد أُرسَلَ إِلَيْهِ، والاسم: الرسالة والرسول والرسيل... والرسول بمعنى الرسالة يؤتى ويدرك، والرسول: الرسالة والمرسل، وسميّ الرسول رسولًا؛ لأنّه ذو رسالٍ أي ذو رسالة.

(١) انظر: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد للدكتور عبد الفتاح الحالدي، ص ٣٨، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، وراجع كذلك ص ١٠٢ من كتاب: سيد قطب الأديب الناقد، عبد الله الخياص، ط١، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٣ م.

وجاء في المصباح المنير: تراسل القوم أرسل بعضهم لبعض رسولاً أو رسالة، وجمعها رسائل.

وجاء في أساس البلاغة: راسله في كذا، وبينهما مكاتبات ومراسلات، وتراسلوا، وأرسلتُه برسالة وبرسول، وأرسلت إليه أن افعل كذا، وأرسل الله في الأمم رسالة.

وجاء في مختار الصحاح: راسله مراسلة فهو مراسل ورسيل، وأرسله في رسالة فهو مرسل ورسول، والجمع رسل ورسل، والرسول أيضاً الرسالة، وقوله تعالى: «إِنَّ رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الشعراء: ١٦)، ولم يقل "رسولا رب العالمين"، لأن صيغتي "فعول وفعيل" يستوي فيما المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل "عدو" و"صديق"، ورسيل الرجل الذي يراسله في نضال أو غيره.

ومن كلمات المعاجم العربية يمكن أن نستخلص مفهوماً مركزاً للرسالة، وهو أنها موضوعاً معيناً يبلغه شخص ما إلى آخر أو آخرين بنفسه، أو برسول، وقد تكون الرسالة مكتوبة، وقد تكون شفاهة كما نرى في قول زهير بن أبي سلمى^(١):

أَلَا أَبْلُغُ الْأَحْلَافَ عَنِي رِسَالَةً
وَذْبَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلَّ مُقْسَمٍ
وَكَذَلِكَ قَوْلُ كَعْبٍ بْنِ زَهِيرٍ بْنِ أَبِي سَلْمٍ مُخَاطِبًا أَخَاهُ بِجُيُراً^(٢)
أَلَا أَبْلَغَ أَعْنِي بِجُيُراً رِسَالَةً عَلَى أَيِّ شَيْءٍ - وَيَبْ غَيْرِكَ - دَلَّكَا؟

وقد يطلق على "الرسالة" تسميات أخرى مثل: الخطاب، والكتاب، والوعد، والصحيفة، والوصية، وإن لم تخلُ من ملامح فارقة بينها^(٣).

(١) شرح القصائد العشر للخطيب التبريزى ١١٨، المطبعة المنبرية، القاهرة ١٣٦٩.

(٢) انظر الأغاني للأصفهاني ١٨ / ٦٣٦٤، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الشعب، القاهرة، د. ت.

وانظر العمدة لابن رشيق ١ / ٢٤، دار الجليل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢.

(٣) راجع في ذلك: جابر قميحة: أدب الرسائل في صدر الإسلام ٧ - ١٣، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٦ - هـ ١٤٠٦.

والرسائل أنواع ثلاثة... .

قد تتعدد تعاريفات الرسالة في كتب الأدب بمفهومها الأولى المباشر، كما نرى في التعريفين الآتيين:

❶ الرسالة هي الخطاب المكتوب في غرض جزئي، يبعث به صاحبه إلى آخر^(١).

❷ الخطاب أو الرسالة: نص مكتوب ينقل من مُرسل إلى مُرسل إليه، يتضمن عادة أنباء لا تخص سواهـما^(٢).

و واضح أن الخلاف بين التعريفين خلاف لفظي، كما أنه قريب جدًا مما استخلصناه من المعاجم العربية، ونرى الخلاف لفظياً كذلك في تعريف النقاد للرسالة بأنواعها الثلاثة، وهي:

١- الرسالة الإخوانية.

٢- الرسالة الديوانية.

٣- الرسالة الأدبية.

١- فالرسالة الإخوانية، أو الشخصية، أو الخاصة: هي تلك التي تعبّر عن مشاعر المرسل في تعزية، أو تهيئة، أو توصية، أو عتاب، أو شوق، أو تحذير ووعيد، ونحو ذلك مما يصور العواطف والصلات الخاصة بين الأفراد، وهي غالباً لا تكون إلا بين من تربط بينهم صلة دموية كالآباء والأبناء والإخوة، أو صلة إنسانية كالصداقة والزمالة والصحبة.

(١) أحمد الشايب: الأسلوب ١١٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط٨، ١٩٨٨م.

(٢) د. مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، ٢٨١، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٤م.

٢- الرسالة الديوانية أو الإدارية أو الرسمية أو العامة، وهي التي تختص

بتصريف شؤون الدولة، وما يصدر عن دواوينها ووزاراتها ومصالحها

الحكومية، أو يرِد إليها متعلقاً بأمور الإدارة والسياسة والقانون والوظائف.

٣- الرسالة الأدبية: وهي التي تتخذ موضوعها من القيم الإنسانية، والأخلاقيات،

والأدبيات، وتقديم وجهة النظر في هذه الموضوعات.

وتعتبر الرسائل الأدبية - كما يقول الدكتور مجدي وهبة - مرحلة تطور للرسائل

الإخوانية، فبينما كان كاتب الرسالة الإخوانية يعبر عن وداده لصديق معين مثلاً، مال

كاتب الرسالة الأدبية إلى التجديد، فأصبح يكتب عن الوداد والأخوة بصفة عامة^(١).

â â â

(١) مجدي وهبة: السابق ٤٦٣ ، ومن أشهر الرسائل الأدبية رسالة ابن القارح لأبي العلاء المعري يعرض فيها رأيه في بعض الشعراء والقضايا الأدبية، ويطرح عليه بعض الأسئلة، وكان رد أبي العلاء عليه برسالة طويلة جداً باسم "رسالة الغفران" ، ومما يدور في هذا الفلك إطلاق اسم "الرسالة" على موضوع معالج بإسهاب حتى لو لم يوجه إلى شخص معين أو أشخاص معينين كرسائل إخوان الصفا.

رسائل الإمام الشهيد

وبعد هذه التوطئة نرى للرسائل مكاناً فسيحاً رحيباً في حياة حسن البنا ومسيرة دعوته، وهذه الرسائل يمكن انتظامها في ثلاثة أنواع، هي:

(١) الرسائل الدعوية الكتابية.

(٢) الرسائل العامة الموجهة.

(٣) الرسائل الشخصية أو الخاصة.

والنوع الأول يشبه ما ذكرناه آنفاً باسم "الرسائل الأدبية"، وخصوصاً تلك التي كتبت ابتداءً دون أن تكون موجهة لشخص معين أو جماعة معينين، وتمثل هذه الرسائل في كتب صغيرة، وهي تحمل فكر الجماعة، وتعد المصدر الأصيل لهذا الفكر، وبعد استشهاد الإمام البنا جمعت هذه الرسائل في مجلد ضخم جاء في خمس مئة صفحة، ويضم بين دفتيه عشرين رسالة.

يقول الإمام: كان أول ما طبع من الرسائل "القانون الأساسي لإخوان المسلمين واللائحة الداخلية"، ثم صدرت "رسالة المرشد"، وظهر منها عدوان فقط، وكانت الرسالة الأولى بتاريخ ٥ من رمضان سنة ١٢٤٩هـ، الموافق ٢ من يناير سنة ١٩٣١م، والثانية بتاريخ ٢٠ من شعبان سنة ١٢٥١هـ تقريباً، وهو الموافق ١٩ من ديسمبر ١٩٣٢م^(١).

وتواترت بعد ذلك رسائل ونشرات في هذا الصدد منها ما هو للإشارة إلى أعمال الإخوان الاجتماعية، ومنها ما هو شرح لأهداف دعوتهم، ومنها ما هو توجيه للحكومات إلى الأخذ بتعاليم الإسلام^(٢).

(١) لم يقدر لنا الاطلاع على هاتين الرسالتين، ولم يضمهما مجلد "رسائل الإمام الشهيد"، وربما نشرتا بعد ذلك باسم آخر غير "رسالة المرشد".

(٢) الإمام البنا: مذكرات الدعوة والداعية: ١٨٥.

أنواع الرسائل الدعوية الكتابية..

وهذه الرسائل العشرون يمكن تقسيمها على أساس صورة إعدادها، وآلية أدائها إلى:

أولاً: رسائل مقالية:

أي نشرت في شكل مقالات ثم جمعت بعد ذلك في رسالة واحدة مثل:

- ١ رسالة "بين الأمس والاليوم" ص١٤٣، وقد نشرت تباعاً في جريدة "الإخوان المسلمين" ابتداءً من عدد ٤ من صفر ١٣٥٣هـ.
- ٢ رسالة: "هل نحن قوم عميون" ص٣٤٧، وقد نشرت تباعاً بجريدة الإخوان ابتداء من العدد "١٤" بتاريخ ٢٨ من ربى الثاني سنة ١٣٥٣هـ، ثم الأعداد ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧.

ثانياً: رسائل خطابية:

أي تمثلت في خطب ومحاضرات، ثم بعد ذلك طبعت في رسائل، وهي:

- ١ رسالة إلى الشباب، ص٩٥.
- ٢ رسالة "الإخوان المسلمون تحت راية القرآن"، ص١٠٧.
- وهو نص خطاب ألقاه المرشد في جمع حاشد من الإخوان بدار الإخوان بالقاهرة يوم الثلاثاء ١٤ من صفر ١٣٥٨هـ - الموافق ٤ من إبريل ١٩٣٩م.
- ٣ رسالة "المؤتمر الخامس"، ص١٦٦.
- ٤ رسالة "إلى الطلاب"، ص٣٠٧.
- نص خطبة ألقاها في مؤتمر الإخوان سنة ١٣٥٧هـ.
- ٥ رسالة "المؤتمر السادس" ص٣٢٣.
- خطاب ألقاها في المؤتمر المنعقد في يناير ١٩٤١م.

ثالثاً: رسائل عامة مكتوبة موجهة إلى معروفيين محددين:

- رسالة "نحو النور" ص ٦٧.

رابعاً: رسائل معدة مكتوبة:

وهي التي ألفت ابتداءً، ولا تدخل في نطاق الأنواع السابقة، وهي:

١- "دعوتا"، ص ١٥.

٢- "إلى أي شيء ندعوا الناس"، ص ٣٩.

٣- "مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي" ، ص ٢٠٩^(١).

٤- "مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي": نظام الحكم، ص ٢٣١.

٥- مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي: النظام الاقتصادي، ص ٢٥٣.

٦- رسالة الجهاد، ص ٢٧١.

٧- المرأة المسلمة، ص ٢٩٣.

٨- رسالة التعاليم، ص ٣٨٧.

٩- نظام الأسر، ص ٤٠٧.

١٠- العقائد، ص ٤١٣.

١١- المؤثرات، ص ٣٥٥.

(١) جاء في ديباجة هذه الرسالة: إلى رئيس الحكومة المسؤول الأول، وإلى أعضاء الهيئات النيابية - على اختلافها - باعتبارهم الدعاة الرسميين لنظام الإسلام، وإلى رؤساء هيئات الشعبيّة السياسيّة والوطنيّة والاجتماعيّة باعتبارهم قادة الفكر وموجّهي الجماهير، وإلى كل محب لخير العالم وسيادة بني الإنسان: أوجّه هذه الكلمات؛ أداءً للأمانة، وقياماً بحق الدعوة، ألا قد بلغت، اللهم فاشهد، مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ص ٢١٠، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

ولكنا أدخلنا هذه الرسائل الدعوية الكتابية، لأنها لم توجه إلى معينين محددين بالأسماء، حتى تدرج تحت ما أطلقنا عليه "الرسائل العامة الموجهة".

طبيعة هذه الرسائل ..

ومن قراءة هذه الرسائل نخرج بعده حقائق، أهمها:

١- أن هذه الرسائل - وقد أشرنا إلى ذلك من قبل - تمثل أصول الفكر الإخواني، وبرامج الإخوان، ومنها جهم التربوي والإصلاحي في نطاق الفرد والأسرة والمجتمع.

٢- ومن ثم تعددت المحاور الموضوعية لهذه الرسائل:

أ- فمنها العقدي الروحاني: كالعقائد والتأثيرات.

ب- ومنها التنظيمي الداخلي للجماعة: كنظام الأسر ورسالة التعليم.

ج- ومنها ما هو تنظيمي عام للجماعة، وهو أوسع وأرحب من النوع السابق، كرسائله الخطابية الموجهة للإخوان، مثل: رسالة إلى الشباب، ورسالة المؤتمر الخامس، ورسالة المؤتمر السادس.

د- ومنها ما يمثل عرضاً لمبادئ الإخوان ومنهجهم الإصلاحي مثل: رسالة دعوتنا، ورسالة إلى أي شيء ندعوه الناس.

هـ - ومنها ما هو إسلامي - بالمفهوم العام: يعرض للرسالة والرسول ﷺ وأصحابه، وحال الدولة الإسلامية في ماضيها وحاضرها، وموقف الإسلام من "المحدثات" كالقومية والمذاهب الأخرى، كرسالة: بين الأمس واليوم، ورسالة: المرأة المسلمة، ورسالة: هل نحن قوم عمييون؟

و- ومنها ما يمكن أن نسميه: الرسائل الدستورية، وهي التي تعرض الخطوط العريضة للدستور الإسلامي في مجال الحكم والاقتصاد والتربية وال الحرب، مثل: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي - نظام الحكم، النظام الاقتصادي - رسالة الجهاد.

من فضول القول أن أقرر هنا أن هذا التقسيم يقوم على أساس "الغالب" لا "المطلق"، فهناك تداخل "محمود" وتعانق مثمر بين عدد من الأفكار في كل الرسائل، حتى ليصعب - في بعض الأحيان - الفصل بين ما هو "إخواني خاص" و"اجتماعي إسلامي عام".

٣- وكل رسالة من هذه الرسائل تمثل "كتيباً" أي كتاباً صغيراً، ولكن مضمونه الفكري - لو بسط أو شرح - جاء في كتاب كبير^(١).

٤- واحدى هذه الرسائل، وهي "نحو النور" جاءت ذات طبيعة مزدوجة فهي "رسالة كتابية دعوية"، وهي من ناحية أخرى "رسالة عامة موجهة" لأشخاص معروفين بأسمائهم، فقد كتبها الإمام الشهيد، ووجه رسالته إلى الملوك ورؤساء الحكومات، وكبار القوم، مما سenniferه فيما بعد. وهي تختلف في هذه السمة عن رسالة "مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي" ص ٣٠٩، فقد كتبها الإمام الشهيد، وصدرها بقوله "إلى رئيس الحكومة... وإلى أعضاء هيئات النيابية...", ولكنها لم تسلم إلى هؤلاء، فهي تشبه ما ينشر حالياً في بعض الصحف تحت عنوان: "خطاب مفتوح إلى فلان".

ونكتفي بهذه الوقفة العابرة مع هذا النوع من رسائل الإمام، فهي ليست موضوع بحثاً من ناحية، كما أن الدراسة المتأنية لهذه الرسائل تكفلت بها مئات من الكتب والبحوث والأطروحات الجامعية من ناحية أخرى، وتنتقي في الصفحات الآتية بمزيد من البسط والتفصيل مع النوع الثاني من رسائل الإمام، وهي رسائله إلى الملوك والأمراء والرؤساء، وهو ما سميته "بالرسائل العامة الموجهة"، ثم نعرض ونعالج - معالجة نقدية - رسائله الخاصة إلى أبيه الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا - (رحمه الله).

(١) فرسالة التعاليم مثلاً: جاءت في ١٨ صفحة "مجموعة رسائل الإمام الشهيد" - ٤٠٥، وشرحها الأستاذ سعيد حوى في كتاب من ٣٥٠ صفحة بعنوان: "في آفاق التعاليم".

الفصل الرابع

وسائل الإمام الشهيد إلى الملوك والرؤساء
والوزراء

١- وزارات وحكومات

عاشت مصر النصف الأول من القرن العشرين فترة اضطراب وعدم استقرار، واستنزف الاستعمار الإنجليزي خيراتها ومواردها طيلة حربين عالميين: الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م)، والвойن العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥م).

ثم كان ظهور الوليد الجديد سنة ١٩٢٨م على يد الشيخ حسن البنا باسم "الإخوان المسلمين"، وكانت الجماعة ترسي قواعدها وتنتشر شعّبها في المدن والقرى المصرية، ويزيد تيارها قوة ترهب الأعداء، في الوقت الذي كان فيه المستعمرون الإنجليز يسعون من نطاق سيطرته على السياسة المصرية في توجيه الأمور، و اختيار الوزارات، وكان المندوب السامي البريطاني في القاهرة هو أهم شخصية في الساحة المصرية.

ومما يدل على اضطراب الأمور وتخبط الحكم، واهتزاز النظام السياسي كثرة تغيير الوزارات، فمن سنة ١٩٢٨م "سنة قيام جماعة الإخوان" إلى سنة ١٩٤٩م "وهي السنة التي استشهد فيها الإمام حسن البنا توالت على حكم مصر سنتان وعشرون وزارة، هي:

- ١- وزارة مصطفى النحاس باشا "الأولى": ٦ من مارس ١٩٢٨م - ٢٥ من يونيو ١٩٢٨م.
- ٢- وزارة محمد محمود باشا "الأولى": ٢٥ من يونيو ١٩٢٨م - ٢ من أكتوبر ١٩٢٩م.
- ٣- وزارة عدلي يكن باشا "الثالثة": ٣ من أكتوبر ١٩٢٩م - ١ من يناير ١٩٣٠م.
- ٤- وزارة مصطفى النحاس باشا "الثانية": ١ من يناير ١٩٣٠م.
- ٥- وزارة إسماعيل صدقي باشا "الأولى": ٩ من يونيو ١٩٣٠م - ٤ من يناير ١٩٣٣م.
- ٦- وزارة إسماعيل صدقي باشا "الثانية": ٤ من يناير ١٩٣٣م - ٢٧ من سبتمبر ١٩٣٣م.
- ٧- وزارة عبد الفتاح يحيى باشا "الأولى": ٢٧ من سبتمبر ١٩٣٣م - ٤ من نوفمبر ١٩٣٤م.

- ٨ وزارة محمد توفيق نسيم باشا "الثالثة": ١٤ من نوفمبر ١٩٣٤ م - ٣٠ من يناير ١٩٣٦ م.
- ٩ وزارة علي ماهر باشا "الأولى": ٣٠ من يناير ١٩٣٦ م - ٩ من مايو ١٩٣٦ م.
"والوزارات السابقة كانت في عهد الملك فؤاد".
- ١٠ وزارة مصطفى النحاس باشا "الثالثة": ٩ من مايو ١٩٣٦ م - ٣١ من يوليو ١٩٣٧ م.
- "وكانت في عهد مجلس الوصاية بعد وفاة الملك فؤاد، ثم كانت الوزارات التالية في
عهد الملك فاروق الذي حكم مصر من ٢٩ من يوليو ١٩٣٧ م إلى ٢٦ من يوليو ١٩٥٢ م".
- ١١ وزارة مصطفى النحاس باشا "الرابعة": ١ من أغسطس ١٩٣٧ م - ٣٠ من ديسمبر ١٩٣٧ م.
- ١٢ وزارة محمد محمود باشا "الثانية": ٣٠ من ديسمبر ١٩٣٧ م - ٢٧ من إبريل ١٩٣٨ م.
- ١٣ وزارة محمد محمود باشا "الثالثة": ٢٧ من إبريل ١٩٣٨ م - ٢٤ من يونيو ١٩٣٨ م.
- ١٤ وزارة محمد محمود باشا "الرابعة": ٢٤ من يونيو ١٩٣٨ م - ١٨ من أغسطس ١٩٣٩ م.
- ١٥ وزارة علي ماهر باشا "الثانية": ١٨ من أغسطس ١٩٣٩ م - ٢٧ من يونيو ١٩٤٠ م.
- ١٦ وزارة حسن صبري باشا "الأولى": ٢٧ من يونيو ١٩٤٠ م - ٤ من نوفمبر ١٩٤٠ م.
- ١٧ وزارة حسين سري باشا "الأولى": ١٥ من نوفمبر ١٩٤٠ م - ٣١ من يوليو ١٩٤١ م.
- ١٨ وزارة حسين سري باشا "الثانية": ٣١ من يوليو ١٩٤١ م - ٤ من فبراير ١٩٤٢ م.
- ١٩ وزارة مصطفى النحاس باشا "الخامسة": ٤ من فبراير ١٩٤٢ م - ١٦ من مايو ١٩٤٢ م.
- ٢٠ وزارة مصطفى النحاس باشا "السادسة": ٢٦ من مايو ١٩٤٢ م - ٨ من أكتوبر ١٩٤٤ م.
- ٢١ وزارة أحمد ماهر باشا "الأولى": ٨ من أكتوبر ١٩٤٤ م - ١٥ من يناير ١٩٤٥ م.
- ٢٢ وزارة أحمد ماهر باشا "الثانية": ١٥ من يناير ١٩٤٥ م - ٢٤ من فبراير ١٩٤٥ م.
- ٢٣ وزارة محمود فهمي النقراشي باشا "الأولى": ٢٤ من فبراير ١٩٤٥ م - ١٥ من
فبراير ١٩٤٦ م.

٢٤- وزارة إسماعيل صدقي باشا "الثالثة": ٦ من فبراير ١٩٤٦ م - ٩ من ديسمبر ١٩٤٦ م.

٢٥- وزارة محمود فهمي الن크اشي باشا "الثانية": ٩ من ديسمبر ١٩٤٦ م - ٢٨ من ديسمبر ١٩٤٨ م.

٢٦- وزارة إبراهيم عبد الهادي باشا "الأولى": ٢٨ من ديسمبر ١٩٤٨ م - ٢٥ من يوليو ١٩٤٩^(١).

وبعد استشهاد الإمام حسن البنا توالت على مصر وزارات شَكَّلُها ورأسها على التوالي: حسين سري، ومصطفى النحاس، وعلي ماهر، وأحمد نجيب الهملاي، وحسين سري، وأحمد نجيب الهملاي، إلى أن قامت الثورة فتولى علي ماهر أول وزارة فيها من ٢٤ من يوليو ١٩٥٢ م إلى ٧ من سبتمبر ١٩٥٢ م.

وبالنظر إلى هذه القائمة نلاحظ أن متوسط عمر الوزارة الواحدة قرابة تسعه أشهر، مما يدل على اضطراب نظام الحكم وعدم استقراره، وعلينا أن نلاحظ كذلك أن بعض هذه الوزارات كان يقوم على أساس ائتلافي، وبعضها يقوم على أساس حزبي خالص^(٢).

(١) انظر "الناظارات والوزارات في مصر": الجزء الأول من ٢٨ من أغسطس ١٨٧٨ م - إلى ١٨ من يونيو ١٩٥٣ م، من ص ٢٥ - ٣٢، من ص ٥٤١ - ٥٤٤.

جمع وترتيب: فؤاد كرم: الهيئة المصرية العامة للكتاب - بالقاهرة، ط٢، سنة ١٩٩٤ م.

(٢) كان أهم الأحزاب المصرية آنذاك: حزب الوفد الذي تألف سنة ١٩١٨ م، وحزب الأحرار الدستوريين ١٩٢٢ م - ١٩٥٣ م، وحزب الهيئة السعودية الذي انشق عن الوفد سنة ١٩٣٨ م، ومن أطول الوزارات بقاء في الحكم وزارة إسماعيل صدقي من ٦/١٩٣٠ م إلى ٢٧/٩/١٩٣٣ م، ثم من ٢/١٦ م ١٩٤٦ م - ١٢/٩ م ١٩٤٦ م، وكذلك وزارة الوفد برئاسة مصطفى النحاس سنة ١٩٢٨ م، وسنة ١٩٣٠ م، وسنة ١٩٣٦ م - ١٩٣٧ م، ومن سنة ١٩٤٢ م - ١٩٤٤ م، راجع في تفصيل ذلك الجزءين الثاني والثالث من كتاب: في أعقاب الثورة المصرية، لعبد الرحمن الراafعى، والموسوعة العربية العالمية ١/٢٤٦، ٢٤٩، ٢٤٦، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

الإخوان والمجتمع.. وآليات الدعوة

ومن منطلق الفهم الصحيح للإسلام، وأنه دين ودولة، وعبادة وقيادة، وسيف ومصحف عاش حسن البنا والإخوان في قلب الأحداث، وكان لهم دور كبير في توجيه المسار المصري والعربي والإسلامي، وكان الإمام البنا وسائل وآليات وظفها لنشر الدعوة، وتحقيق مبادئها عملياً على أوسع نطاق، وتتلخص آليات الدعوة عند الإمام الشهيد حسن البنا فيما يأتي:

١ - الخطاب والمحاضرات.

٢ - الكتب والرسائل المكتوبة.

٣ - التربية العملية :

أ - تربية العقل بالقراءة والاطلاع.

ب - تربية الجسم بالرياضة، والنظام الكشفي "الجوالة".

ج - تربية الروح بنظام الأسر، والتزام التقوى، وأداء المطلوبات الدينية على أكمل الوجه^(١).

٤ - الرسائل العامة الموجهة: وهي تلك التي وجهها المرشد الإمام إلى الملوك والرؤساء والشخصيات القيادية في مجال السياسة والدين والوطنية، وهي تعبر

(١) ارجع في هذا الموضوع إلى كتاب الدكتور يوسف القرضاوي: التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، وخصوصاً الصفحات من ٢٣ - ٦٥ "مكتبة وهبة القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

وكان الإخوان يهتمون بالجانب العملي السلوكي، فمن توجيهات مكتب الإرشاد للإخوان في المنشور الأول الذي صدره إليهم سنة ١٣٥٨هـ، أن يحدد الإخوان لأنفسهم كل شهر أربعة أيام هي: يوم النصيحة، ويوم العيادة، ويوم التعارف، ويوم الآخرة، يصلق فيه الإخوان قلوبهم وأنفسهم، يخرجون بها من عالم الضوضاء والهرج إلى عالم الطمأنينة، ويزورون مدينة الآخرة "المقابر" للعظة والاعتبار، مذكرات الدعوة والداعية، ٣٢٦، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٠م.

عن فكر جماعة الإخوان المسلمين وتوجهاتها وتوجيهاتها في مسألة أو مسائل معينة تثور، وتشغل الساحة في آنها.

وهو في هذا المسلك الأخير إنما يقتدي برسول الله ﷺ حين أرسل رسائله إلى الملوك والحكام وأصحاب النفوذ الديني كالملقب عظيم القبط في مصر^(١).

رسالة المرشد إلى الملك فؤاد^(٢)

وكانت أولى هذه الرسائل تلك التي وجهها باسمه باسم مجلس الشورى العام للإخوان المسلمين المجتمعين في مدينة الإسماعيلية في ٢٢ من صفر سنة ١٣٥٢هـ.

وكان الدافع إلى هذه الرسالة استشارة نشاط المبشرين في مصر، وتفاقم خطتهم متسertين وراء "التعليم" والإحسان" إلى فقراء المسلمين^(٣).

والرسالة تدعو الملك إلى العمل على حماية الشعب المسلم من الهجمة الصليبية الغاشمة التي يتولى كبرها المبشرون، معتمدين على حكوماتهم الاستعمارية، وعلى ما تحت أيديهم من إمكانات وأرصدة مالية ضخمة يستعينون بها على تصدير المسلمين.

(١) وهو "جريج بن متى" الملقب بالملقب ملك مصر والإسكندرية، أما الآخرون فهم: النجاشي ملك الحبيبة، وكسرى ملك فارس، وهرقل ملك الروم، والمنذر بن ساوي حاكم البحرين، وهوذة بن علي صاحب اليمامة، والحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق، وجيفر ملك عمان وأخوه عبد ابنا الجلندي "راجع ٤١٤ - ٤٢٧" من كتاب الرحيم المختوم، لصفي الرحمن المباركفوري، مكتبة الصحابة، جدة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، وقد أحقنا بهذا النوع من الرسائل: رسالة الإمام الشهيد إلى مكتب الإرشاد ورسالته إلى الإخوان قبل استشهاده مباشرة.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن اتخاذ المنصرين من "التعليم" والإحسان" وسائل لتحقيق أهدافهم الخبيثة، ارجع إلى ٤٣ - ٥٦ من كتاب جابر قميحة "آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم"، رابطة العالم الإسلامي - مكة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

وانظر ما كتبه الإمام الشهيد عن جهود شعب الإخوان في مطاردة المبشرين وإفساد خططهم: ١٩٦ - ٢٠٢، من مذكرات الدعوة والداعية، وانظر كذلك ٦٨ - ٥٨/١ من كتاب: الإخوان المسلمين: أحداث صنعت التاريخ محمود عبد الحليم، (دار الدعوة: الإسكندرية، ط١).

وفي هذه الرسالة يقدم المرشد بعض الوسائل الناجعة لإنقاذ الأمة وحمايتها من التبشير والمبشرين، وهي:

- ١- فرض الرقابة الشديدة على المدارس التي يملكونها ويدبرها المبشرون.
- ٢- سحب الرخص من أي مستشفى أو مدرسة يثبت أنها تشغله بالتبشير.
- ٣- إبعاد كل من يثبت للحكومة أنه يعمل على إفساد العقائد وإخفاء البنين والبنات.
- ٤- الامتناع عن معونة هذه الجمعيات بتاتاً بالأرض أو المال.
- ٥- الاتصال بحضرات الوزراء المفوضين في مصر والخارج حتى يساعدوا الحكومة في تطبيق خطة الحزم حفظاً للأمن ومراعاة لحسن العلاقة.

إلى توفيق نسيم من أجل مسجد البرلان^(١)

وبعد أن تولى محمد نسيم باشا رئاسة الحكومة للمرة الثالثة سنة ١٩٣٤ م كتب إليه المرشد العام وإلى وزير الأشغال العمومية بحكومته رسالة، ربما كانت أول رسالة من الإخوان إلى رئيس أو وزير، وقد جاء فيها بعد الاستهلال بالسلام والتهنئة والترحيب بالوزارة ما يأتي:

ويؤلمنا - يا صاحب الدولة إلى جانب ذلك الجهاد الموفق - قرار وزارة الأشغال الذي نشرته جريدة السياسة، وهو "انصراف النية عن بناء مسجد البرلان" الذي كان قد تقرر إنشاؤه.

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ٢٣٣ - ٢٣٥.

وكان محمد توفيق نسيم قد ألغى الوزارة في ١٤/١١/١٩٣٤ م، بعد استقالة وزارة عبد الفتاح يحيى، وكان وزير الأشغال هو عبد المجيد عمر، واستقالت وزارة نسيم ليشكل علي ماهر وزارته في ٢٠/١/١٩٣٦ م، انظر: عبد الرحمن الرافعي: في أعقاب الثورة المصرية ٢١٦/٢.

إن دار البرلمان هي مظهر كرامة الأمة، ورمز آمالها وأمانيتها وصورة قوميتها وحياتها، وإن المسجد في البرلمان أمر لابد منه، فحضرات النواب - إلا عددًا قليلاً - مسلمون، ودين الدولة الرسمي الإسلام، والمجتمعات تعقد في المجلس في أوقات تخللها، أو تقدمها أو تليها أوقات صلاة.

فالمسجد في البرلمان مظهر من مظاهر عنابة الحكومة بتحقيق دستورها، وعنابة الأمة بشعائر دينها، ومعين لحضرات النواب على أداء واجبهم الإلهي، إلى جانب واجبهم الوطني، وما أوثق ارتباط كل منهما بالآخر.

إن حرصنا على أن يكون عهدهم الظاهر ناصع البياض، مشرق الصفحات، لا يbedo على وجهه كلف، ولا يحجب جماله حجاب - دعا إلى أن نتقدم إليكم، ملحين في الرجاء، أن تويدوا وزارة الأشغال في قرارها السابق بإنشاء مسجد البرلمان، وتتعجلوا إنفاذه، حتى نرى المسجد في القريب مستقر الرحمة في مهبط الحكمة - إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١).

âââ

(١) وقد آتت هذه الرسالة شمرتها، فقررت الحكومة بناء المسجد، وبلغ الإخوان كتابة بذلك.

إلى النحاس باشا العجب بأتاتورك^(١)

ويفرغ المرشد الإمام حين يقرأ في "الأهرام" الصادر يوم ٥ من يونيو ١٩٣٦ م نقلًا عن وكالة أنباء الأناضول تصريحًا لرئيس الحكومة المصرية مصطفى باشا النحاس يعلن فيه إعجابه المطلق بمصطفى كمال أتاتورك الذي صاغ بعقربيته - كما ينسب إلى النحاس - دولة تركيا الجديدة التي يلذ للعالم أن يسميها "تركية أتاتورك" ، فلقد أوجد دولة شابة ذات حيوة فائقة، غدت عاملًا يحسب حسابه في الشؤون الأوروبية".

ويلوح النحاس على إبداء إعجابه بعقربيه أتاتورك بمفهومها الشامل، وتفهمه لمعنى الدولة الحديثة التي تستطيع وحدتها في الحالة العالمية الحاضرة أن تعيش وأن تنمو.

وفي رسالته، يستهل الإمام البناء بإنصاف النحاس، وذلك ببيان مكانته فهو أكبر زعيم شرقي عرف الجميع فيه سلامه الدين، وصدق اليقين.

ويكشف الإمام عن حقيقة أتاتورك هذا :

❶ فهو الذي ألفى الخلافة الإسلامية.

❷ وهو الذي ألفى القوانين الإسلامية، وحكم بالقانون السويسري.

❸ وهو الذي أجاز زواج المسلمة بغير المسلم.

❹ وهو الذي جعل ميراث المرأة كميراث الرجل.

❺ وهو الذي تبرأ من نسبة تركيا إلى الشرق، واستبدل بالحروف العربية حروفًا لاتينية.

ويختتم الإمام رسالته بقوله: "... ولهذا - يا صاحب الدولة - نتوجه إليكم بهذه الكلمة، وهي كلمة الولاء المحسن، والنصائح الخالص، والإشراق الكبير، رجاء أن

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ٢٩٢ - ٢٩٤.

تفضلوا بالحاق هذا التصريح بما يطمئن نفوساً قلقة، ويقر أهؤلاً مضطربة، ويسد الطريق أمام الظنون والأوهام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

من أجل فلسطين: الرسالة الأولى^(١)

في مساء يوم السبت الموافق ٢٥ من صفر الخير سنة ١٣٥٥هـ كون الإخوان لجنة مساعدة فلسطين برياسة المرشد العام، وقد وافقت اللجنة على تنفيذ المقترنات الآتية:

١- نشر تكوين هذه اللجنة في الصحف.

٢- نشر نداء من اللجنة إلى الأمة المصرية والمسلمين عامة.

٣- إرسال برقيات الاحتجاج إلى المندوبين الساميين في مصر وفلسطين، ونشر صور منها في الصحف، وإرسال برقية أخرى إلى فضيلة المفتى بصفته رئيساً للجنة العربية العليا.

٤- إذاعة بيان من اللجنة إلى عموم الإخوان والشعب.

ومن غرائب المفارقات، آنذاك، أنه كان في مصر لجنة مهمتها جمع الأموال لمساعدة الأحباش المنكوبين بالاستعمار الإيطالي، وكان أحد رؤساء هذه اللجنة "الأمير عمر طوسون"، فوجه إليه الإمام البنا - بصفته مرشد الإخوان، ورئيس لجنة مساعدة فلسطين - رسالة جاء فيها:

".. وإن صاحب السمو ليقدر معنا أن فلسطين الجارة العزيزة - وفيها بيت المقدس الذي يجمع المسلمين والمسيحيون على إكباره ومنعه، والذود عن كرامته - جديرة بأن يتقدم إليها في طليعتنا سمو الأمير الجليل عمر طوسون بما يستطيع من بر ومساعدة".

وبعد أن شرح مهام اللجنة الإخوانية التي شكلت لمساعدة فلسطين يوجه الإمام البنا الخطاب إلى الأمير مبيناً عن الغرض الأساسي من الرسالة قائلاً:

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ٢٨٠، ٢٨١.

".... وقد توجهنا إلى سموكم بهذا راجين أن تجد فلسطين الجريحة من بركم وعطفكم ما وجدته الحبشه من الآسي الرقيق، والبلسم الشافي، ولنا رجاء آخر أن تتفضلوا بصفتكم أحد رئيسى لجنة مساعدة الحبشه بإرسال ما تبقى من الأموال التي جمعت لغرض مساعدة الأحباش إلى اللجنة العربية في فلسطين، وسيجزيكم الله الجزاء الأوفى...".

من أجل فلسطين: الرسالة الثانية^(١)

ولأن المنكوبين الأحباش كانوا - في أغلبهم من المسيحيين الأرثوذكس، وكانت الكنيسة الحبشية تابعة آنذاك للكنيسة المصرية، وأن الأنبا يونس - بطريرك الأقباط الأرثوذكس في مصر - كان هو الرئيس الأول للجنة مساعدة الأحباش، وحرصاً من الإمام على عدم إثارة حساسية دينية.. لكل أولئك وجه رسالة - للغرض نفسه - إلى الأنبا يونس، يخاطب فيها حسه الديني، ويدرك فيها أن ضحايا اليهود في فلسطين إنما هم المسلمون والمسيحيون على سواء، فعلى أيدي اليهود .. خربت ديارهم، وعطلت مصالحهم، وقضى على موارد أرزاقهم، وبينت القدس هو بيت القصيد من هذا العداون الصارخ، ويحاول اليهود بعملهم هذا أن يستولوا عليه، وعلى غيره من الأماكن المقدسة التي أجمع المسلمون والمسيحيون على تقديسها، وإكبارها والذود عنها".

وبعد هذا التمهيد الذي يهيء النفس، ويشير فيها مشاعر الرحمة والشهامة والغيرة في نفس رجل له مكانة الرياسة على النصارى يخلص الإمام إلى الغرض الأساسي من الرسالة، فيقول: "... ونحن في مصر - مع الأسف الشديد - لا نملك إلا أن نقدم ما تسخو به الأكف من مال لمساعدة هؤلاء الأبطال الذين ألمت بهم الفاقة، حتى إن لجنة التموين للإغاثة بالقدس تصرف يومياً مئة وأربعين قنطاراً من الدقيق لإطعام الجائعين..".

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ٢٨٢ - ٢٨٣.

ومن أجل ذلك، توجهنا إلى غبطتكم، راجين أن تشملوا هؤلاء المجاهدين الأبطال بعطفكم الأبوى، فتأمروا بإمداد أبناء فلسطين بإرسال ما تبقى من أموال لجنة معايدة الأحباش إلى اللجنة العربية العليا بالقدس، ونعتقد أن حضرات أعضاء اللجنة الكرام يسرهم أن يحققوا هذا الرجاء، فيكونوا بذلك قد قاموا بخدمة الجارتين العزيزتين في وقت واحد، في محبة متشابهة.

وإن رأيتم، فضلاً عن ذلك، أن تتقربوا بدعة المحسنين من المصريين بالتبرع لهذا الغرض النبيل، فهو العهد بكم، والمأمول فيكم، وكان لكم الشكر مضاعفاً.

من أجل فلسطين: الرسالة الثالثة^(١)

ومن أجل فلسطين وجه الإمام الشهيد "في ٢٨ من شعبان ١٣٥٦هـ - ٢ من نوفمبر ١٩٣٧م" رسالة إلى السفير البريطاني في القاهرة، وطلب منه أن يرفعها إلى حكومته، وذلك بمناسبة ذكرى وعد بلفور، وهي أول مكاتبة رسمية بين مكتب الإرشاد والسفارة البريطانية.

ويستهل الإمام الرسالة بتذكير السفير بوقوف العرب بجانب الحلفاء في الحرب العالمية الأولى "اعتماداً على شرف بريطانيا الدولي، ورغبة في تحقيق استقلال العرب، وحريتهم التي هي حق طبيعي".

ونقضت إنجلترا وعودها للشريف حسين، وكان وعد بلفور المشؤوم في ٢ من نوفمبر ١٩١٧م، كما تبنت إنجلترا مشروع التقسيم الغاشم، واتجهت إلى مصادرة حريات العرب في فلسطين، ونفي الزعماء، وإرهاب الآمنين، والإساءة إلى رجال الدين، والتعرض بالإهانة والنهب لأوقاف المسلمين.

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ٣٠٣ - ٣٠٤.

ويحدد الإمام الشهيد موقف الإخوان من هذه السياسة بأنهم "مضطرون إلى أن يسجلوا احتجاجهم الصارخ على هذه السياسة الجائرة، راجين أن تعدل عنها الحكومة البريطانية، فتطلق سراح المسجونين، وتعيد الزعماء المنفيين، وتؤمن الأبراء المشردين، وترجع إلى المجلس الإسلامي حقوقه وسلطته، معلنين تضامنهم التام مع إخوانهم عرب فلسطين، وجيران بيت المقدس في مطالبهم العادلة الحقة، وهي وقف الهجرة، والاستقلال التام على أساس اتفاق شريف يضمن حقوق العرب، ويعامل فيه اليهود معاملة الأقليات في جميع البلدان".

ويأتي خاتم الرسالة قوياً صاححاً صريحاً في التهديد إذا استمرت إنجلترا على هذه السياسة، ففي هذه الحال "لابد من الانفجار يوماً للشعور المكبوت، فتخسر إنجلترا صدافة العالم الإسلامي إلى الأبد، نرجو أن تدرك الحكومة البريطانية هذه الحقيقة قبل فوات الوقت على الرغم من كل ما يخدعها به اليهود، وتنتهز هذه الفرصة لتحييكم".

من أجل فلسطين: الرسالة الرابعة^(١)

ويذهب علي ماهر باشا - رئيس الحكومة المصرية - ومعه عبد الرحمن عزام باشا إلى مؤتمر فلسطين في لندن، فيودعهما الإخوان أحر الوداع، وبعد عودتهما استقبلهما وفد كبير من الإخوان استقبلاً طيباً.

وقررت الحكومة المصرية تقديم معونات مادية لمنكobi فلسطين، فبعث الإمام البنا برسالة إلى علي ماهر باشا يشكره فيها على هذا العمل الإنساني النبيل، وينبهه إلى أمرين مهمين جداً:

الأول: هو ضرورة الإشراف على توزيع هذه الإعانة توزيعاً يكفل وصولها إلى المستحقين لها من أبناء المجاهدين.

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ٣٥٩.

والثاني: أن المسعى السياسي لحل قضية فلسطين أهم بكثير من هذا المسعى الإنساني على جلاله ورحمته، ومن ثم كان على رئيس الحكومة المصرية أن يكافش الساسة البريطانيين بوضوح وجلاء بحقيقة الموقف، وأن يكون حل القضية الفلسطينية معتمداً على القواعد الآتية:

(١) إيقاف الهجرة اليهودية القانونية إيقافاً تاماً، وأخذ المهربيين بأقصى الشدة حتى

تظل الغالبية في فلسطين عربية.

(٢) العفو الشامل عن كل المعتقلين والمبعدين والمجاهدين، والسماح بالعودة

للمهاجرين، وفي مقدمتهم الفتى الأكبر محمد أمين الحسيني.

(٣) تعويض المهاجرين وأسر الشهداء عن فقدوا، وعما لحق بهم من خسائر.

(٤) اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال فلسطين عربية مسلمة، والتعاقد معها

تعاقداً شريفاً على نحو ما حصل في مصر والعراق مثلًا.

âââ

من أجل فلسطين: الرسالة الخامسة

إلى حاخام وكبار الطائفة الإسرائيلية بمصر^(١)

تحية طيبة وبعد:

فقد قرأت بجريدة "أخبار اليوم"، وجريدة "الزمان" أن الحكومة المصرية قد اتخذت التدابير اللازمة لحماية ممتلكات اليهود ومتاجرهم ومساكنهم.. إلخ، فاحتاجت أن أنهز هذه الفرصة لأقول: إن الرابطة الوطنية التي تربط بين المواطنين المصريين جميعاً على اختلاف أديانهم هي غنى عن التدابير الحكومية والحماية البوليسية، ولكن نحن الآن أمام مؤامرة دولية محكمة الأطراف تغذيها الصهيونية لاقتلاع فلسطين من جسم الأمة العربية، وهي قلبها النابض.

وأمام هذه الفورة الغامرة من الشعور المتخمّس في مصر وغير مصر من بلاد العروبة والإسلام - لا نرى بدأً من أن نصارح سيادتكم وأبناء الطائفة الإسرائيلية من مواطنينا الأعزاء بأن خير حماية وأفضل وقاية أن تقدموا سيادتكم ومعكم وجهاء الطائفة، فتعلنوا على رؤوس الأشهاد مشاركتكم لمواطنيكم من أبناء الأمة المصرية مادياً وأدبياً في كفاحهم القومي الذي اتخذوه - مسلمين ومسيحيين - لإنقاذ فلسطين، وأن تبرقوا سيادتكم قبل فوات الفرصة لجامعة الأمم المتحدة والوكالة اليهودية، ولكل المنظمات والهيئات الدولية والصهيونية التي يهمها الأمر - بهذا المعنى، وبأن المواطنين الإسرائيليين في مصر سيكونون في مقدمة من يحمل على الكفاح لإنقاذ عروبة فلسطين.

(١) عن كتاب عباس السياسي: في قافلة الإخوان، ٢٨٨/١، ولم يذكر تاريخ الرسالة، ومضمونها ينم على أنها كتبت سنة ١٩٤٧ م.

يا صاحب السعادة:

بذلك تكونون قد أديتم واجبكم القومي كاملاً، وأزلتم أي ظل من الشك يريد أن يلقىء المغرضون حول موقف المواطنين الإسرائييليين في مصر، وواسيتم الأمة كلها والشعوب الإسلامية في أعظم محنـة تواجهها في تاريخها الحديث، ولن ينسى لكم الوطن والتاريخ هذا الموقف المجيد.

وتفضوا بقبول فائق احترامي،

حسن البنا

إلى علي ماهر مع قيام الحرب العالمية الثانية^(١)

وفي شعبان سنة ١٣٥٨هـ - أكتوبر ١٩٣٩م بعد إعلان الحرب العالمية الثانية بأيام، وجه الإمام البنا رسالة طويلة إلى رئيس الحكومة علي ماهر باشا باسم "الإخوان المسلمين" يوضحون رأيهم، ويعرضون على الحكومة معاونتهم ومساعدتهم، فإن كانت الحكومة جادة حقاً في الإصلاح، فنحن معها، وإن سلكت سبل غيرها، ورضيت من الإصلاح بالإعلان عنه، وتتسق المقترنات والأراء فيه، وتأليف اللجان غير الصالحة، وغير العالمة له، فسنظل نحن نعمل في ميداننا حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق، وهو خير الفاتحين، ونكون قد أعدنا إلى الله، وإلى الحكام، وإلى الناس، وخرجنا من وخذ الضمير، وتبعه التقصير".

ويخشى المرشد العام أن يتورط علي ماهر في إقحام أبناء مصر في الحرب بجانب بريطانيا اعتماداً على تفسير غالط أو مشبوه لمعاهدة ١٩٣٦م، فيذكره بأن "المادة ٧ من هذه المعاهدة تنص على أن مساعدات مصر لإنجلترا إنما تكون في داخل البلاد المصرية، ومحصورة في حدود معينة".

(١) المذكرات، ٣٥٠ - ٣٥٨.

"والإخوان المسلمون - وهم الذين يرون في المعاهدة المصرية الإنجليزية إجحافاً كبيراً بحقوق مصر واستقلالها الكامل - يريدون من حكومة مصر ألا تتجاوز هذه الحدود المرسومة - على ما فيها من إجحاف - بأية حال".

وفي هذه الرسالة يحرض الإمام الشهيد على تتبّيه رئيس الدولة - في إيجاز شديد - إلى عدة أمور، هي:

١- وجوب انتهاز مصر هذه الظروف الحرجة التي تمر بها إنجلترا للاستفادة، وتكسير القيود، وتحقيق الحرية.

٢- الاستعداد الجاد للدفاع عن الوطن إذا ما اعتدى علينا معتمد، و"الإخوان المسلمون - حينئذ - على استعداد لأن يذودوا عن حياض هذا الوطن بكل ما يملكون من نفس ومال".

٣- عدم الارتكان والانخداع بما تقطعه الدول الأوروبية على نفسها من وعود، فهي "مهما كان لونها، لا عهد لها ولا ذمة، ومهما تظاهرت بالحياد والمودة، فإنها تخفي غير ما تظهر، ولا تتردد في تكذيب نفسها إذا وجدت مصلحتها في هذا التكذيب".

"والطريق الوحيد للإصلاح أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام فتطبّقها تطبّيقاً سليماً، وأن تقتبس من كل فكرة قديمة أو حديثة، شرقية أو غربية ما لا يتناقض مع هذه التعاليم، ويكون فيه الخير للأمة، فالروح التي يجب أن تسود فكرة الإصلاح عندنا هي فكرة الاعتماد على قواعد الإسلام وأصوله وروحه".

أما الرجال الذين يقومون بهذا الإصلاح، ويوكّل إليهم أمره، فيجب أن يكونوا من عرفوا باحترامهم لهذه الفكرة، ولم يجاهروا بما ينافيها على الأقل".

ويثنى المرشد الإمام - في رسالته - على رجالين من رجال حكومة علي ماهر باشا هما: عبد الرحمن عزام الذي اختارته الحكومة لقيادة الجيش المرابط " فهو معروف باحترامه لفكرة العودة إلى تعاليم الإسلام" ، وعبد المنعم رياض الذي اختارته الحكومة لسكرتارية الشؤون الاجتماعية، فهو كذلك " معجب بتعاليم دينه، حريص على ألا يعرف عنه الناس ما يتناهى وهذه التعاليم".

ويتحدث الإمام عن الإخوان واستعدادهم لخدمة الوطن في شتى المجالات .. وهم لا يفعلون ذلك بروح الموظف المكلف ولكن بروح المضحى المتفاني في غايته".

وفي ختام الرسالة، يقدم توجيهات إلى رئيس الوزراء، وقد سماها " ملاحظات" توافقاً وتأدباً، فقد كان (رحمه الله) يحرص على مراعاة مقام كل من يتحدث إليه ويعامل معه، وخلاصة هذه التوجيهات:

١- التسامح التام مع خصومكم السياسيين، وتقدير ملاحظاتهم، والثناء عليهم في

الحسن منها، وتلمس العذر لهم في الحملات الشديدة، والانتقامات الخاصة، وانهاز كل فرصة للتفاهم معهم.

٢- دوام الاتصال بالشعب بالزيارات من رفعتكم ومن كبار الحكماء في بساطة وتواضع، وبعد عن كلفة الرسميات، وأبهة المناصب.

٣- القضاء التام على الرشوة والمحسوبيّة وداء الوساطة التي تفشت في كل شيء عند كل الطبقات.

٤- الاقتصاد التام في الكماليات، وفي أبهة المناصب وتعديل المرتبات الضخمة، وإلغاء مظاهر الترف الرسمي في دواوين الحكومة ومصالحها، وليبداً بذلك حضرات الوزراء أنفسهم، ثم كبار الموظفين من بعدهم.

- ٥- العناية بالشؤون الاقتصادية، وتوفير المشروعات الإصلاحية.
- ٦- التشدد التام في حقوق الأمة القومية، وعدم اللين فيها، مهما كانت الظروف ضاغطة.
- ٧- المحافظة التامة على الشعائر الإسلامية.
- ٨- الاهتمام بالقضية الفلسطينية، ودعوة الحليفة "إنجلترا" إلى الإفراج عن المعتقلين السياسيين في فلسطين، والسماح بالعودة للمهاجرين، والاعتراف لهذا الوطن العربي الباسل الكريم بـكامل حقوقه غير منقوصة.

رسالة إلى الملك فاروق عن الفساد والسقوط^(١)

ومن أقوى الرسائل وأبرعها تصويراً للحال الاجتماعية والأخلاقية في مصر، تلك الرسالة الغاضبة الثائرة التي كتبها الإمام البنا للملك فاروق بعد توليه الملك بقرابة ثلاثة سنوات، ونصها:

يا صاحب الجلاله: حدود الله معطلة لا تقام، وأحكامه مهملة لا يعمل بها في بلد ينص دستوره على أن دينه هو الإسلام.

بئر الخمور، ودور الفجور، وصالات الرقص، ومظاهر المجون - تغشى الناس في كل مكان حتى الإذاعة اللاسلكية كثيراً ما تنقل جرائم هذا الفساد إلى البيوت، أندية السباق والقمار تستفيد الأوقات والأموال، ويعمرها كبار القوم، ويتردد عليها

(١) نشرتها مجلة النذير في ٨ من المحرم ١٣٥٨هـ، ولم يوردها الإمام الشهيد في مذكراته، وقد نقلتها بنصها من كتاب عبد المتعال الجبري: لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا؟ (٦٩ - ٧٠)، دار الاعتصام، القاهرة، الطبيعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

ثرة الأمة، حتى أصبحت أندية الموظفين في العاصم والحاواضر عنوان الفساد، ومختلفة الأخلاق في البلاد.

كبار الموظفين يضربون للناس أسوأ المثل في كل تصرفاتهم الشخصية والرسمية، مما أطلق ألسنة الناس بالنقد، وأضعف ثقتهم بالحكام.

الصور السافرة المتبرجة بالزينة التي لا تتفق بحال مع آداب الإسلام، وما فرضه الله على المرأة من التستر والاحتشام، تظهر في كبريات الصحف وصغيراتها، وتصبح ملهاة العيون الحائرة، والقلوب الفاجرة، وتتناول أعرق الأسر، وأكبر البيوت، وأظهر الأعراض.

الحفلات الساهرة، والمجتمعات المتكررة، والمقابلات الكثيرة من رسمية وأهلية تختلط فيها الأجناس، وتشرب بنت الكأس، ويقضي الليل في مجون وعبث ولوه ورقص.

يا صاحب الجلالـة: كل هذا وأمثاله قد حطم عقائد الشعب وثقته بنفسه، وأنسـاه المـثل العـليـا، وصرفـه عن طـاعة الله وعملـ الخـير، وقضـى على العـقل والـصـحة والـمال والـعـاطـفة، وهـدد الأـسـر الآـمنـة والـبـيـوـت المـطـمـئـنة بالـخـراب العـاجـل، والـتـحلـل السـريع الذـريع، والـحوـادـث التي تـشـرـتـ باـعاً فيـ الجـرـائـد والـمـجـلاـت تـرـعـب وـتـحـيـفـ، ولاـبـدـ منـ أنـ تمـتدـ الـيـدـ الآـسـيـةـ الطـبـيـيـةـ، حتـىـ يـطـهـرـ هـذـاـ المـجـتمـعـ منـ المـيـوـعـةـ وـالـطـراـوةـ وـالـخـنوـثـةـ وـالمـجـونـ.

قلـهاـ كـلمـةـ منـفذـةـ، وأـصـدرـهـ أـمـرـاـ مـلـكـيـاـ أـلـاـ يـكـونـ فيـ مـصـرـ الـمـسـلـمـةـ إـلـاـ ماـ يـتـفـقـ معـ الإـسـلـامـ.

رسالة وُد إلى النحاس باشا..^(١)

يعرض المرشد الإمام في رسالته هذه - وقد نشرتها صحيفة المصري الوفدي في ٢٣ من مارس سنة ١٩٤٢م - مضمون حديث وجهه النحاس إلى الأمة المصرية، وكان كما وصفه المرشد "رائعاً جميلاً؛ لأنّه تضمن كثيراً من المبادئ القوية، والأمانى الطيبة...".

وأهم مضامين ما تحدث به النحاس:

- ١- إشادة النحاس بالصراحة والتعاون والإخلاص، ودعوته الأمة إلى مصارحته والتقدم إليه بالنصائح.
- ٢- دعوة النحاس الأمة إلى التعاون مع الحكومة في تنفيذ سياسة خارجية حكيمة، وتصميم سياسة داخلية بصيرة.
- ٣- حرص الحكومة على تنفيذ معاهدة ١٩٣٦م بإخلاص وحسن نية.
- ٤- حرص الحكومة على اتباع سياسة عمرانية عاجلة لخير الطبقات الفقيرة قبل غيرها.
- ٥- ضرورة مسيرة التطور الجديد في حياة العالم والإفادة منه.
- ٦- ضرورة التعاون الجاد مع الشعوب الشرقية وال العربية لتحقيق الحرية والإباء والعدل.

وبعد ذلك يثنى الإمام على ما قرأه في الصحف من:

(١) عن كتاب محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، ٣٩٩/١، ٣٩٩، ولم يعرضها الإمام البنا في مذكراته.

١- دعوة النحاس باشا للمديرين والمحافظين أن يكونوا أداة سلام وصلح وتفاهم بين العائلات.

٢- ودعوته إياهم لتبين مشكلات الأهلين، وإنصاف المظلومين.

٣- اتجاه وزير الصحة لإلغاء البغاء بتوجيه من النحاس.

ثم يخلص الإمام البنا بعد كل أولئك إلى القول بأن الإخوان المسلمين أمام هذه الآمال الصالحة، والأعمال الطيبة النافعة يرون من واجبهم أن يستجيبوا لندائكم، وأن يعلنوا أنهم حريصون كل الحرص على أن يكونوا عوناً لكم وللحكومة المصرية في تحقيق برنامجكم الإصلاحي الذي أعلنتموه مستمسكين دائماً بآداب الإسلام العالية، وتعاليمه القوية، وأخلاقه الفاضلة، والله نسأل أن يهيئة جميعاً لخير هذا الوطن العزيز.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

âââ

(٢)

عني بالرسائل العامة الموجهة - وقد ذكرنا ذلك من قبل - الرسائل التي وجهها الإمام الشهيد إلى شخصيات عامة كالملوك ورؤساء الحكومات والوزراء في موضوعات تتعلق بالوطن والأمة العربية والإسلامية، وسياسة الحكومة، وأوضاع المجتمع، وغير ذلك من الموضوعات العامة.

وقد عرفنا من قبل أن توجيهه لهذا النوع من الرسائل كان وسيلة دعوية من وسائل الإمام البناء، كما عرضنا الرسائل التي وجهها إلى كل من الملك فؤاد، ومحمد توفيق نسيم، ومصطفى النحاس، والأمير عمر طوسون، والأبنا يونس، وحاخام اليهود بمصر، والسفير البريطاني، وعلى ماهر، والملك فاروق، ومصطفى النحاس للمرة الثانية، وهذا نحن أولاء نكمل مسيرة هذا النوع من الرسائل.

إلى إسماعيل صدقى : الرسالة الأولى^(١)

في ٢٤ من فبراير ١٩٤٦م، قابل وكيل الإخوان رئيس الوزراء إسماعيل صدقى باشا، وبعد أن شرح له شفاهة رأى الإخوان في الموقف الحاضر - سلمه نيابة عن المرشد رسالة استهلها بالعبارات الآتية:

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد :

فقد توليتكم دولتكم الحكم، والشعب يجتاز أدق مرحلة في تاريخه، في الوقت الذي هبت فيه شعوب الأرض جمِيعاً تطالب بحربيتها واستقلالها، ولقد دبت اليقظة في نفوس الأمة المصرية عن بكرة أبيها، وقامت هي الأخرى تطالب بحقوقها المغصوبة، وأجمعت

(١) الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، محمود عبد الحليم، ١٣٧٠/١ - ٣٧٢.

بمختلف طبقاتها وهيئاتها على ضرورة نيل هذه الحقوق مهما كلفها ذلك من مرتفع وغالٍ.

ويعرض الإمام بالحكومة السابقة - حكومة النراشي الأولى - ويأخذ عليها أنها لم تستغل الشعور القومي الرائع في مواجهة المستعمرين.

كما يسجل إجرام قوات الاحتلال التي وجهت مدافعاً عنها الرشاشة إلى صدور أبناء الأمة فقتل من قتل، وجرح من جرح، وكل ذنبهم أنهم خرجوا "يظهرون شعورهم في إجماع رائع" جاء في شكل مظاهرة ضمت كل طبقات الشعب.

وتعرض الرسالة بعد ذلك مطالب الإخوان من الحكومة المصرية، وخلاصتها "فيما يختص بالسياسة الخارجية":

١- التقدم إلى الحكومة البريطانية - على وجه السرعة - بمذكرة صريحة تطلب الحكومة فيها الجلاء التام عن أرض وادي النيل، وتحقيق وحدة الوادي، وحل المشكلات الاقتصادية.

٢- سحب ممثلي مصر في هيئة الأمم المتحدة، وإحلال غيرهم محلهم ممن يستطيع أن يمثل مصر تمثيلاً صحيحاً مشرفاً.

٣- عرض القضية على مجلس الأمن في أول انعقاد له إذا لم تستجب إنجلترا لطلب الحكومة المصرية في موعد عاجل محدد.

٤- أن تطلب الحكومة المصرية من الإنجليز اعتذاراً رسمياً عن سوء تصرف الجنود البريطانيين في حوادث الأخيرة، مع دفع تعويضات مناسبة لأهالي القتلى والمصابين.

٥- اعتبار المدن المصرية "القاهرة، والإسكندرية، وبورسعيد، والسويس، والإسماعيلية" مناطق حرام على الجنود البريطانيين إلى أن يتم ترحيلهم إلى بلادهم.

٦- أن تطلب الحكومة المصرية عقد مجلس الجامعة العربية بصفة استثنائية لعرض تطورات القضية المصرية عليه، واتخاذ قرار حاسم إجماعي.

أما فيما يختص بـ**ال موقف الداخلي**: فيرى الإخوان:

- ١- الإسراع في تحديد المسؤولية في الحوادث الدامية الأخيرة.
- ٢- الاستغناء عن خدمات موظفي البوليس والجيش المصري من الإنجليز.
- ٣- الإفراج عن جميع المعتقلين الذين رُجح بهم في السجون ولا ذنب لهم إلا النداء بمطالبهم، والهتاف لواي النيل.
- ٤- تعويض أهالي الشهداء الذين ذهبوا فداء حرية الوطن واستقلاله.

وإليه الثانية: إدانة صارخة^(١)

ولكن صدقى أبدى من الوهن والتخاذل ما أبدى، ولم يف بما قطعه على نفسه للإخوان وللأمة، فوجه إليه المرشد الإمام رسالة صاححة في الثامن من أكتوبر سنة ١٩٤٦م، أي بعد قرابة نصف عام من الرسالة السابقة، وفي رسالة أكتوبر إدانات صارخة لحكومة صدقى بالتفريط في حقوق الأمة، وممالة الغاصب بإطالة حبل المفاوضات التي "طلالت حتى أسامت وأملت، فتوقفت، واستئنفت ثم انقطعت ووصلت، ثم يتجنى علينا المفاوضون الإنجليز، فهزوا أكتافهم، وجمعوا أوراقهم، وانصرفوا عنها إلى بلادهم هازئين ساخرين."

... ووضح أن المشروع الإنجليزي والمشروع المصري لا يحققان مطالب البلاد، ولا يزيد كل منهما على أنه تنظيم مهذب الحواشي للحماية والاحتلال.

وكان المنتظر من الحكومة أن تصفي إلى الأصوات القوية المخلصة، وتحترم إرادة الشعب الذي تدعي أنها تحكم باسمه، وتتادر فتتخذ الخطوات الآتية:

(١) محمود عبد الحليم: السابق، ٣٧٧/١ - ٣٧٩.

١- إعلان فشل المفاوضات الحالية، وأنها لن تقبل بعد الآن أن تدخل مع الإنجليز في مفاوضات أخرى.

٢- إعلان سقوط معاهدة ١٩٣٦م التي ألغتها الحوادث العالمية، وأقر وزير الخارجية المصرية في مجلس النواب أنها أصبحت غير ذات موضوع.

٣- أن تطلب من الإنجليز وغيرهم - في عزم وإصرار - سحب جميع قواتهم البرية والبحرية والجوية من الوادي كله، وإلا مثل هذا الوجود عدواً مسلحاً علينا، يوجب الرد عليه.

٤- أن تدعوا الحكومة الأمة إلى الجهاد في سبيل حقوقها، وتنظم معها وسائله وأساليبه.

ولكن حكومة دولتكم لم تفعل شيئاً من هذا، بل أصرت إصراراً عجيباً على موقفها الضعيف المتخاذل.. وأخذت تكتب شعور الهيئات والجماعات والأفراد، وتصادر الحريات، وتمنع الاجتماعات، وتهياً لقمع الحركات الشعبية المخلصة بالحديد والنار.

يسجل المركز العام للإخوان المسلمين على حكومة دولتكم أنكم بإصراركم هذا تفوتون على هذه البلاد أثمن الفرص، وتكونون بذلك قد تضامنتم - بقصد أو بغير قصد - مع الغاصبين في الاعتداء على استقلال الوطن وحريته، وأن هذه الحكومة لا تمثل رأي البلاد في شيء، وكل إجراء تتخذه باطل أساساً، وعليكم أن تدعوا أعباء الحكم من هو أقدر منكم على سلوك النهج القويم، وإعلان حقوق الوطن كاملة من غير حاجة إلى تصديق الغاصبين، وتنظيم قوى الأمة لتكافح الظالمين المعذين، وستجاهد الأمة كل معتد على حقوقها من أبنائها، أو من الأجانب عنها بكل وسيلة مشروعة حتى تصل إلى ما تريد، وهي واصلة بإذن الله، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رسالة إلى الملك فاروق^(١)

وفي التاريخ نفسه (٨ من أكتوبر ١٩٤٦م) يرفع المرشد العام نيابة عن الإخوان عريضة أو رسالة إلى الملك فاروق، تحمل المضمون السابق الذي يضم صدقي وحكومته بالتهاون والتفريط في حقوق الأمة.

ويتجه الخطاب إلى الملك بتوجيه الحكومة التوجيه الشعبي السليم، أو إعفائها من أعباء الحكم، والجهاد في سبيل حقوق البلاد؛ لتهض بذلك حكومة قوية على هذه القواعد السليمة والأسس الصالحة.

ويعتقد الإخوان المسلمين - من كل قلوبهم - أنهم إنما يعبرون بذلك عن شعور أمة وادي النيل جمِيعاً من الشمال إلى الجنوب، وفقكم الله للخير، وحقق للوادي - في عهدهم الظاهر - ما يرجوه من صلاح وحرية واستقلال، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إلى النقراشي من أجل القضية الوطنية^(٢)

وسقط صدقي، وعين الملك فاروق لرئاسة الوزراء: محمود فهمي النقراشي المعروف في حكومته الأولى بضعفه وتخاذله أمام الإنجلiz، وحرصاً على وحدة الصف أمام المستعمر لم يتصد الإخوان للنقراشي وحكومته بالمقاومة، وأرسل إليه الإمام البنا بر رسالة طويلة في ١٥/١٩٤٧م، يمكن تلخيصها في الخطوات الرئيسية الآتية:

١- على كل مواطن أن ينكر ذاته، ويخلع ثوبه الحزبي، ويجعل مصلحة الوطن هي شغله الشاغل في هذا الوقت الحرج.

(١) محمود عبد الحليم: السابق، ٣٧٦/١، ٣٧٧.

(٢) محمود عبد الحليم: السابق، ٣٨٧/١ - ٣٨٩.

٢- كل تصرفات الإنجليز في لندن وفي السودان وفي كل مكان تدل على أنهم لا يريدون أن يسيروا مع المطالب المصرية خطوة واحدة إلى الحق.

٣- كل شيء في الداخل مظاهر سافر واضح من مظاهر القلق والألم والأسى والأسف والحزن والضيق، فالمعاهدة معطلة والحربيات مكبلة، والرعب يملأ القلوب، والثقة مفقودة بين الحاكم والمحكوم.

٤- وبناءً على هذه الحقائق السافرة يتوجه الخطاب إلى النراشي بصراحة كاملة بخطوط الحل:

أ - أعلن يا باشا فشل المفاوضات، واقطعها في عزة وكرامة، وصارح البريطانيين بأنهم أحوج إلى صداقتنا منا إلى صداقتهم، وأننا نعرف الوسائل التي نتال بها حقوقنا كاملة غير منقوصة.

ب - اطلب إلى الإنجليز جلاء قواتهم عن أرض الوادي فوراً؛ لأن وجودهم يعد عدواً مسلحاً على سيادة الوطن، وخروجًا على ميثاق هيئة الأمم، وتهديدًا للأمن والسلام في الشرق الأوسط.

ج - إن لم يفعلوا فتقدم بقضية الوطن إلى مجلس الأمن، وإلى محكمة العدل، وإلى كل مجمع دولي تأنس فيه ميلاً إلى الإنفاق ونفوراً من الظلم والعدوان.

د - أطلق الحربيات يا باشا، ولا تخش شيئاً، ولا تخف على الأمن والنظام.

ه - ادع الأمة في وادي النيل إلى أن تكون من هيئاتها وجماعاتها وأحزابها ومفكريها جبهة قومية سودانية مصرية واحدة تعهد الشعور الوطني، وتقف في وجه العدوان، فتعمل الحكومة بوسائلها الرسمية، وتعمل تلك الجبهة القومية إلى جانبها بوسائلها الشعبية.

وكان ختام رسالة الإمام البنا:

"يا دولة البasha: لقد تقدمت لدولتك بمثل هذه النصيحة منذ عام مضى، وها أنتا
أتقدم بها اليوم، وأعتقد أنني بذلك قد أبرأت ذمتي، وأديت أمانتي، والوقت من ذهب،
فسر على بركة الله، والله معك، وأقدم، ولا تتردد، فتفلت الفرصة السانحة، وتعود
من جديد إلى التجارب القاسية، وتستبين النصح ضحى الغد، حيث لا يفيد ولا ينفع،
ألا قد بلغته اللهم فاشهد".

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إلى رئيس مجلس الأمن من أجل القضية الوطنية

في يوليو سنة ١٩٤٧ م سافر محمود فهمي النقراشي باشا - رئيس الحكومة المصرية
- إلى أمريكا ليقي خطاباً في مجلس الأمن دفاعاً عن قضية مصر الوطنية، ولكن
مصطفى النحاس باشا - زعيم حزب الوفد - بعث - للأسف - ببرقية إلى مجلس الأمن
يندد فيها بالنقراشي وحكومته، ويتهمه فيها وحكومته بالدكتatorية؛ وانعدام
الديمقراطية، وعدم شرعية هذه الحكومة، لأنها لا تمثل الشعب المصري، وكانت
هذه سقطة مخزية للنحاس، لا يقره عليها عاقل؛ لأن النقراشي ذهب مطالبًا باستقلال
مصر، وجلاء القوات البريطانية عنها، مما كان من الإمام إلا أن أرسل البرقية الآتية:

إلى جناب رئيس مجلس الأمن وسكرتير هيئة الأمم المتحدة:

يستذكر شعب وادي النيل البرقية التي بعث بها إلى المجلس، وإلى هيئة الأمم
المتحدة رئيس حزب الوفد المصري، ويراهما مناورة حزبية لا أثر للحرص على الاعتبارات
القومية فيها، وسواء كانت حكومة مصر ديمقراطية أو دكتاتورية، فإن الشعب
المصري يعلن على الملأ أمام هيئة الأمم المتحدة أن ذلك أمر يعنيه وحده، وأنه لا يسمح
لأية دولة أجنبية بالتدخل، فله وحده الحق في أن يختار نوع الحكم الذي يريد، طبقاً

لبيثاق الأطلنطي ومبادئ هيئة الأمم، وله وحده الحق في أن يعرض على حكومته ما يريد، وأن يؤاخذها على كل تقصير راه.

كما يعلن كذلك أن حقوقه الثابتة عن مصر وسودانه، والحرص الكامل على استقلاله أمر لا يقبل جدالاً ولا مساومة، وأن الوحدة الدائمة بين شماله وجنوبه حقيقة واقعة وضرورة لا محيس عنها، ولا يحول بينها وبين الظهور على حقيقتها وروعتها إلا هذه الإدارة الثانية التي فرضتها بريطانيا عليه بالإكراه، والتي طبّت الحكومة المصرية في عريضة دعواها إلغاءها، وأشارت إلى بطلان المعاهدة التي سجلتها بريطانيا، والتي لم يرض عنها الشعب المصري، ولم يسلم بها يوماً من الأيام.

وأنهز هذه الفرصة فأوكد لأعضاء المجلس والهيئة: أن شعب وادي النيل عظيم الأمل في يقطة الضمير العالمي، وأنه لن يستقر سلام في الشرق، ولن تهدأ ثائرة شعوب العروبة وأمم الإسلام، حتى ينال وادي النيل حقه كاملاً، وليس إرضاء مجموعة من البشر قومها أربع مئة مليون بالشيء الذي يستهين به الحريصون على الأمن والسلام^(١).

حسن البنا

إلى النحاس ردًا على الحملة الوفدية الضاربة..

وعلى مدى عدة أشهر انطلقت صحفية "صوت الأمة" - لسان حال الوفد - في شن حملة خبيثة ضاربة على الإخوان، مما دفع المرشد العام في أحد أيام مايو سنة ١٩٤٧م، إلى كتابة رسالة إلى النحاس رئيس حزب الوفد سلمها إليه الأستاذ عبد قاسم - السكرتير العام للإخوان - في ذلك الوقت، ونقل بعض ما جاء فيها بالنص^(٢):

(١) عن كتاب عباس السيسي: في قافلة الإخوان المسلمين ١٧٢/١ - ١٧٣، وقد قامت الإذاعة المصرية بإذاعة هذه البرقية في كل نشراتها يومين كاملين متتابعين.

(٢) محمود عبد الحليم: السابق ٤٧٩/١، ٤٨٠، ولم ينشرها الأستاذ عبد الحليم كاملة، بل مقتطفات منها على أهميتها، ولم أعنّ عليها في المراجع التي بين يدي، وهو خطاب طويل أحده هزة في

"إن الوفد يعلن خصومته للاخوان، ويحاربهم بأسلحة وأساليب غريبة عجيبة لا تتفق مع خلق، أو دين، أو مصلحة... وصحف تفيض أنهاها بألفاظ جافية تشمئز لها كل نفس مهذبة".

"إن الوفديين لا يزالون يفكرون بعقلية سنة ١٩٢٠م، فيقولون: إن الأمة هي الوفد، والوفد هو الأمة، وإن الشعب قد منحه توكيلاً لا نقض فيه ولا إبرام، ويسقطون من حسابهم ربع قرن من حياة هذا الوطن، تبدلت فيه الأرض غير الأرض، وتغيرت النفوس، وانتقل إلى الدار الآخرة أكثر الوكلاء والموكلين على السواء، وهذا التفكير تخلف عن ركب الحياة، وعلى هذا الأساس يحارب الوفد الإخوان، كما يحارب الشبان وكثيراً من الجماعات".

"إن الوفد في أيامنا الأخيرة قد تخللت صفوفه طوائف وأفواج من ذوي الآراء الخطرة والمبادئ الهدامة الذين لا يدينون بغير الشيوعية".

"وهل ترون أن الوفد قد أدى واجبه بهذا الموقف السلبي الذي يقفه في هذه الساعات العصبية في تاريخ الوطن، مع أنه كان - ولا يزال - في وسعه أن يعمل الكثير لو أراد...".

نحو النور

الرسالة الجامعة.. الواقعية^(١)

في رجب من سنة ١٣٦٦هـ، بعث الإمام الشهيد حسن البنا بهذه الرسالة إلى الملك فاروق - ملك مصر والسودان - وإلى مصطفى النحاس باشا - رئيس الحكومة المصرية حينذاك - وإلى ملوك بلدان العالم الإسلامي وأمرائها وحكامها، كما بعث

= المجتمع المصري، قرأته في حينه، وكنا نردد بعض عباراته بيننا ونحن تلاميذ بالمرحلة الابتدائية مثل عبارة "طهْر صفوتك يا باشا".

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، ٦٧ - ٩٤.

بهذا كذلك إلى عدد كبير من الشخصيات البارزة في هذه البلدان، من ذوي المكانة الدينية والدنيوية.

وهذه الرسالة هي أطول رسائل المرشد (رحمه الله) وأوعاها، وأجمعها مبادئ الإخوان، والقيم التي يدعون إليها في مجالات السياسة والتربية والحكم والأخلاق.

ويستهل الإمام الشهيد الرسالة ببيان الباعث إلى كتابتها، وهو "الرغبة الأكيدة في توجيه الأمة توجيهاً صالحًا يقيمه على أفضل المسالك، ويرسم لها خير المناهج، ويقيها التزلل والاضطراب، ويجنبها التجارب المؤلمة الطويلة".

ويبين عن عظم تبعه الراعي أمام الله وأمام التاريخ، وخصوصاً إذا كان يقوم بأمور الحكم في عهد من عهود الانتقال، فعهد الانتقال يقتضي تحقيق مهمتين:
الأولى: تخلص الأمة من قيودها السياسية وتحقيق حريتها.

والثانية: بناؤها من جديد لتسلك طريقها بين الأمم، وتناقض غيرها في درجات الكمال الاجتماعي.

وتتضافر الأسباب العملية والموضوعية لتأكد أفضلية المنهاج الإسلامي على المذاهب والمناهج الأخرى:

١- فقد جُرب من قبل، واستطاع أن يجعل الأمة الإسلامية أقوى الأمم على الإطلاق.

٢- وله في نفوس المسلمين قدسيّة واستقرار ورسوخ.

٣- كما أنه لا يعارض مع الوطنية والقومية، بمفهومها الإنساني الكريم، بل يدعو إليها.

٤- والأخذ به يقوي الوحدة العربية أولاً، ثم الوحدة الإسلامية ثانياً.

٥- وهو منهج شامل، لا يشوبه النقص في أي مجال من المجالات السياسية والاجتماعية والخلقية وغيرها.

وإذا كانت المدنية الغربية قد زهرت، وبهرت العالم ردهاً من الزمن، فإنها تعيش بعد ذلك دور الإفلاس والانحدار: فأصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات، ويشهد ضدها ملايين البائسين من العاطلين والجائعين، وأصولها الاجتماعية تقضي عليها المبادئ الشاذة، والثورات المندلعة في كل مكان. والإسلام فيه من المبادئ والقواعد - في كل مجالات الحياة - ما يكفل للأمة قوتها ونهوضها وتقدمها:

١- فالقرآن ينهى المسلمين عن اليأس، ويزرع في قلوبهم الأمل والثقة بالله وبالنفس.

٢- ويبعث في نفس المسلم الشعور بالعزّة القوميّة والوطنيّة، ويربط هذه العزة بالله بعيداً عن التحصّب الأعمى، والفاخر الكاذب.

٣- ويربي المسلمين على القوة الجنديّة التي تهدف إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل، ويجعل من التخلف عن مواجهة الأعداء جريمة كبرى، وهي قوة لا تعرف العداون على الآخرين، بل هي محكومة بالقيم الربانية الإنسانية العليا.

٤- وصحة الأبدان مما دعا إليه الإسلام، فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وللبدن على الإنسان حق بنص حديث رسول الله ﷺ، والنظافة من الإيمان، والاعتدال في المطعم والمشرب أصل من الأصول الصحية التي دعا إليها الإسلام.

٥- وطلب العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم وMuslima، ودعوة الإسلام إلى تحصيل العلم لا حدود لها، فهي تصدق على العلوم الدينية والدينوية، والعلوم الإنسانية والتجريبية.

٦- ويدعو الإسلام إلى قائمة من القيم لا تستقيم حياة الفرد والأمة إلا بها، كالبذل، والصبر، والاحتمال، ومغالية الشدائـد، والحب، والإخـاء، وحسن معاملة الآخرين، وعلى هذه الأخـلـاق تربـت الأمة الإسلامية، وبها حققت انتصارـاتـها وبقاءـها وتقـدمـها.

٧- وفي الإسلام أساس اقتصادية رائعة فصل الفقهاء القول فيها في باب المعاملات. والإسلام يصون حقوق الأقلـيات من أصحاب الـديانـات والـجنسـيات الأخرى، اعتمـادـاً على قوله تعالى: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ» (المتحـنة: ٨).

وينـهي الإسلام عن البغي والـعدوانـ، ويدعـو إلى الحفـاظ على عهـودـنا ومواثـيقـنا معـ الشـعـوبـ الأخرىـ، كما نـرىـ فيـ قولـهـ تعالىـ: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً» (الـإـسـرـاءـ: ٣٤ـ)، ويـقولـ فيـ إـكـرامـ الـلـاجـئـينـ، وـحـسـنـ جـوارـ الـمـسـتـجـيرـينـ: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ» (التـوـبـةـ: ٦ـ).

وقد قـامتـ نـهـضةـ الـغـربـ عـلـىـ التـخلـصـ مـنـ الـدـينـ، وهـدـمـ سـلـطـةـ الـبـابـويـةـ وـالـكـهـنـوتـ المسيـحيـ، وـظـنـ حـكـامـ الـشـرـقـ أـنـ النـهـضةـ لـاـ تـقـومـ إـلـاـ بـسـلـوكـ هـذـاـ الـمـسـلـكـ الغـرـبيـ، وـهـذـاـ خطـأـ فـادـحـ:

- ١- لأن طبيعة الدين الإسلامي غير طبيعة الأديان الأخرى.
- ٢- ولأن رجال الدين الإسلامي عاشوا وليس لهم من النفوذ والسيطرة بعض ما كان لرجال الدين المسيحي.
- ٣- والإسلام لا يعترف بهذا التقسيم الغربي: رجال الدين ورجال الدنيا، فالمسلمون جميعاً من أصغرهم إلى أكبرهم رجال دين.

وبعد ذلك يقدم الإمام الشهيد - في نقاط محددة منظمة مرقمة - بعض خطوات الإصلاح العملي:

❶ في الناحية السياسية والقضائية والإدارية.

❷ في الناحية الاجتماعية والعلمية.

❸ في الناحية الاقتصادية.

وهي خطوات تعد بالعشرات في هذه النواحي ساقها الإمام الشهيد، بأسلوب قانوني مباشرة مما يصعب تلخيصها، لذا نكتفي بإيراد الخطوات التي وردت في الرسالة للنهوض بالناحية الاقتصادية، وهي:

١- تنظيم الزكاة دخلاً ومنصرفًا بحسب تعاليم الشريعة السمحاء، والاستعانت بها في المشروعات الخيرية كالملاجئ وتنمية الجيش.

٢- تحريم الربا، وتنظيم المصارف تنظيمًا يؤدي إلى هذه الغاية.

٣- تشجيع المشروعات الاقتصادية والإكثار منها، وتشغيل العاطلين من المواطنين فيها، وتمصير ما في أيدي الأجانب منها.

٤- حماية الجمهور من عسف الشركات المحتكرة.

٥- تحسين حال الموظفين الصغار برفع مرتباتهم، واستبقاء علاواتهم ومكافآتهم، وتقليل مرتبات الموظفين الكبار.

٦- حصر الوظائف، وخصوصاً الكبيرة منها، والاقتصار على الضروري، وتوزيع العمل على الموظفين توزيعاً عادلاً.

٧- تشجيع الإرشاد الزراعي والصناعي، والاهتمام بترقية الفلاح والصانع من الناحية الإنتاجية.

-٨ العناية بشؤون العمال الفنية والاجتماعية، ورفع مستوى اهم في مختلف النواحي الحيوية.

-٩ استغلال الموارد الطبيعية كالأرض البور، والمناجم المهملة، وغيرها.

-١٠ تقديم المشروعات الضرورية على الكماليات في الإنشاء والتنفيذ.

وختم الإمام البنا رسالته بالعبارة الآتية:

وبعد، فهذه رسالة الإخوان المسلمين، نقدم بها، وإنما لنضع أنفسنا ومواهبنا، وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة، أو حكومية تريد أن تخطو بأمة إسلامية نحو الرقي والتقدم: نجيب النداء، ونكون الفداء.

ونرجو أن تكون قد أدينا بذلك أمانتنا، وقلنا كلمتنا، والدين النصيحة: لله ولرسوله ولكتابه، ولأنئمة المسلمين وعامتهم، وحسبنا الله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

رسالة عتاب شديدة لأعضاء مكتب الإرشاد

ويظهر أن الإمام الشهيد قد لاحظ شيئاً، أو أشياء من الإهمال على بعض أعضاء مكتب الإرشاد، وبدافع من الحرص على تمام العمل الذي رصدوا أنفسهم له من أجل الدعوة إلى الله، كتب الإمام المرشد رسالة ذات لجة شديدة قارعة، ونصها^(١).

(١) عن كتاب د. عبد العظيم المطعني: ١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية، ٥٧ - ٦٠، (دار الأنصار، القاهرة د. ت)، وما بين الأقواس من وضع المؤلف بدليلاً لكلمات مطمورة في الأصل، وال نقاط الأفقية تعني الفراغ في الأصل لانطمام الكلمات.

Y

الحمد لله والصلوة والسلام على رسوله ومن والاه.

القاهرة في السبت الموافق ٢١ من صفر ١٣٥٩ هـ (٢١ من مارس ١٩٤٠ م).

حضرات الإخوان المسلمين أعضاء المكتب بالقاهرة..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فمعذرة إذا رأيتم في خطابي هذا شدة في اللهجة، أو قسوة في البيان، فإنما أريد به محض التذكير والتعاون «وَدَكَرْ فِي الْذِكْرِ تَنْعُّمُ الْمُؤْمِنِينَ» (الذاريات: ٥٥).

لقد حملتم أيها الإخوان عبئاً ثقيلاً كل الثقل (تتوء) بحمله (الجبال)، ولا يستطيع النهوض بمطالبته إلا من وطن نفسه على التضحية والثبات والبذل، وتقديم كثير من مصالحه وشؤونه الخاصة قريباً لهذه الخدمة العامة.

ولقد اتسع عملكم اتساعاً عظيماً، وتضاعفت فروعه ونواحيه، وتلك طبيعة العمل الناجح، وكثير - من جهة أخرى - خصومكم والمترىصون به الدوائر. (وانطلقت) حركة الإلحاد والإفساد من عقالها، وأصبح لا ينفعنا إلا الجدل، وبذل الجهد والصدق والصبر، وإلا فنحن في هذا الجو الموبوء أصبح من^(١).....

ولقد بايعتموني على الجد والعمل والبذل، وتقديم الوقت والمصلحة والمال والروح والدم وكل عزيز، ولقد كنت جد سعيد ببغيكم هذا، وأنا عظيم الثقة بإنتاجكم لو توجهتم للعمل، عظيم الاعتقاد في أنه لا يمكننا عقبة من النصر في تكاثفنا.

(١) لعل الصحيح أضيع من الأيتام على موائد اللئام.

ولكني شديد الأسف حين أقول لكم في هذا الخطاب: إن الهمة كادت تفتر، والعزمية كادت تبرد، وكأنكم كدت تنسون ما يحيط بنا، وإنما، فما هذا الذي أرى؟ لا أكاد يا حضرات الإخوان أرى الكثير منكم إلا حين جلسة المكتب.

إنني مطالب بعمل كثير جداً هو فوق طاقة رجال لا رجل واحد، فأنا مطالب بالذاكرة للدروس والمحاضرات، مطالب بالإشراف في كثير من الأعمال، مطالب بالرد على كثير من الخطابات.. وهكذا، وأهم من ذلك كلّه مطالب بالتفكير الدائم في التوجيه وتصريف ما يجد علينا من حوادث وأمور لا يكاد يخلو منها يوم واحد.

ولقد صرت أحضر إلى الدار يومياً تقريباً، بل تحقيقاً، منذ التعديل الجديد رجاء التفاهم مع كثير من حضراتكم فيما أسند إليهم من أمور وهم في بدء مزاولتها حتى يدرسوها، ثم أتركهم بعد ذلك، فكان يؤلمني أشد الألم أن أقضي الساعات تلو الساعات ولا أحد معي، مع الإلحاح الزائد والظروف القاسية التي تتضمن تنظيم عملنا، والتفكير الدائم مني شفاهة، وتحريراً، وإليكم بعض الأمثلة:

الأخ عبد الرحمن أفندي الساعاتي لابد له من تنظيم مجلات القاهرة حتى يمكن حصر الاشتراكات، وتنظيم اللحاق ونحو ذلك، وهذا العمل لابد من اشتراكنا فيه عظمه، وقد يتبعن كثيراً، وإلى الآن لم يتم في هذا الموضوع شيء.

الأستاذ علي نور الدين غاب أكثر من عشرة أعوام، ولم يعهد بعمله لأحد.

الدكتور علي... مطلوب منه تنظيم استماراة الكشف الصحي، ومشروع المعلم الجوال.. إلخ فلم يتم منه شيء.

الدكتور أبو النجا مطلوب منه بصفة خاصة أن يحضر يوم الخميس لأمور ثلاثة: مقابلة طلبة دروس الإسماعيلية الأهلية، ومقابلة طلبة الجامعة لتكوين لجنة التعليم الديني، ومقابلة الإخوان منسوبي الكليات في الاجتماع الأسبوعي، فلم يحضر.. وقبل

مشروع لجنة التعليم الديني، وهو ما يجب أن تكون عنه بعيداً ما دام من اختصاص أحد الإخوان، وهكذا.

قيل: إننا لا نستطيع العمل لعدم تنظيم الدار، وعدم وجود المكاتب، فنظمناها، وأحضرنا المكاتب، وجهزنا الغرف، ولكنها ظلت مكاتب مهجورة.

هناك أذى... ولكن إذا أخذنا بهذه الأذى فلن نفرغ منها أبداً، وأيننا لا عذر عندئذ!! ولقد كان كثير من إخوانكم يردد هذا الكلام، ولكن أمام الضرورة الملحة لابد من علاج.

لقد أثقلت عليكم - ولاشك - ولكنني ما ذنبي؟!! أنتم الذين رضيتم لأنفسكم هذا العناء، والناس مستريحون، وعرضتم أنفسكم لخدمة عامة لابد وأن تجني عليكم، فاقبلاوا هذه الحياة، وحسبكم ثواب الله.

والسلام عليكم ورحمة الله (١)

حسن البنا

âââ

(١) واضح ما في الرسالة من توجيهات إدارية تنظيمية اعتمدت على الرؤية الميدانية والمعايشة الحقيقية من القائد للمشكلات اليومية. ونؤكد أن الرسالة لم تنشر في صحف الإخوان لما فيها من عتاب مر مع ذكر أسماء الأشخاص. ولما فيها من كلمات مطموسة.

آخر الرسائل.. وبعدها الشهادة..^(١)

أيها الأخوة الفضلاء: أتقدم إليكم جميعاً مهنياً بما كتب الله لكم من توفيق، وما أجراه على أيديكم من خير، وما اخترتم به من ثبات على كلمة الحق مهما تقلب الأحداث، وطالت الأعوام، كما أتقدم إليكم مذكراً بخصائص دعوتكم بين الدعوات، وعظيم تبعتكم في هذه الأوقات، فاذكرروا أيها الإخوان أنكم الكتبية المؤمنة التي انتهى إليها - في هذا العصر المادي المظلم بالشهوات والأهواء والمطامع - واجب الدفاع عن كلمات الله ورسالاته، والمحافظة على أحكام شريعته وأياته، ودعوة الإنسانية التائهة في يباء الحيرة إلى الصراط المستقيم، فأنتم بذلك تهتفون بأكرم دعوة، وتتادون بأقدس منهاج.

أيها الأخوة الفضلاء: إن العالم الآن تتجاذبه شيوعية روسيا وديمقراطية أمريكا، وهو بينهما مذبذب حائر لن يصل عن طريق إحداهما إلى ما يريد من استقرار وسلام. وفي أيديكم أنتم قارورة الدواء من وحي السماء، فمن الواجب علينا أن نعلن هذه الحقيقة في وضوح، وندعو إلى منهاجنا الإسلامي في قوته، ولن يضيرنا أن ليس لنا دولة ولا صولة، فإن قوة الدعوات في ذاتها، ثم في قلوب المؤمنين بها، ثم في حاجة العالم إليها، ثم في تأييد الله لها متى شاء أن تكون مظهر إرادته، وأثر قدرته.

(١) لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا: عبد المتعال الجبري، ٢١٣ - ٢١٦. وقد ذكر المؤلف أنه نقلها من مجلة "المباحث" الأسبوعية الصادرة في يوم ٨ من ربى الآخر سنة ١٣٧٠ هـ الموافق ١٩٥١ م وكانت "المباحث" هي الصحيفة الناطقة باسم الإخوان آنذاك ويرأس تحريرها صالح عشماوي - رحمة الله.

وما في الرسالة من إشارات إلى وضع الإخوان، وما آلت إليه القضية الفلسطينية يقطع بأن الإمام البنا كتبها قبل استشهاده بأشهر أو أيام، وأرجح أن الإخوان لم يتلقوا هذه الرسالة في حينها، وأنهم لم يطلعوا عليها - في أرجاء مصر - قبل نشرها في المباحث.

وإن الأربع مئة مليون مسلم الذين تمتد مواطنهم من المحيط إلى المحيط لن يظلوا أبداً عبيداً الاستعمار الذي ضرب عليهم في غفلة من الزمن وتضارب المحن، وتطورات الأوضاع العالمية، وإن كل شبر أرض فيه مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله هو جزء عزيز من وطننا، نطلب له الحرية والتخلص من نير الاستعمار الأجنبي الظالم، ونكافح في سبيل ذلك بكل ما أوتينا من قوة، وإن هذا الوطن - من حدود أندونيسيا شرقاً إلى حدود الدار البيضاء غرباً - يجب أن ينعم بالحرية والوحدة والسلام في ظل الروابط والنظم والأوضاع التي قررها له القرآن الكريم، وهداه إليها الإسلام دينه وعقيدته ونظامه وشريعته.

ولقد كان من حسن حظنا أن نشهد ذلك العصر الذي تقف فيه اليهودية العالمية متهدية الأمم العربية والإسلامية، معتقدة على مقدساتها بالحديد والنار، وإنما لنقبل هذا التحدي معتقدين أن الله (تبارك وتعالى) قد ادخل لنا فضل مقاومة هذا العدوان والقضاء عليه.

أيها الإخوة الفضلاء، إذا كان الكثير من ساسة الأمم العربية والإسلامية، وقادتها من تلاميذ المدرسة الاستعمارية قد أضعوا علينا كل ما أتاهم الحرب الماضية - حرب ٤٨ - من فرص ومناسبات، لما طبعتهم عليه عوامل البيئة الاستعمارية التي عاشوا في ظلها من فقر في الموارب، وخوف من الغاصب، وفقدان للثقة بالنفس وبالله وبقوته الشعب، وحرص على الاستفادة والتزيد من الجاه والمال والمنصب، وقد وحصد، واختلاف وتردد، وإحجام عن أداء الواجب، وفرار من الجهاد إلى إعطاء الدنيا، وإيثار أساليب الدعوة والاستسلام، فإن عليكم أنتم، وقد استروحتم نسمات العزة من الإيمان بالله، واستمدتم أرفع معاني القوة من تأييده ونصره، أن تداركوا ما فات، وأن تصلحوا ما أفسد الباشوات والخواجات، والله معكم، وهو لأعدائكم بالمرصاد،

ومهزوم من يحارب الله، ويغالب القدر، **«وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»** (يوسف: ٢١).

إن الله ميّزكم بالانتساب إلى الدعوة فاحرصوا على التميز بآدابها وشعائرها بين الناس، وأصلحوا سرائركم، وأحسنوا أعمالكم، واستقيموا على أمر الله، وأمرروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وتوجهوا بالنصيحة في رفق ولين إلى الناس أجمعين، واستعدوا للبذل والاحتمال والجهاد بالنفس والمال، وأكثروا من تلاوة القرآن، وحافظوا على الصلوات في الجماعات، واعملوا لوجه الله تعالى مخلصين له الدين حنفاء، وانتظروا بعد ذلك تأييد الله وتوفيقه ونصره **«وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ»** (الحج: ٤٠).

إن أخص ما أوصيكم به بهذه المناسبة أن يكون شعارنا النظافة في الضمير والتفكير، وفي اللسان، وفي السير، وفي الثوب وفي البدن، وفي المطعم والمشرب، والمظهر والمسكن، والتعامل والسلوك، والقول والعمل، وإن مما أوصى به الرسول – عليه الصلاة والسلام – أمته "تتطفوا حتى تكونوا كالشامة بين الأمم".

وما أجملها إشارة وأرقها عبارة أن يكون أول فقهنا في العبادات الطهارة، وفي الحديث الصحيح "مفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الطهور"، وصدق الله العظيم: **«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»** (البقرة: ٢٢٢).

â â â

الرسائل البرقيات

وفي معجم رسائل الإمام البنا (رحمه الله) برقيات، تتناول قضايا ومسائل داخلية وخارجية، وكلها تدور في الفلك الذي تدور فيه طوال الرسائل؛ لأنها تتطرق من نفس المعين النقي الطاهر، وعليها طوابع القائد المسلم الغيور على الإسلام والأمة والوطن والقيم العليا.

برقية إلى سكرتير نادي الضباط^(١)

حضره المحترم سكرتير نادي الضباط بالزمالك بالقاهرة، أشكر لسعادة الفريق إبراهيم عطا الله باشا، وحضرات أعضاء النادي دعوتهم الموجهة لحضور الاحتفال بمناسبة تولي حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم سلطته الدستورية. وأعتذر عن عدم الحضور، وكانتأتمنى أن يكون هذا الاحتفال بعرض عسكري قوي يليق بحزم الضباط، وشجاعة الجنود، ويتناسب مع جلال الذكرى العظيمة، ويبعث في النفوس معاني الحماسة والإقدام، لا بحفل غناء ساهر.

والله أسمأ أن يغير ما بأنفسنا لتصلح أحوالنا، وأن يجعل عهد جلاله الملك - حفظه الله - عهد سعادة وإقبال، وحرية واستقلال. آمين^(٢).

(١) ومناسبة هذه الرسالة أن ضباط الجيش وجهوا الدعوة إلى عظماء الدولة ورجال السلك الدبلوماسي لحضور الحفلة الغنائية الساهرة التي يقيمها رئيس هيئة أركان حرب الجيش وضباط نادي القوات المسلحة؛ بمناسبة تولي الملك فاروق سلطته الدستورية، وذلك بشكبات القلعة، وقد دعي المرشد العام لهذه الحفلة، فاعتذر عن عدم الحضور بالبرقية السابقة، وواضح ما فيها من نقد لأسلوب هؤلاء العسكريين في الاحتفال بمثل هذه المناسبات. وللأسف ما زال هذا الأسلوب قائماً حتى الآن.

(٢) عباس السيسي: في قافلة الإخوان المسلمين، ١٧٦/١ - ١٧٧.

برقية إلى الأنبا يوساب الثاني

وأرسل الأنبا يوساب الثاني - بابا وبطريرك الكرازة المرقسية - إلى المرشد العام للإخوان بطاقة كريمة يقدم فيها تهنئة بعيد الأضحى مع أطيب التمنيات (ذو الحجة ١٣٦٦هـ - أكتوبر ١٩٤٧م).

فرد عليه الإمام البنا بالبرقية التالية:

حضره صاحب الغبطة الأنبا يوساب الثاني - بابا وبطريرك الكنيسة المرقسية،
أشكر لغبطتكم باسمي باسم الإخوان تهنئتكم الرقيقة، وتمنياتكم الطيبة بمناسبة
عيد الأضحى المبارك، وكل عام وغبطتكم والمواطنون الأعزاء بكل خير^(١).

برقية إلى الرئيس الباكستاني:

ويعلن عن قيام دولة باكستان المسلمة؛ فيرسل الإمام الشهيد في ١٥ من أغسطس ١٩٤٧ البرقية التالية:

السيد محمد علي جناح - كراتشي - الهند
في هذا اليوم الخالد الذي تحقق فيه قيام دولة الباكستان الإسلامية برئاستكم
الرشيدة، يسرني أن أبعث إليكم بأصدق التهاني وأطيب التمنيات، معبراً في ذلك عن
شعور أبناء وادي النيل عامة، والإخوان المسلمين خاصة^(٢).

âââ

(١) السيسي: السابق ١٨٥/١، ورسالة الأنبا يوساب ورد المرشد عليها ينمّان على التسامح الديني، والعلاقة الطيبة بين الإخوان والأقباط.

(٢) السيسي: السابق ١٧٧/١.

برقية إلى سلطان مراكش

و قبل ذلك، وعلى التحديد في ٢٢ من أكتوبر ١٩٤٦م، أرسل المرشد العام رسالة إلى سلطان مراكش، و رسالة بنفس الصيغة إلى رئيس الحكومة الفرنسية باسم الإخوان المسلمين، يقول فيها:

.... رجاء أن تأمروا بالإفراج عن المجاهد الكبير الأمير عبد الكريم الخطابي، حيث إن الحكومة الفرنسية قد أفرجت عن كل المعتقلين في المغرب، وأظهرت استعدادها لاتخاذ سياسة التفاهم والتقارب من البلاد العربية. ولا شك أن الإفراج عن هذا الزعيم الكبير لما يعزز هذه السياسة ويقدم عربوناً على صدقها، ويرضي شعور العالم العربي والإسلامي، ولنا كبير الأمل أن تستجيبوا لرجائنا^(١).

وهذه البرقيات تدور في تلك الرسائل العشرين التي عرضناها فيما سبق، وتبيّن عن تفاعل الإمام الشهيد والإخوان مع الوطن الإسلامي وقضاياها، والحرص على التسامح الديني والغيرة على الإسلام وقيم الرجلة والخلق الرفيع.

وفي الصفحات التالية، نقف وقفة نقدية تقييمية؛ لنتبين ما تتسم به هذه الرسائل من ملامح في أبعادها الموضوعية والفكرية والفنية والأسلوبية.

âââ

(١) السيسى: السابق ١/١٢٥.

٣- تقسيم الرسائل

الرسائل العشرون التي كتبها الإمام الشهيد حسن البنا^(١)، ووجهها إلى شخصيات عامة في أمور تتعلق بالدين والأمة والوطن، هذه الرسائل - خلوصاً إلى تحديد أبعادها وملامحها وطوابعها الفكرية والفنية - يمكن التعامل معها في واحد من التقسيمات الآتية:

أولاً: تقسيمها على أساس المرسل إليه (أي شخصية المستقبل) إلى:

- ١- رسائل إلى الملوك بأسمائهم: رسالة إلى الملك فؤاد، ورسالتين إلى الملك فاروق.
- ٢- رسائل إلى الملوك والأمراء والكتاب بصفاتهم: (وان سلمت إلى كل منهم) رسالة نحو النور.
- ٣- رسائل إلى رؤساء الحكومات: رسالة إلى محمد توفيق نسيم، وثلاث رسائل إلى مصطفى النحاس، ورسالتين إلى علي ماهر، ورسالتين إلى إسماعيل صدقي، ورسالة إلى محمود فهمي النقراشي.
- ٤- رسائل إلى شخصيات أخرى: رسالة إلى الأمير عمر طوسون، ورسالة إلى الأنبا يونس، ورسالة إلى السفير البريطاني، ورسالة إلى مكتب الإرشاد، ورسالة إلى الإخوان بصفتهم، ورسالة إلى حاخام اليهود بمصر، ورسالة إلى رئيس مجلس الأمن وسكرتير هيئة الأمم.

ثانياً: تقسيمها على أساس الموضوع والمضامين:

- ١- رسائل من أجل العقيدة والقيم الدينية إلى كل من: الملك فؤاد ومحمد نسيم والنحاس (الرسالة الأولى) والملك فاروق (الرسالة الأولى).

(١) لم ندخل البرقيات في هذا الإحصاء؛ وأدخلنا فيه رسالته إلى مكتب الإرشاد ورسالته إلى الإخوان، وهي آخر الرسائل كما ذكرنا.

٢- رسائل من أجل القضية الفلسطينية إلى كل من: عمر طوسون، والأنبا يومنس، والسفير البريطاني، وعلي ماهر (الرسالة الأولى)، وحاخام الطائفة اليهودية في مصر.

٣- رسائل الدعوة الإسلامية الشاملة: نحو النور.

٤- رسائل الدفاع عن الجماعة: إلى النحاس في الرسالة الثالثة.

٥- الرسالة التي وجهها إلى أعضاء مكتب الإرشاد من أجل النهوض الإداري والوظيفي، والرسالة التي وجهها إلى الإخوان في شكل وصية.

٦- رسائل الدعوة إلى الإصلاح الخارجي والداخلي إلى كل من: علي ماهر (الرسالة الثانية)، ومصطفى النحاس (الأولى والثانية)، وإسماعيل صدقى (رسالتين)، وإلى فاروق (رسالتين)، ومحمد فهمي النقراشي، ويلحق بها ما تعلق بالقضية الوطنية كالرسالة الموجهة إلى رئيس مجلس الأمن.

ثالثاً: تقسيمها على أساس زمني: وذلك بترتيب هذه الرسائل اعتماداً على تاريخ إرسالها، ابتداء بأقدمها، وانتهاء بأحدثها، ولو على وجه التقرير، وهو التقسيم الذي اتبعناه في عرض هذه الرسائل بصورة تقريبية، وإلى حد كبير.

ومن محاسن هذا النهج الأخير أنه يبين بطريقة طبيعية – وفيه مصداقية – عن طبيعة امتداد الخط العقدي والفكري للإمام البنا في مساره التصعيدي، ومدى الالتزام – نظرياً وسلوكياً – بالثوابت، وتطوير المتغيرات، ومدى ناشطية التفاعل مع الأحداث تأثراً وتأثيراً في واقع المواقف والمستجدات المحلية والعالمية في المسيرة الذاتية المطردة المتصاعدة.

ومن محاسن هذا النهج كذلك أنه يسهل للدارس الوصول إلى ما يحرص عليه من استخلاصات، وموازنات بين المواقف خلوصاً إلى الأحكام العادلة، حيث يكون للموقف في وقت معين – ارتباطاً بالأحداث وقرائن الأحوال المصاحبة – وجاهته وقيمة

وفاعليته، بينما يفقد مثل هذا الموقف هذه السمات – بل قد ينتقل إلى خاتمة النقيض – في وقت مغاير، وظروف مختلفة.

وليس معنى ذلك أن التقسيمات الأخرى – التي يعتمد عليها كل منها على أساس غير الأساس الزمني – تخلو من المزايا. بل قد يكون لها من المحاسن – أو لبعضها على الأقل – ما يفوق ما للتقسيم الزمني، ولكن المسألة تتوقف على طبيعة الدراسة، والزاوية التي ينظر منها الدارس مما يحتاج إلى شرح طويل يضيق عنه مقامنا هذا.

قدرة التمثيل

والوقفة الموضوعية من هذه الرسائل تقودنا إلى إقامة "فرض" لا يخلو من طرافة، وخلاصة هذا الفرض أن تكون هذه الرسائل العشرون هي كل التراث الفكري الذي خلفه الإمام البنا والمدرسة الإخوانية، وبمواكبة هذا الفرض، وبعد معايشتي لهذه الرسائل معايشة عقلية محايده، خرجت – دون تعسف أو تعمُّل – بعدد من الحقائق الموضوعية تتلخص فيما يأتي:

١- أن هذه الرسائل تمثل – في إيجاز ووضوح بصورة مباشرة وصورة غير مباشرة – أهم تضاريس المدرسة الإخوانية ومبادئها وطوابعها السياسية والاجتماعية والأخلاقية، ومنهجها الإصلاحي في المجالات المتعددة.

الطابع الشمولي

٢- أنها تمتد – كما رأينا – فتعالج كل القضايا والمسائل الإسلامية والعربية والوطنية والحزبية.. مسائل الداخل والخارج، مما يقطع برحابة المنهج ومرونته ووعيه ومصداقيته، وحرص أصحابه على الإصلاح الحقيقي.

بين نفعية الارتماء وطهارة الانتماء

٣- وهذه الرسائل تتضمن تهمة حاول بعضهم إلصاقها بالإخوان ومرشدتهم، وهي تقلب سياستهم وعلاقتهم برؤساء الحكومات ووزرائها، بحيث لا يحكمها إلا النفعية الحزبية، فهم مرة يؤيدون الوفديين، ثم ينقلبون على الوفد، ويؤيدون الأحرار الدستوريين، أو السعديين.... إلخ.

وهو كلام ألقى على عواهنه، ويتمتع بحظ وافٍ من الضعف والهشاشة، وذلك لاعتماده على تصورات غالطة، ويرجع غلط هذه التصورات إلى الأسباب الآتية:

أ- قصور مفهوم أصحابه لطبيعة السياسة، وخلطهم في المجال الحزبي بين الثوابت والمتغيرات، وخلطهم كذلك بين الارتماء الاستسلامي، والانتماء النقي الظاهر الذي يعني الإخلاص والشعور القوي بالارتباط بالحزب أو الجماعة دون تفكير الشخصية وذوبانها في "شخصية الجماعة".

وهؤلاء تضيق آفاقهم ونظاراتهم: فالحسن - بإطلاق - هو ما استحسنوه، أما ما لم يستجده فهو السيء الضالع في القبح والسوء.

ب- أنهم نظروا إلى مواقف الإخوان من الحكومات والأحزاب، وقيموها على أساس الظاهر، أو الناتج الآني القائم، ولم يبحث هؤلاء - عن عمد أو غفلة - عما وراء هذه المواقف الإخوانية - المترقبة أو المتراقبة في نظرهم - من دوافع وحيثيات تتلخص في أن الإخوان في قبولهم وتأييدهم، أو رفضهم وإنكارهم وحملهم على أية حكومة، إنما يصدرون في كل هذه المواقف عن إيمانهم الراسخ بقضايا الوطن والعروبة والإسلام.

وقد حسمت هذه الرسائل الحكم فيما حمل على الإخوان بأنه تقلب بل تناقض في المواقف يقطع بتناقض فكري وعقدي، بأن رصدت لكل موقف من الأسباب

والتعليقات الحقيقة، ما يجعل الرأي المعروض مستساغاً غير منكوح. ويطرد هذا النهج في كل الرسائل، وأكتفي بشاهد واحد:

تولى إسماعيل صدقى رئاسة الوزارة في ١٩٤٦/٢/١٨ م " وقد تعهد صدقى للإخوان بالطالة الجادة القوية بحقوق البلاد، أو التخلي عن الحكم إذا تعسرت الأمور"^(١).

وغض الإخوان نظرهم عن ماضي صدقى الضليع في الدكتاتورية طمعاً في أن يفتح في حياته صفحة جديدة، وتأييداً لهذه الوزارة، وتبثيئاً لمركزها أمام الإنجليز اشترك الإخوان في مظاهرات ضخمة في ١٩٤٦/٢/٢١ م^(٢).

وبعد ذلك بثلاثة أيام سلم مندوب الإخوان لصدقى رسالة المرشد التي عرضناها من قبل، يحدد فيها مطالب الأمة والإخوان. فلما حث صدقى بما وعد كانت رسالة المرشد الثانية في ٨ من أكتوبر ١٩٤٦ م، وهي رسالة شديدة اللهجة تتهم صدقى بالظلم والبطش، والتضامن مع الإنجليز ضد الشعب، وتطالبه بالاستقالة الفورية.

ورفع المرشد في التاريخ نفسه رسالة إلى الملك فاروق يطلب منه فيها إقالة صدقى، وعجز صدقى عن الصمود، وقدم استقالته في ١٩٤٦/١٢/٩ م، وبهذا المنطق – منطق اتخاذ الموقف الملائم المبرر – أخذ الإخوان أنفسهم في موقفهم من وزارات علي ماهر، وزارات النقراشي، وزارات مصطفى النحاس، فلا تناقض إذن، ولكنه الاتساق مع متطلبات العقيدة والعروبة والوطن، بحيث يكون الثبات على موقف واحد – مع تغير الظروف والأحوال – هو عين التحجر والجمود.

(١) محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمين.. أحداث صنعت التاريخ ٣٦٩/١.

(٢) محمود عبد الحليم: السابق ٣٧٠/١.

منطق التدرج

٤- إنها تسلك منهج التدرج في معالجة المسائل والمشكلات من البسيط الفردي إلى الجماعي المعقد الرحيب، ومن الوطني الخاص إلى العربي والإسلامي الشامل العام. وهو مسلك يتفق مع منطق الدعوات والحركات الإصلاحية الوعائية، حتى كانت أشمل الرسائل وأجمعها وأوسعها - وهي رسالة نحو النور - الموجهة إلى ملوك العرب، ورؤساء حكوماتهم، وكبار شخصياتهم من أواخر الرسائل، وقبل استشهاد الإمام البنا بعامين أو ثلاثة.

ومضامين هذه الرسالة الجامعة جاءت قبل ذلك بسنوات وفي فترات مختلفة موزعة شرائط شرائح في الرسائل السابقة، ومن ثم لا يستطيع أحد أن يدعي أن الإمام البنا قد فاجأ شخصيات الكبار، وأبناء الوطن والأمة العربية بجديد لم يسمعوا به، فما جاء في هذه الرسالة الجامعة الوعائية لا يعدو كونه تفصيلاً للثوابت التي تمثل نخاع دعوة الإخوان، وتكرر دورانها والإلحاح عليها في خطب الإمام وكتبه ورسائله الدعوية^(١).

(١) ويقع في الخطأ من يحاول أن يقسم مسيرة هذا التدرج الطبيعي إلى مراحل أيديولوجية منفصلة، كما فعل بعض من كتب عن دعوة الإخوان، مثل: "رفيق حبيب" فقد قسم مسيرة دعوة الإخوان إلى ثلاث مراحل، هي:

- ١- المرحلة الأخلاقية: وتمثل جذور الحركة.
- ٢- المرحلة الاجتماعية: وتتضمن بداية التأثير الفعلي على المجتمع العام.
- ٣- المرحلة السياسية: وفيها حاولت الجماعة المشاركة في الحكم بعد مشاركتها في التوجيه الأخلاقي والنشاط الاجتماعي.

انظر د. رفيق حبيب: الاحتجاج الديني والصراع الطبقي في مصر ١٠٢ - ١٠٤ دار سينا للنشر، القاهرة.

الحل السلمي

٥- ومن شعارات الإخوان المعروفة "الجهاد سبيلنا" و"الموت في سبيل الله أسمى أمانينا" ، ومع ذلك نجد في هذه الرسائل مكاناً فسيحاً للدعوة إلى السلام، والمعايشة السلمية، والأخذ بالحل السياسي الكريم؛ فنجد الإمام الشهيد - بعد أن قدمت حكومة علي ماهر معونة لضحايا انتفاضة ١٩٣٦م - يخاطبه في رسالته إليه بقوله "... والمسعى السياسي لحل قضية فلسطين أهم بكثير من هذا المسعى الإنساني - على جلاله ورحمته - ولعل الظروف الحالية هي أنساب الظروف لإعادة النظر في هذه القضية".

ويذكر القواعد التي يجب أن يقوم عليها الحل السلمي، وأهمها "اعتراف الحكومة البريطانية - صاحبة الانتداب على فلسطين - باستقلال فلسطين عربية مسلمة، والتعاقد معها تعاقداً شريفاً على نحو ما حدث في مصر والعراق مثلاً^(١)".

= وتاريخ الجماعة ينقض هذا التقسيم الحاد، وكذلك رسائل الإمام الشهيد، فالإسلام - في نظر الجماعة - فيه من الشمولية ما يتسع للقيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية. وكان اختلاف اهتمامات الجماعة في نطاق هذه النوعيات اختلافاً في الدرجة لا اختلافاً في نوعية الموقف، وخصوصاً أنها قيم متباينة متباشرة، وإن هيمن عليها كلها الطابع الأخلاقي الرباني. وحق لروبير جاكسون أن يقول عن الإمام الشهيد - وكان يريد أن يكذب قول تاليران: "إن اللغة لا تستخدم إلا لإخفاء آرائنا الحقيقية" ، فقد كان ينكر أن يضل السياسي سامعيه أو أتباعه أو أمهاته، وكان يعمل على أن يسمو بالجماهير ورجل الشارع فوق خداع السياسة وتضليل رجال الأحزاب (حسن البنا: الرجل القرآني. ص ١٢).

(١) الإمام البنا: مذكرات الدعوة والداعية، ٣٦١.

وكان اليهود حتى عام ١٩٤٨م - عندما أعلنوا قيام إسرائيل - يمثلون قرابة ٣٠٪ من عدد السكان. وكانوا قبل المجرات المتواتلة إلى فلسطين أقل من ذلك بكثير، فلغة الأرقام تقول: في عام ١٩١٤م كان مجموع سكان فلسطين ٦٨٩ ألفاً، بينهم ٨٤ ألف يهودي (أي أقلية نسبتها إلى عدد السكان ١٢٪)، وفي عام ١٩٢٥م بلغ مجموع سكان فلسطين ٧٦٢ ألفاً، منهم ١٥٧ ألف =

وفي رسالته للسفير البريطاني في ٢ من نوفمبر ١٩٣٧ م يستهجن سياسة بريطانيا العدوانية في فلسطين، ويدعوه إلى مطالبة حكومته "بوقف الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، وتحقيق الاستقلال التام على أساس اتفاق شريف يضمن حقوق العرب، ويعامل فيه اليهود معاملة الأقليات في جميع البلدان"^(١).

وتطرد هذه الرؤية أيضاً ليدخل في نطاقها حل القضية المصرية بجلاء القوات البريطانية، واعتراف إنجلترا باستقلال مصر والسودان.

أما إذا أخفق الحل السلمي الذي يتمثل – بصفة أساسية – في جلاء الإنجليز جلاء تاماً عن أرض وادي النيل، مع الاعتراف الحاسم باستقلال مصر والسودان كما ذكرنا، فليس هناك – كما يقول الإمام الشهيد مخاطباً في رسالته إسماعيل صدقى – "إلا أن تدعوا الأمة إلى الجهاد في سبيل حقوقها، وتنظم معها وسائله وأساليبه، كما تفعل كل أمة ترجو الحياة العزيزة، وتؤثر الموت الكريم في ظل الاستشهاد على الاستكانة والذل والاستعباد"^(٢).

=يهودي (أي بنسبة ٪٢١)، وفي نهاية عام ١٩٣١ بلغ مجموع اليهود ١٧٥ ألف يهودي. وتدفقت المجرات حتى ارتفعت نسبة اليهود إلى ٪٣٣ سنة ١٩٤٨م. (راجع تفصيلات مطولة لهذه الإحصائيات، وتطور المجرات اليهودية Zionism and Arabism P.٧٦ In Palestine and Israel P. ٧٦ Elie Kedourie and Sylvia G Haim. London ١٩٨٢.

The Palestine Diary P: ٨٢ (Volume Two) Robert John – Sami Hadawi. (١٩٤٥-١٩٤٨).

(١) السابق، ٣٠٤.

(٢) من رسالة الإمام الشهيد لصدقى في ٨ من أكتوبر ١٩٤٦م: انظر: محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمين: أحداث صنعت التاريخ ١/٣٧٨.

رؤى مستقبلية

٦- وتحل هذه الرسائل برؤى مستقبلية بصيرة، فكأنما كان الإمام البنا ينظر إلى المستقبل من ستر رقيق، وكأنه المعنى بقول الشاعر:

الأمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

ويطول بنا المسار جدًا لورحنا نتبع مظاهر هذه الرؤى المستقبلية التي أثبتت حاضرنا صحتها ومصداقية تقديرها، لذا؛ سنجتزئ بعض الأمثلة، فمنها:

أ- تصويره خطر المبشرين، وعدوانهم على العقيدة وبلاد المسلمين، وتحذيره الأمة من امتداد نشاطهم، وتقاوم أمرهم؛ مما يؤدي إلى نتائج مدمرة للدين وال المسلمين والخلق^(١) وهذا نحن أولاء نعيش هذا الواقع المري في حالة أشد وأنكى.

سياسة الغرب

ب- ومن رسالته - في أكتوبر ١٩٣٩م بعيد إعلان الحرب العالمية الثانية - إلى علي ماهر - رئيس الحكومة المصرية:

"وان الدول الأوروبية - يا رفعة الرئيس - مهما كان لونها لا عهد لها ولا ذمة، ومهما تظاهرت بالحياد والمودة فإنها تحفي غير ما تظهر، ولا تتردد في تكذيب نفسها إذا وجدت مصلحتها في هذا التكذيب"^(٢).

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية، ١٩٦ - ٢٠٤، وهي تعرض جهود الإخوان لتحطيم هذه الموجة التبشيرية العارمة، وقد حقق الإخوان في هذا المجال نجاحًا فائقًا.

وفي الصلة الوثيقة بين التبشير والاستعمار، راجع ١٢٧ - ١١٣ من كتاب "التبشير والاستعمار في البلاد العربية" لمصطفى الخالدي وعمر فروخ (المكتبة العصرية - صيدا - بيروت: ١٩٩٥م).

(٢) مذكرات الدعوة والداعية ٣٥٢.

أليست هذه هي الحال التي نرى عليها الآن الأمم المتحدة والمنظمات الدولية، وبنـت السفاح "إسرائـيل"؟ ويـستكمل الإمام الشهـيد نظرـته الـباكرة الواعـية بـقولـه: "فـمن واجـبـنا أـلـا نـنـخـدـع بـحـيـادـ مـحـايـدـ، بل لـابـدـ منـ الاستـعـدـادـ التـامـ بـكـلـ معـانـيـهـ، وـبـكـلـ سـرـعةـ وـهـمـةـ، حتـىـ نـوـاجـهـ الـخـطـرـ وـنـحـنـ عـلـىـ تـامـ الـأـهـبـةـ، فـلـنـقـفـ مـوـقـفـ الـحـيـادـ، وـنـعـملـ جـاهـدـينـ لـلـاستـعـدـادـ^(١)".

الأـخـلـاقـ وـهـوـيـةـ الـأـمـةـ ..

جـ- وفيـ رسـالـتـهـ إـلـىـ الـمـلـكـ فـارـوقـ سـنـةـ ١٣٥٨ـ هـ يـرـبـطـ الإـلـمـامـ الـبـنـاـ بـيـنـ ضـيـاعـ الـهـوـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ لـلـشـعـبـ، وـفـقـدـ ثـقـتـهـ بـنـفـسـهـ، وـتـهـدـيـدـ الـأـسـرـ الـآـمـنـةـ وـالـبـيـوـتـ الـمـطـمـئـنـةـ بـالـخـرـابـ الـعـاجـلـ، وـالـتـحـلـلـ السـرـيعـ الـذـرـيعـ.. يـرـبـطـ الإـلـمـامـ الـبـنـاـ بـيـنـ هـذـهـ النـتـيـجـةـ الـبـشـعـةـ، وـبـيـنـ مـظـاـهـرـ الـفـسـادـ وـالـفـجـورـ وـالـمـجـونـ وـانـحرـافـ الـصـحـفـ وـالـإـذـاعـةـ...^(٢).

سبـحانـ اللهـ!! لـقـدـ كـتـبـتـ هـذـهـ الرـسـالـةـ مـنـ سـتـيـنـ عـامـاـ.. أـلـيـسـ هـذـاـ هـوـ مـاـ نـعـيـشـهـ الـآنـ فـيـ عـصـرـ الـبـثـ الـمـبـاـشـرـ وـالـمـحـطـاتـ الـفـضـائـيـةـ وـالـأـطـبـاقـ الـمـسـتـقـبـلـيـةـ (ـالـدـشـ). تـرـىـ لوـ أـنـ دـولـ الـشـرـقـ سـارـتـ فـيـ طـرـيقـ الـعـلـمـ وـالـتـقـنـيـةـ الـحـدـيـثـ بـخـطـىـ ثـابـتـةـ، وـرـبـطـتـ مـسـيرـتـهاـ بـقـيـمـاـ الـدـينـيـةـ وـالـأـخـلـاقـيـةـ، أـمـاـ كـنـاـ نـسـتـطـيـعـ أـنـ نـزـاحـمـ الـغـرـبـ بـرـصـيدـ عـلـمـيـ ذـيـ قـيـمـةـ فـيـ هـذـاـ المـجـالـ؟ رـصـيدـ يـقـيـنـاـ مـفـاسـدـ الـغـرـبـ، وـتـسـلـطـاتـهـ وـسـقـوـطـاتـهـ؟

(١) السابق: الصفحة نفسها.

ترـىـ لوـ أـنـ السـادـاتـ لـمـ يـسـتـسلـمـ لـوـعـودـ "ـكـارـتـرـ" وـتـأـكـيـدـهـ ضـمـانـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ تـتـفـيـذـ اـتـقـاـقـيـةـ الـسـلـامـ فـيـ "ـكـامـبـ دـيفـيدـ"ـ، وـجـعـلـ الـأـمـةـ عـلـىـ اـسـتـعـدـادـ دـائـمـ لـكـلـ طـارـئـ مـبـاغـتـ..

ترـىـ لوـ فـعـلـ السـادـاتـ ذـلـكـ، هـلـ كـانـتـ الـحـالـ تـهـبـطـ وـتـرـدـىـ إـلـىـ مـاـ نـحـنـ فـيـهـ الـآنـ؟ وـتـظـلـ يـدـ إـسـرـائـيلـ تـضـرـبـ وـتـعـرـيدـ كـمـاـ تـقـعـلـ الـآنـ؟ آـلـاـ مـاـ أـصـدـقـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: (ـوـأـعـدـواـ لـهـمـ مـاـ اـسـتـع~عـثـمـ مـنـ قـوـةـ وـمـنـ رـيـاطـ الـخـيـلـ تـرـهـبـونـ بـهـ عـدـوـ اللـهـ وـعـدـوـكـمـ وـأـخـرـيـنـ مـنـ دـونـهـمـ لـاـ تـعـلـمـوـهـمـ اللـهـ يـعـلـمـهـمـ...)ـ (ـالـأـنـقـالـ: ٦٠ـ).

(٢) انـظـرـ نـصـ الرـسـالـةـ، ٦٩ـ -ـ ٧٠ـ، مـنـ كـتـابـ "ـلـمـاـذـاـ اـغـتـيـلـ الإـلـمـامـ الشـهـيدـ حـسـنـ الـبـنـاـ؟ـ"ـ، لـعـبدـ الـمـتعـالـ الجـبـريـ.

د- ويشير الإمام البنا إلى بعض الأمراض الإدارية في المصالح الحكومية، ومنها الرشوة والواسطة والمحسوبيّة، ويدعو إلى القضاء عليها، ولا من يجيب، وما زالت هذه الأمراض هي هي - ضاربة بجذورها - وبصورة أبشع وأشد - في مصالحنا الحكومية، وما زالت هي سر التخلف الإداري والوظيفي، وعدم الاستقرار الاجتماعي في شرقنا العربي.

جبهات للتصدي ..

هـ - وكم نحن في أشد الحاجة حالياً - لمواجهة الإجرام الصهيوني والصلف الإسرائيلي، والتآمر الأمريكي - إلى وحدة الصف العربي! ابتداء بتوحيد أبناء كل شعب في جبهة شعبية واحدة، بلا أثواب حزبية، أما الحكومة فتسلك سبيلها الرسمي. وكان صاحب هذه الدعوة هو الإمام الشهيد من نصف قرن مضى. ففي رسالته التي وجهها في ١٥/١٩٤٧م إلى محمود فهمي النراشي الذي يتولى رئاسة الحكومة للمرة الثانية "ادع الأمة في وادي النيل إلى أن تكون من هيئاتها وجماعاتها وأحزابها ومفكريها جبهة قومية سودانية مصرية واحدة تتعهد بالشعور الوطني، وتقف في وجه العدوان، فتعمل الحكومة بوسيلتها الرسمية، وتعمل تلك الجبهة القومية إلى جانبها بوسائلها الشعبية"^(١).
وما زال الباب مفتوحاً لتأخذ الشعوب العربية والإسلامية نفسها بهذه النصيحة التي مضى عليها نصف قرن، فهي ولا شك - لو خلصت التوايا، وقويت العزائم - تمثل طريقةً من الطرق الموصولة للنصر.

âââ

(١) محمود عبد الحليم: مرجع سبق ١ / ٣٨٩.

الوسطية العادلة..

وـ ومن الأفكار الباكرة التي نجد أنفسنا حالياً في أشد الاحتياج إلى الأخذ بها لواجهة الجامدين الغلاة الذين يكفرون كل من أخذ من جديد الغربيين بطرف، ما كتبه في رسالته الموجهة إلى علي ماهر سنة ١٩٣٩م:

"والطريق الوحيد للإصلاح أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام، فتطبقها تطبيقاً سليماً، وأن تقتبس من كل فكرة قديمة أو حديثة.. شرقية أو غربية ما لا يتافق مع هذه التعاليم، ويكون فيه الخير للأمة"^(١).

إنه حد الوسط الذي يعبر عن الروح الحقيقية للإسلام، ولكننا نواجه - في وقتنا الحاضر - فتنتين من الناس:

- ١- غلاة يرفضون كل ما هو غربي، ولو كان نافعاً.
- ٢- غلاة يدعون إلى الأخذ بكل غربي، ولو كان ضاراً.

وما أشد احتياجنا في حياتنا الحاضرة المنكوبة المنكسرة إلى الأخذ بما دعا إليه الإمام البنا - من نصف قرن، والسير في هذا "الطريق الوحيد للإصلاح"، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها".

فلسطين في محاور الرسائل..

وفي سياق التقييم الموضوعي لهذه الرسائل رأينا أنها تدور حول محاور ثلاثة، هي:

- ١- محور وطني مصرى.
- ٢- محور عربي.
- ٣- محور إسلامي.

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ٣٥٣.

وهو تقسيم يعتمد – كما يقول المناطقة – على الغالب لا المطلق، كما أنه تقسيم صناعي أكثر منه طبيعياً، فالرسالة الواحدة قد تدور حول محورين أو ثلاثة كتلك الرسالة الجامعة التي وجهها المرشد إلى علي ماهر رئيس الحكومة المصرية في شعبان ١٩٣٩هـ – أكتوبر ١٩٣٩م^(١).

وتفصيل القول في كل محور من هذه المحاور لا يتسع له المقام ونكتفي بوقفة – لا تطول – مع فلسطين وقضيتها ومكانها في هذه الرسائل، وحظها من جهود الإخوان العملية:

لقد رأينا أن فلسطين ظفرت من هذه الرسائل العشرين بخمس رسائل، وهي الرسائل التي وجهت إلى: الأمير عمر طوسون، والأبا يونس بطريرك الأقباط الأرثوذكس بمصر، والسفير البريطاني بالقاهرة، وعلي ماهر رئيس الوزراء، وإلى حاخام الطائفة اليهودية بمصر.

وكون الإخوان لجنة لإغاثة المنكوبين من أبناء فلسطين، والوقوف بجانب المجاهدين، وانتشر خطباؤهم في المساجد والمجامع يدعون لنصرة فلسطين العربية المسلمة.

وكان الإخوان في مؤتمراتهم يتخذون القرارات العملية لمناصرة فلسطين، وتعضيد كل من يناصر القضية، ويجهد في سبيلها، ومن ذلك – على سبيل التمثيل – القرار الرابع الذي اتخذه الإخوان في المؤتمر الخامس في ١٣ من ذي الحجة سنة ١٩٣٧م، ونصه:

"تحية الفتى الأكبر والمجاهدين الكرام في فلسطين المباركة وأعضاء اللجنة العربية العليا، وفضلاء أعضاء الوفود الإسلامية الأمجاد بمؤتمر لندن، مع إرسال

(١) انظر السابق، ٣٥٠ – ٣٥٨.

برقية لسماحة الفتى بمقره بلبنان، ولسمو رئيس وفد مصر بلندن بالمؤتمر، ولوزير خارجية إنجلترا بتأييد المطالب العربية بمناسبة انعقاد المؤتمر الخامس للإخوان المسلمين^(١).

هذا، في الوقت الذي انحصرت فيه توجهات الأحزاب المصرية في نطاق العمل الوطني، بل إهدار الطاقة في الخلاف والتطاحن، وهذا يذكرنا بما خاطب به أحمد شوقي هذه الأحزاب:

وهي الضجة الكبرى علاما؟	الام الخافى بينكم الام
وتبدون العداوة والخصام؟	وفيم يكيد بعضكم لبعض
على حال، ولا السودان داما؟	وأين الفوز؟ لا مصر استقرت
ركبتم في قضيته الظلام؟ ^(٢)	وأين ذهبتם بالحق لما..

شهادة مصطفى صادق الرافعى ..

وكان لجهود شباب الإخوان أثر طيب جداً في نفوس كثير من المفكرين العدول والساسة المنصفين وبعض مشاهير الأدباء، ومن هؤلاء كاتب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي، الذي صور موقفاً من موافق هؤلاء الشباب من أجل فلسطين في مقال طويل نقتطف منه بعض أجزائه:

"... ولما قضيت الصلاة (صلوة الجمعة) هاج الناس إذ انبعث فيهم جماعة من الشبان يصيرون بهم، يستوقفونهم ليخطبواهم، ثم قام أحدهم فخطب فذكر فلسطين، وما

(١) الساق، ٣٢٢

(٢) مطلع قصيدة نظمها أحمد شوقي في الذكرى السابعة عشرة لوفاة مصطفى كامل. الموسوعة الشوقيّة ١٥٥/٥ (دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م).

نزل بها، وتغير أحوال أهلها، ونكبتهم وجهادهم، واحتلال أمرهم، ثم استجد واستعلن، ودعا الموسر والمخف إلى البذل والتبرع، وإقراض الله تعالى، وتقدم أصحابه بصناديق مختومة، فطافوا بها على الناس يجمعون فيها القليل والأقل من دراهم هي في هذه الحال دراهم أصحابها وضمائرهم.

قال الشيخ: لم يخف علينا مكانك، وقد بذلتكم ما استطعتم، فبارك الله فيك وفي أصحابك.

وقد جاء في الأثر في وصف هذه الأمة أنها في أول الزمان يتعلم صغارها من كبارها، فإذا كان آخر الزمان تعلم كبارها من صغارها.

وتأنويله أن آخر الزمان سيكون لهذه الأمة زمن جهاد واقتحام وعزيمة، ومغالبة على استقلال الحياة، فلا يصلح لوقاية الأمة إلا شبابها المتعلّم القوي الجريء.

ووُقعت الصيحة في المكان، فجاء أحد الخطباء، ووقف يفعل ما يفعله الرعد: لا يكرر إلا زمرة واحدة، وجلس بين أيديهم متأدباً متخشعاً، ووضع الصندوق المختوم، فقال أحد الشيوخ: ممن أنت يابني، قال: من جماعة الإخوان المسلمين^(١).

ولم يقف جهد الإخوان عند الخطاب والدعائية والتعبئة المعنوية وجمع التبرعات من أجل فلسطين. ولما صدر قرار التقسيم قامت مظاهرة مصر الكبرى تشجب قرار التقسيم في ١٥/١٢/١٩٤٧م، وأعلن الإخوان في المؤتمر الذي أعقبها عن تبرعهم بدماء عشرة آلاف متطلع للاستشهاد في سبيل فلسطين. وترجم الوعود إلى عمل، ودخلت كتائب الإخوان فلسطين، وحققوا من البطولات ما يعجز عنه الوصف، ثم كانت المؤامرة الخسيسة بقبول العرب الهدنة الأولى في ١١ من يونيو ١٩٤٨م، وذلك في الوقت

(١) من مقال (قصة الأيدي المتوضئة)، وهي القلم للرافعي ٢٦٤/٢ - ٢٧١ (المكتبة التاريخية - القاهرة (د.ت)).

الذي كان المجاهدون يعدون العدة للوثوب على القدس الجديدة، وكانوا في انتصار ساحق، وكان اليهود في هزائم متلاحقة، وكان نتيجة هذا الوهن المخزي من الحكومة ما هو معروف لنا جميعاً من ضياع الأرض والشرف، وما نراه الآن من توسعات إسرائيل، وتضخم قوتها إلى أن أصبحت حالياً أقوى وأضرى قوة ضاربة في الشرق الأوسط^(١).

(١) فريد عبد الخالق: الإخوان المسلمون في ميزان الحق، ٤٨، ٤٩، وراجع كذلك الصفحات من ٤٧ - ٦٠ (دار الصحوة - القاهرة - ١٩٨٧م - ١٤٠٨هـ)، وعن جهاد الإخوان وتضحياتهم في فلسطين ارجع إلى كتاب «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» لـكامل الشريفي.

وقد شهد ببطولاتهم قادة الجيش المصري مثل أحمد الماوي، وفؤاد صادق، وقائد فيلق الفالوجا: السيد طه، الملقب بالطبع الأسود. ويقول أبو الحسن الندوبي بعد لقاء له مع الحاج أمين الحسيني - مفتى فلسطين في القاهرة - يوم الاثنين ١٤ / ٥ / ١٩٥١م «.. وقد أشى الفتى على الشهيد حسن البنا (رحمه الله)، وأشى على الإخوان المسلمين المجاهدين في فلسطين، وأشى على رجولتهم، وقوة إيمانهم وحماسهم، وقال: كان الواحد منهم يقابل عشرات من اليهود».

أبو الحسن الندوبي: مذكرات سائح في الشرق العربي، ١٨٣ (مؤسسة الرسالة - بيروت. ط ٣، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

ومن صفحات الإخوان الزاهية التي تسجل مواقفهم من القضية الفلسطينية والشخصيات الفلسطينية ما فعلوه من أجل الحاج أمين الحسيني - مفتى فلسطين - الذي كان لاجئاً سياسياً بعد الحرب العالمية الثانية في فرنسا محدد الإقامة في إحدى القرى المجاورة لباريس، وخشى الإخوان أن يسلمه الفرنسيون للإنجليز الذين كانوا يطالبون بتسليميه لينفذوا عليه حكم الإعدام الذي أصدره من قبل عليه، فاتصل الإخوان بسكرتيره الخاص في القاهرة (الأستاذ علي رشدي)، وطالبوه بعرض تحفظهم هذا على سماحته وباستعداد الإخوان لاستقباله ضيفاً عليهم معززاً مكرماً، فوافق وطلب أن يكون حضوره إلى مصر في تكتم شديد، وإعلامه بمحل إقامته، ورسمياً دقيقاً للبيت الذي سينزل فيه، وكان الرد أن إقامته ستكون بقرية =

٤- التقييم الموضوعي لرسائل الإمام البنا

في مقام التقييم الموضوعي لرسائل الإمام البنا التي وجهها إلى الملوك والوزراء، وبعض الشخصيات العامة عرضنا في الصفحات السابقة ما اتسمت به هذه الرسائل من صدق تمثيلها لفكر الإمام الشهيد، وخطوط دعوته، وكذلك طابعها الشمولي الذي اتسع لكل القضايا الشاغلة آنذاك، وكذلك خططها التدرجية في التناول والعلاج، وما تمنت به من رؤى مستقبلية في مجالات السياسة والمجتمع والتربية والسلم وال الحرب. وقد أثبتت الأيام المعيبة الإمام البنا، ودقة تقديراته، وقوته فراسته الإيمانية.

وفي هذه الصفحات، نحاول أن نستخلص ما في هذه الرسائل من ملامح فنية وشعورية وتعبيرية.

أدب الحديث

عرف حسن البنا (رحمه الله) بأدبه الجمّ، وعفة لسانه، وبُعده عن فحش القول، وذلك اقتداء برسول الله ﷺ الذي أدب ربه، فأحسن تأدبيه، ووصفه بأنه على خلق

= آل أبو رقيق بالبحيرة، ولكن طرأ على فكر الإخوان في آخر لحظة أن لو يعرض الأمر على الملك فاروق، فقد يقبل أن يمنح سماحته حق اللجوء السياسي لما كان بينه وبين فرنسا من خلاف، ولجاجته في ذلك الوقت إلى الظهور بالملظور الوطني والغيرية الإسلامية، وفي هذه الحالة ستكون وسائل الراحة متوافرة لسماحته على الوجه الأكمل، وقد كان، وقبل الملك فاروق منح سماحته حق اللجوء السياسي مع إنزاله ضيفاً عليه.

من تعليقات الأستاذ صالح أبو رقيق على كتاب «الإخوان المسلمون» للدكتور ريتشارد ب. متليل. ترجمة: محمود أبو السعود، (هامش ص ١٤٣، ط ١، ١٩٧٩ - ١٣٩٩ هـ)، القاهرة. كما عاون الإخوان المسلمون المجاهد الكبير الشهيد عبد القادر الحسيني في شراء الأسلحة من بدو الصحراء الغربية، وكم كان يطاردهم البوليس المصري بعنف، ولم يوقف هذه المطاردة إلا تدخل المرحوم عبد الرحمن عزام باشا لدى السلطات المصرية. (السابق هامش ١٥١، ١٥٢).

عظيم. كما وصفه ابن أبي هالة بقوله: «كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظّ، ولا غليظ، ولا صحّاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح»^(١).

فلا عجب أن يلتزم الإمام أدب الحديث في رسائله، ويرعى مقام من أرسل إليهم هذه الرسائل، مستخدماً الألقاب الخاصة بكل شخصية:

— فهو يخاطب الملك فؤاد بـ«صاحب الجلالة الملكية، حامي حمى الدين، ملوك مصر المفتدى...».

— ويخاطب «علي ماهر» بـ«صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا، رئيس مجلس الوزراء...».

— ويخاطب مصطفى النحاس — رئيس الحكومة بقوله: «وبعد: فدولتكم أكبر زعيم شرقي عرف الجميع فيه سلامة الدين، وصدق اليقين...».

— ويخاطب الأنبا يونس — بطريرك الأقباط الأرثوذكس بمصر بـ«صاحب الغبطـة... ما نعهدـه في غبطـتكم من أسمـى عواطف الرحـمة النـبيلـة، والـبرـ بالإنسـانية المـعذـبة...».

في صحبة صراحة ناطقة

ولكن هذا الأدب الجم في مخاطبة الملوك والرؤساء والقادة لم يكن من قبيل المداهنة والنفاق، إذ لم يكن وراءه طلب انتفاع شخصي، ونشدان مصلحة ذاتية، إنما كان الباعث الوحيد مصلحة الدين والعروبة والوطن. وقد كانت هذه هي سنة رسول الله ﷺ في حفظه مقام من يخاطبه أو يراسله^(٢).

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١ / ٢٤٦ (مؤسسة علوم القرآن الكريم - دمشق، د. ت).

(٢) وعلى سبيل التمثيل نراه - في ديباجة كتابه إلى أمراء حضرموت يقول: «إلى الأقيال العباة، والأرواح المشايب...» الشفا ١ / ٥٩.

وهذا الأدب الجم لم يكن على حساب الصراحة، والكشف عن الحقيقة، والتوجيه إلى ما يجب أن يكون، وأحيل القارئ على الرسالة الأولى الموجهة إلى مصطفى النحاس، ورسالته إلى الملك فاروق. ورسالته الثانية إلى إسماعيل صدقي^(١).

تيار الشعور^(٢)

أغلب هذه الرسائل - كما رأينا - يرتبط بموضوعات ذات علاقة قوية بالدين والمجتمع، والقضايا العربية والمصرية، ومن ناحية أخرى يرتبط أغلبها بمناسبات تاريخية محددة كواقعة، أو وقائع تشغل شريحة زمانية معينة، وإن استطاع الإمام البنا أن يخرج «بالعلاج الخاص» إلى حدود أوسع حتى يصبح العلاج علاجاً «نوعياً» في أقطار النفس والمجتمع والسياسة.

والآقىال: جمع قيل، وهو الملك أو الوزير الحميري. والعباهلة: الثابتون: جمع عباهل.

والأرواع: جمع أروع، وهو الرائع الذي يعجب الآخرين. والمشابيب: السادة، جمع مشبوب.

والنبي ﷺ يخاطبهم هنا بلسانهم، وقد يصعب فهمه على غيرهم (انظر لجابر قميحة: أدب الرسائل في صدر الإسلام ١٢٢ - ١٣٥).

(١) وردت هذه الرسائل على الترتيب الآتي للمراجع: مذكرات الدعاوة والداعية ٢٩٢ - ٢٩٤، لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا، لعبد المتعال الجبري ٦٩، ٧٠، محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمين ٣٧٦، ٣٧٧: المرجع نفسه ٣٧٧ - ٣٧٩.

(٢) يفرق علماء النفس بين العاطفة والانفعال والشعور تفريقاً لا يخلو من حدة وافتعال عند بعضهم، وكذلك بعض النقاد. (انظر في ذلك: معجم مصطلحات الأدب لمجدي وهبة: الصفحات ٤١، ٨٧، ٥٠٣، ٥١٢، ٥١١. وكذلك المعجم المفصل في الأدب لمحمد التونجي. ص ٥١٢، ٥١٢ من الجزء الثاني (دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)، وإن كان ثمة إجماع عند الأدباء والنقاد على أن العاطفة في الأدب هي الدافع المباشر إلى القول وروحه، وهي عنصر أسلوب يحسن دون أن يشرح، أو يعرض عرضاً مباشراً صريحاً. (أحمد الشايب: الأسلوب ٥٢، ط ٨، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٨ م).

وهذه المقوله تقودنا إلى حقيقة مؤكدة، وهي أن وراء هذه الرسائل نوعين من الدوافع:

النوع الأول: دوافع عقلية متزنة، اعتمدت على دراسة الواقع، وما فيه من استقامة أو سقوط وانحراف، فهي دراسة تقوم على استقراء الحسي المشهود، ومقارنته بالمطلوب المنشود، وهذا «المطلوب» - مهما قيل في مثاليه - لا يخرج عن «دائرة الممکن»، فهو - وما دار في فلکه - ثابت الواقع في عهد النبوة والخلافة الراشدة.

والنوع الثاني: دوافع نفسية عاطفية يمكن إجمالها في الغيرة على الإسلام والقيم والوطن والأرض العربية والإسلامية، والخوف من انحراف الأمة، وخصوصاً شبابها، والغضب لانتهاك حقوقها. وكلها عواطف لا يتخلى عنها شعور التفاؤل والتفتح والطموح إلى تحقيق أمل يداعب النفوس والقلوب والعقول.

هذا هو الخط الشعوري الذي يسري في أعطاف هذه الرسائل، ولكن هذا الخط - في رسمه البياني - لا يأخذ اتجاهًا مستقيماً دائمًا، بل نراه يتمتع بحظ من الارتفاع والانخفاض الانفعالي بنسب مختلفة، وهو في كل الحالات محكوم بقاعدة المصداقية مع مقتضى الحال، بلا إفراط أو تفريط^(١).

العقل والفكر أولاً..

ففي مجال عرض المبادئ والقضايا، وشرح المفاهيم، وتشخيص الأدواء، وتقديم العلاج والحلول من نافذة الإسلام، كما نرى في رسالة «نحو النور» الموجهة إلى الملوك

(١) يقصد بمقتضى الحال أو «الاعتبار المناسب»: الصورة المخصوصة التي يكون عليها الأسلوب بعناصره المختلفة تبعاً للموقف والموضوع. (راجع في ذلك: معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طباعة: ١٨٢، ٣٩٧، ٥٤٨، ط٣، ١٩٨٨م، دار المثارة - جدة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

والرؤساء وذوي المكانات تدعوهم إلىأخذ نفوسهم وشعوبهم بالقيم والأخلاقيات الإسلامية، وتحكيم الإسلام في كل مجالات الحياة، نعيش مع أسلوب تغلب عليه طوابع الأسلوب العلمي بما فيه من مباضرية ووضوح وتقسيم وتصنيف، وترقيم، واستخدام المصطلحات العلمية والشرعية والسياسية بلا إسراف، في هذا المجال تتتحقق العاطفة من السياق ليهيمن الطابع العقلاني، معتمداً على ركيزتين:

الركيزة الأولى: الاستقراء النصي: وذلك بحشد النصوص القرآنية والأحاديث النبوية لتدعم المقولات والأحكام التي يسوقها الكاتب.

والركيزة الثانية: الاستقراء التاريخي للواقع والأحداث السياسية والاجتماعية، والسنن الكونية، واستخلاص النتائج والدروس وال عبر منها دون تعسف أو افتعال.

فالإقناع هنا هو المطلب الأساسي في مثل هذه الرسالة، ومخاطبة العقل هنا أجدى من مخاطبة العاطفة، ويرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع من ناحية، وطبيعة المخاطبين به من ناحية أخرى، فهم في بسطة من العقل والثقافة والحنكة والدرية والمكانة الاجتماعية والسياسية، فلا عجب إذن أن يأتي توهج العقل والفكر أقوى من حرارة العاطفة والشعور.

وهذا الطابع واضح في رسالة «نحو النور» - كما ذكرنا - ورسالة المرشد إلى الملك فؤاد لصد تيار التبشير، ورسالته إلى رئيس الوزراء (محمد نسيم) ووزير أشغاله من أجل بناء مسجد البريلان، ورسالته إلى عمر طوسون والأئب يونس من أجل فلسطين، ورسالته إلى علي ماهر في كيفية توجيه المعونة للمحتاجين، ورسالته إليه عند قيام الحرب العالمية الثانية.

بصمات الرضا والأسى والغضب..

وقد يسري في أعطاف بعض الرسائل شعور بالتقدير والتوقير والتبجيل والتعظيم ينعكس في عبارات من الثناء والتقرير، مع تبرير هذا الشعور وتقديم مسوغاته، كما

نرى في بعض عبارات الرسائل الموجهة إلى كل من: الأمير عمر طوسون، والأنبا يونس؛ لحرصهما على العمل الإنساني المقدم إلى ضحايا العدوان الأجنبي من الأحباش، ومصطفى النحاس حين أشاد بالصراحة والتعاون والإخلاص، ودعوته الأمة إلى التعاون الجاد الصادق مع الحكومة.

وقد تداعى المشاعر فترد معللة بلا تناقض: ففي مقام الشاء والإشادة بجهود الأنبا يونس وعمله الإنساني وشعوره الأبوي تفيض رسالة الإمام بالأسى والنقطة على الصهاينة الذين صبوا عدوانهم على أهل فلسطين «فخرية ديارُهم، وعطلتْ مصالحهم، وقضى على موارد رزقهم»، ويحاول اليهود بعملياتهم هذا أن يستولوا على بيت المقدس، وعلى غيره من الأماكن المقدسة التي أجمع المسلمون والمسيحيون على تقديسها وإكبارها والذود عنها.

وفي بعض الرسائل تعلو نبرة الغضب فتكتسى ثوب التهديد، كما نرى في رسالة المرشد الشهيد إلى السفير البريطاني في ٢ من نوفمبر ١٩٣٧م، فيقول: إن الإخوان «مُضطرون إلى أن يسجلوا احتجاجهم الصارخ على هذه السياسة الجائرة..» وتبلغ هذه النبرة القوية أعلى درجاتها حين يقول الإمام ضمن ختام الرسالة «.. لابد من الانفجار يوماً للشعور المكبوت..».

وتتوهج عاطفة الغضب ممزوجة بالحزن والأسى في رسالة التصوير المأساوي الواقعي لمجتمعنا، تلك الرسالة التي وجهها الإمام الشهيد إلى الملك فاروق، وقد انعكست هذه المشاعر في جمل قصيرة حادة، جاءت كأنها أحكام إدانة حاسمة للحكام والمسؤولين الكبار عن المجتمع المصري «حدود الله معطلة.. أحكامه مهملة.. بُور الخمور، ودور الفجور، وصالات الرقص، ومظاهر المجون تنشى كلَّ مكان».

ثم تنتهي الرسالة بهذا الأمر القارع الصاخب: «قلُّها كلمةً مُنْفَذَة، وأصدره أمراً ملكيًّا لا يكون في مصر مسلمة إلا ما يتفق مع الإسلام».

وفي ذلك هذا الشعور تدور الرسالة الثانية الموجهة إلى صدقي باشا - رئيس الحكومة - في ٨ من أكتوبر سنة ١٩٤٦م بعد أن غدر بالشعب، وما لـ المستعمر، ولم يفِ بما وعد.

ويتبين هذا الشعور الدافق الغاضب في مثل العبارات الآتية:

«... ولكنَّ حكومة دولتكم أصرَّتْ إصراراً عجيباً على موقفها الضعيف المتخاذل، وأخذت تكتب شعور الهيئات والجماعات والأفراد، وتصادر الحريات...».

«.. قد تضامنتمُ - بقصد أو بغير قصد - مع الفاسدين في الاعتداء على استقلال الوطن وحريته...».

«.. وعليكم أن تدعوا أعباء الحكم لمن هو أقدرُ منكم على سلوك النهج القويم..».

عاطفة الأبوة في الوصية الأخيرة

وكان آخر ما كتب الإمام الشهيد - بإطلاق، أو على الأقل آخر ما كتب من الرسائل - رسالته التي وجهها إلى الإخوان جميعاً - بصفتهم لا بأسمائهم - وهي رسالة تتذوق بشعور الأب الذي ابتعد عن الدنيا، واقترب من الرفيق الأعلى، فعانته أيام الاحضار أو ساعاته، ولكن لم تأخذه سكرة أو ذهول، بل غمرته موجات من الإيمان والثقة والطمأنينة، ففاضت مشاعر الأبوة الحانية التي تجيش في نفسه بالتعبير عن حبه وتقديره لهم، وثقته في عزيمتهم وقدرتهم، فهو لا يحدهم - وهم جميعاً أبناءه - إلا بالإخوة الفضلاء:

«أيها الإخوة الفضلاء: أتقدِّم إليكم جميعاً مهنياً بما كتب الله لكم من توفيق، وما أجراه الله على أيديكم من خير، وما اختصكم به من ثبات على كلمة الحق...».

«... فاذكروا أيها الإخوان أنكم الكتبية المؤمنة التي انتهى إليها في هذا العصر المادي المظلم بالشهوات والأهواء والمطامع واجب الدفاع عن كلمات الله ورسالاته...».

إنها وصية مودعٌ لذا جاءت زاخرة بأنبل التوجيهات:

«... فإن عليكم أنتم... أن تتداركوا ما فات، وأن تصلحوا ما أفسد الباشوات والخواجات.. ومهزوم من يحارب الله ويغالب القدر...».

«... أصلحوا سرائركم.. أحسنوا أعمالكم.. استقيموا على أمر الله... استعدوا للبذل والاحتمال والجهاد بالنفس والمال... اعملوا لوجه الله مخلصين له الدين...».

ويختتم وصيته بأن يجعل الإخوان شعارهم النظافة: «النظافة في الضمير والتفكير، وفي اللسان، وفي السير، وفي الثوب، وفي البدن، وفي المطعم والمشرب، والمظهر والمسكن، والتعامل والمسلك، والقول والعمل»، وإن مما أوصى به الرسول (عليه الصلاة والسلام) أمته «تطفووا حتى تكونوا كالشامة بين الأمم».

بين العقل والعاطفة

ونخلص مما عرضنا من مشاعر الإمام في رسائله حتى وهي في حالة التوهج إلى:

١- أنها لم يكن وراءها - رضاً وغضباً - مثيراً شخصياً أو مصلحة خاصة، بل كان الرضا والغضب والحب والبغض للله والأمة والوطن ومصلحة الدعوة.

٢- أنها - في أية حال من الحالات - لم تدفع الإمام البنا إلى قول الفحش والبذاء، فتعفف لسانه عن مجازة أعدائه وأداء دعوته في طريقتهم الفاحشة في حملاتهم، وخصوصاً صحفية (صوت الأمة) لسان حال الوفد.

٣- أنها لم تفقد الإمام أثارة من وقاره العقلي، وقدرته على مناقشة الأمور، وإقناع الآخرين. فكثيراً ما كان يخاطب في الآخرين عقولهم وعواطفهم؛ حرصاً على الإقناع والاستئمالة، وكثيراً ما يتلبس الفكر بالعاطفة، فيأتي الكلام مخاطباً العقل والشعور في آن واحد، ويتحقق الهدف من الرسالة إذا تتوعد العبارات ما

بين خبر وإنشاء وحقيقة ومجاز، وهذا الامتزاج يخفف - ولا شك - من جفاف الحقائق المسوقة، كما يجعل الشعور أكثر انضباطاً، كما ترى في العبارة التالية من رسالة الإمام البنا إلى النحاس باشا بعد أن أبدى إعجابه المفرط - في تصريح له - بمصطفى كمال أتاتورك:

«... ولقد أخذ الكثيرون ممن طالعوا هذا التصريح يتساءلون: هل يُفهم من هذا أن دولة النحاس باشا - وهو الزعيم المسلم الرشيد - يوافق على أن يكون لأمتة - بعد الانتهاء من القضية السياسية - برنامج كالبرنامج الكمالى يتولى كل الأوضاع فيها، ويفصلها عن الشرق والشرقين، ويسقط من يدها لواء الرعامة؟ وإننا نعيذ دولة الرئيس من هذا المقصود الذي نعتقد أنه أبعد الناس عنه».

القدرة التصويرية

هذا النوع من الرسائل العامة الموجهة وما يشبهها تتجنح إلى استخدام الأسلوب المباشر في عرض القضايا وتشخيص الأدواء، وتقديم الحلول، ومن ثم يقل في هذه الرسائل الجانب التصويري الخيالي. بيد أن توهج الشعور الديني والوطني كان ي ملي على الإمام - في بعض جوانب الرسالة - ألواناً من البيان والتصوير الجرئي من تشبيه واستعارة وكنية، وتوظيف ألفاظ آسرة قوية الإيحاء. كما نرى في الفقرة التالية من رسالته إلى رئيس الحكومة مصطفى النحاس الذي صرح بإعجابه المفرط بمصطفى كمال أتاتورك:

«... يا دولة الرئيس: مصر الحديثة المجيدة تجتاز دوراً من أخطر الأدوار على حياتها المستقبلة، إنها تجتاز دور الانتقال، والأهواء والفتن والغaiات والشهوات تتجرأ على الناس كما يتجرأ الكلب بصاحبها، والشكوى صارخة مريرة من انحدار الأخلاق، وتدمير الفضائل».

ومن رسالته إلى الإخوان، وهي آخر وصايات المكتوبة إليهم «... اذكروا أيها الإخوان أنكم الكتبية المؤمنة التي انتهى إليها في هذا العصر المادي المظلم بالشهوات والأهواء والمطامع واجب الدفاع عن كلمات الله ورسالته، ودعوة الإنسانية التائهة في بداء الحيرة إلى الصراط المستقيم..».

... وفي أيديكم أنتم قارورة الدواء، من وحي السماء، فمن الواجب علينا أن نعلن هذه الحقيقة في وضوح...».

وهذا التصوير البياني في المثالين المذكورين آنفًا يمثل خيالاً قريباً جداً من الواقع، فلا يبعد - على براعته - عن الأسلوب الواقعي كثيراً، فهو يصدر عن صاحبه في عفوية بعيداً عن الافتعال والتكلف.

الأداء التعبيري

ويتسم أسلوب الرسائل بالسهولة والوضوح، وهي سمة يتميز بها أسلوب الإمام الشهيد في كل ما كتب، وكذلك خطبه ومحاضراته، فلا غريب ولا مهجور من الكلمات، ويستطيع المتعلم العادي أن يفهمه في سهولة ويسر. ولكنه على سهولته ووضوحيه لا تجد فيه لفظة مبتذلة أو معنى مستهجناً.

وإذا كان الوضوح هو السمة المعنوية للأسلوب، فإن الترسل هو الصفة الشكلية العامة للأداء التعبيري^(١)، فهو يصدر من القلب إلى القلم مباشرة، دون مرور بمحطة التزيين اللفظي، والتمييق التعبيري، فنادرًا ما نجد للسجع مكاناً في هذه الرسائل. ومن هذا القليل النادر ما جاء في رسالة الإمام البنا لسفير البريطاني:

(١) الترسل هو صفة النثر المرسل الذي لا يعتني صاحبه بالصنعة من سجع وجناس وازدواج وغيرها، بل ينطلق على سجيته دون قيود إلا سلامة اللغة وحسن اختيار الكلمات والعبارات. (راجع: المعجم المفصل في الأدب لمحمد التونجي: ١ / ٢٤٣).

«.. هذه السياسة الجائرة، راجين أن تعدل عنها الحكومة البريطانية، فتطلق سراح المسجونين، وتعيد الزعماء المنفيين، وتؤمن الأبرياء المشردين..».

ومثال آخر: ما جاء في رسالة الإمام البنا للملك فاروق سنة ١٣٥٨هـ، متحدثاً عن سقوط الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية في مصر: «بؤر الخمور، ودور الفجور.. تغشى الناس في كل مكان.. الصور السافرة التي لا تتفق مع آداب الإسلام، وما فرضه الله على المرأة من التستر والاحتشام...».

وقد يكون مع السجع ازدواج^(١) مع حسن تقسيم الجمل، كقوله في الرسالة نفسها: «تظهر في كبريات الصحف وصغرياتها، وتصبح ملهاة العيون الحائرة، والقلوب الفاجرة، وتتناول أعرق الأسر، وأكبر البيوت، وأطهر الأعراض..».

الترسل والجمل الطويلة

ولكن السجع والمحسنات البديعية قليلة، بل نادرة في أسلوب الرسائل، فهو أسلوب مرسل - كما ذكرنا - لا تقيده دواعي الصنعة والتمييق التعبيري، وبالنظر إلى الجمل نجد الإمام البنا يغلب في تعبيره الجمل الطويلة؛ لأنها أقدر من الجمل الموجزة القصيرة على حمل المعنى، والتعبير عن المراد.

ومن ناحية أخرى تبقى هذه الجمل الطويلة أكثر وضوحاً، وأسهل تناولاً من الجمل القصيرة المكثفة المقطرة التي قد تحتمل التأويل، ويخرج بها المتلقى عن مسارها الطبيعي.

ومن أمثلة الجمل الطويلة من رسالة الإمام إلى علي ماهر - رئيس الحكومة سنة ١٩٣٩م - : «.. وأنتم في هذه الظروف أحوج ما تكونون إلى أن تكون الأمة جمیعاً إلى

(١) الازدواج هو توافق الفاصلتين في الوزن، ولو لم يتواافقا في التقفيه، مثل قوله تعالى: «وَنَمَارِقْ مَصْفُوفَةٌ وَرَزَابٌ مَبْتُوَثٌ»، وقد تجمع التقفيه والوزن، فيكون الكلام مسجوعاً مزدوجاً، كقوله تعالى: «فَإِذَا فَرَغْتَ فَاقْصِبْ وَإِلَى رِبِّكَ فَارْجِبْ». (د. بدوي طبانته: معجم البلاغة العربية، ٢٦٦).

جانبكم، تستمدون منها القوة في الرأي والتأييد في مواقف العنت.. ولقد وقف الإخوان المسلمين من كل وزارة سابقة - ومنها وزارتكم الماضية - موقف الحياد التام، ولم يتقدموا إلى واحدة منها بالمساعدة، كما أنهم لم ولن يطلبوا، ولم ولن يتقبلوا من واحدة منها مساعدة..».

وإذا كانت الجملة في الفقرة السابقة لا تتجاوز السطر وبعض السطر، فإن الإمام البنا قد يطول نَفْسُهُ في الجملة الواحدة حتى تبلغ عدة أسطر كما ترى في الجملة الآتية من الرسالة السابقة:

«الإخوان المسلمون - وهم يرون في المعاهدة المصرية الإنجليزية إجحافاً كبيراً بحقوق مصر واستقلالها الكامل - يريدون من حكومة مصر ألا تتجاوز الحدود المرسومة - على ما فيها من إجحاف - بأية حال».

فالجملة طويلة يبتعد خبرها (يريدون) عن مبتدئها (الإخوان) بقراة سطرين. وقد يكون التباعد أوسع كما نرى بين الشرط (إذا جلitem) وجواب الشرط (كان ذلك سبباً)، وذلك في الجملة الآتية من رسالة الإمام علي ماهر - رئيس الحكومة:

«..ونعتقد كذلك أنكم إذا جلیتم للساسة البريطانيين حقيقة شعور الشعب المصري - وهو بلا شك صورة من شعور غيره من الشعوب الإسلامية - وأقنعتهم بأن بريطانيا حين تفعل هذا تظفر إلى أبعد حد بالتأييد القلبي والعملي من الشعوب الإسلامية والعربية كلها، وتسد الباب على الطاغعين عليها، وتقدم بذلك دليلاً على أنها تقدر العدالة والإنصاف - كان ذلك سبباً للعمل من جديد على إنصاف فلسطين الباسلة...».

فالجملة الأم في المثالين السابقين - هي سبيل استيفاء المعنى - تضم بين دفتيها جملة أخرى تابعة كالجمل الاعتراضية والجمل الاحتراضية^(١).

(١) في تعريف الاحتراس والاعتراض. انظر: طبابة: المراجع السابق ٤٠٨، ١٦١، ٤٠٨، ومحمد التونجي: مرجعاً ٣٦، ١٠٨.

التكرار المعنوي

ومن لوازם هذه السمة الأسلوبية، ومظاهر الإطناب في غالب هذه الرسائل: الإكثار من الترافق، والتكرار المعنوي، والإلحاح على الفكرة الواحدة بأساليب متعددة متساوية في المعنى أو متقاربة فيه. والهدف من ذلك ترسيب الفكرة في نفس القارئ، وتأكيدها في نظره، وحتى لا يكون هناك وجه للتأويل، وإخراج المعنى عن مساره المقصود.

والأمثلة أكثر من أن تحصى نكتفي منها بجمل من رسالة الإمام للملك فؤاد سنة ١٣٥٢هـ بسبب ظهور شرور التبشير في مصر «... راجين حماية شعبكم المخلص الأمين من عدوان المشرين الصارخ على عقائده وأبنائه وفลดاته كبده.. وقد جعلكم الله تبارك وتعالى حماة دينه، والقائمين بحراسة شريعته، والذائدين عن حياض سنّة نبيه...».

وتأتي الجمل المتساوية، والجمل القصيرة في المرتبة الثانية بعد الجمل الطويلة، والرسالة الواحدة تجمع هذه الأنواع الثلاثة بالترتيب الكمي المذكور. كما نرى في رسالة المرشد إلى صدقي باشا في ٨ من أكتوبر ١٩٤٦م: «.. ولكن المفاوضة طالت حتى أسممت وأملت، فتوقفت، واستؤنفت، ثم انقطعت، ووصلت، ثم يتجنى علينا المفاوضون الإنجليز، فهزوا أكتافهم، وجمعوا أوراقهم، وانصرفوا عنا إلى بلادهم، هاربين ساخرين».

وكذلك في ختام رسالته إلى النقراني باشا في الأول من مايو سنة ١٩٤٧م: «يا دولة البشا، لقد تقدمت لدولتك بمثل هذه النصيحة منذ عام مضى، وهأنذا أتقدم بها اليوم، وأعتقد أنني بذلك قد أبرأت ذمتي وأديت أمانتي، والوقت من ذهب، فسر على بركة الله، والله معك، ولا تتردد..».

من روضة القرآن والسنّة

ويستطيع القارئ أن يدرك في سهولة بعد العرض الذي قدمناه لرسائل الإمام البنا - أنه يؤيد أفكاره بالشواهد المتعددة من أوعية الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية القريبة والبعيدة، مما ينم على سعة اطلاعه.

ولكن أغلب شواهد الإمام شواهد نصية من القرآن الكريم والسنّة النبوية، ونلمس ذلك بوضوح في رسالة «نحو النور»، فالشواهد القرآنية فيها قرابة أربعين آية، وما لا يقل عن عشرة أحاديث، وقد جاءت كلها في مواضعها من السياق لتأكيد عظمة التشريع الإسلامي في مجالات السياسة والحكم والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والدولية^(١).

أما شواهد التراث العربي القديم - من حكم وأمثال وشعر - فلا يوظفها الإمام البنا إلا نادراً على سبيل التلميح^(٢)، كما نرى في ختام رسالة المرشد إلى رئيس الحكومة محمود فهمي النقراشي في ١٩٤٧ / ٥ / ١ م، «وأقْبَمْ، ولا تتردد، فتفلت الفرصة السانحة، ونعود من جديد إلى التجارب القاسية، ونستبين النصْح ضحى الغد...».

فالجملة الأخيرة تلميح إلى قول الشاعر:

أمرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرِجِ الْلَّوِي فَلَمْ يَسْتَبِّئُوا النَّصْحُ إِلَّا ضُحِّيَ الْغَدِ^(٣)

(١) وانظر كذلك رسالته إلى مصطفى النحاس: ١٤ / ٦ / ١٩٣٦ م (مذكرات الدعاة والداعية، ٢٩٢).

(٢) التلميح - اصطلاحاً - يعني الإيماء المباشر أو غير المباشر - في الشعر والنشر - إلى قصة معروفة أو مثل سائر أو بيت مشهور من الشعر من غير تفصيل (انظر طباعة: ٦٢٠، والتونجي: ١ / ٢٨١: مرجعين سابقين).

(٣) البيت لدريد بن الصمة، وقد استشهد به الإمام علي في خطبة له (انظر: نهج البلاغة ص ٢٣، دار الأضواء - بيروت، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م).

منهج الرسالة وبناؤها

وكل رسالة من هذه الرسائل تمثل وحدة بنائية موضوعية متماسكة الجوانب والعناصر، بحيث يؤدي كل جزء إلى ما يليه في نسق طبيعي دون افتعال.

يستهل الإمام الرسالة بالبسملة، والحمد والصلوة والتسليم على رسول الله ﷺ، ثم تحية المرسل إليه بالسلام، وبعض عبارات التمجيل والتوقير للمرسل إليه أو الدعاء له. وكل ذلك في إيجاز ووضوح.

وبعد هذا التقديم الذي يهيئ نفس المتلقى، يردد صلب الموضوع الذي يمثل أطول أجزاء الرسالة وأهمها، حيث يعرض المطلوب في إسهاب مقبول وحجة ظاهرة، مع تدعيم كل مطلوب بما يعلله ويقويه من براهين وشواهد. فإذا ما طالت الرسالة وتعددت المطلوبيات جاءت منسقة مرتبة في أرقام محددة في السياق المتتابع؛ حتى لا يتبع بعضها في تتابع هذا السياق.

وتحتم الرسالة - غالباً - بالاستهان والاحث - في أدب - على تحقيق المطلوب والمأمول، ثم الدعاء للمتلقي، كما نرى في ختام رسالة الإمام الشهيد علي ماهر في ٢٠ من شعبان ١٣٥٨هـ:

«اعملوا على هذا يا رفعة الرئيس، وجاهدوا في سبيله، فهو خير ما تستقبلون به هذه الموسم الفاضلة، وتقربون به إلى الله. هذا - يا صاحب الرفعة - بعض ما أردنا أن نتقدم إليكم به في هذا الوقت العصيب. والله نسأل أن يتدارك العالم برحمته، وأن يتولى مصر الناهضة بالخير والتوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

إن الطوابع واللامح الفنية والأدبية لرسائل الإمام الشهيد تحتاج إلى مبحث مستقل على نحو أوفى وأشمل لا يتسع له المقام.

ولعل الأقرب إلى الموضوعية والمنهجية العلمية أن تكون مادة هذه الدراسة الفنية كل إبداعات حسن البنا وعطاءاته الفكرية من رسائل وخطب ومحاضرات وأحاديث ومذكرات.

فلنجزئ - مؤقتاً - بالقليل الموجود عن الكثير المأمول المنشود. تطلعًا إلى دراسة كاملة عن «أدبيات الإمام الشهيد».

وعودًا على بدء نذكير القارئ بأن بدايتها كانت وقفة مع رسائل الإمام الدعوية الكتابية، ثم كانت لنا وقفات مع رسائله (رحمه الله) التي وجهها إلى الملوك والوزراء، وألحقنا بها رسالته إلى مكتب الإرشاد، ورسالته قبيل استشهاده إلى الإخوان.

وفي الفصل الثالث - وهو الأخير- من هذه الدراسة نعيش مع رسائله الخاصة التي وجهها في شبابه إلى والده الشيخ أحمد عبد الرحمن (عليه رضوان الله).

âââ

الفصل الخامس

رسائل الإمام الشهيد الشخصية
إلى والده

١- خلاف في نشر الرسائل الخاصة

ذكرنا في مطلع هذه الدراسة أن الرسالة الشخصية أو الخاصة هي تلك التي تعبّر عن مشاعر المرسل في تعزية أو تهنئة، أو توصية، أو عتاب، أو شوق، أو تحذير ووعيد، ونحو ذلك مما يصور العواطف والصلات الخاصة بين الأفراد. وهي غالباً لا تكون إلا بين من تربط بينهم صلة دموية كالآباء والأبناء والأخوة، أو صلة إنسانية كالصداقه والزمالة والصحبة.

وعلى المستوى الأدبي والفكري يثير سؤال خلاصته: هل نملك الحق في نشر الرسائل الخاصة للشخصيات العامة من قادة وزعماء وساسة ومصلحين وأدباء؟ وهذا السؤال لا يثير غالباً إلا بعد موت أصحاب هذه الرسائل. وقد انقسم النقاد والمفكرون في الإجابة عن هذا السؤال إلى فريقين:

فريق يجيز ذلك، وقد يرفع إجازته إلى درجة الإيجاب والإلزام، وذلك بدعوى أن الشخصية العامة - في مجال الأدب أو السياسة أو الدين أو القيادة - لم تعد ملكاً لنفسها، بل ملكاً مجتمعها، بل المجتمع الإنساني والتاريخ. ومن ثم فإن عطاء هذه الشخصية - أيًا كان شكله، ومهما كان فيه من خصوصية - يخرج من نطاق الملكية الخاصة إلى نطاق الملكية العامة؛ حتى لا تبقى مساحة من شخصيته أو تاريخه مظلومة أو غائمة لا تُبين.

وفريق يرى أن حرية البحث في حياة الشخصية ليست حرية مطلقة، وهناك خط أحمر يجب ألا يتعداه الباحث، ذلك الخط الذي تليه خصوصيات الشخصية، ومنها رسائله الخاصة، فهي تعبير عن أسراره في جوانبها العاطفية أو الفكرية أو العقدية، والتي لا يأتمن عليها إلا طرفها الآخر، أي المرسل إليه.

وهناك من يرجح الرأي الثاني، ولكن بتحفظ، فيشترطون حذف ما قد يكون في هذه الرسائل من قذف الآخرين أو إهانتهم وخدش أعراضهم. وقد يشترط آخرون - ضميمة لما سبق - أن يكون في هذه الرسائل ما يكشف عن قيم دينية، أو اجتماعية، أو نفسية، أو أدبية على المستوى الخاص أو المستوى العام^(١).

ولكن هنا.. لا إشكال

وعلى أية حال لا إشكال في عرض الرسائل الخاصة التي أرسلها حسن البنا إلى والده، ونشرها على أوسع نطاق:

- ١- فسنرى أنها لا تسيء إلى الآخرين، ولا تخدش شخصياتهم أو تثال من أعراضهم.
- ٢- كما أنها تبين عن كثير من الأبعاد النفسية والخلقية والسلوكية لحسن البنا في شبابه.
- ٣- كما أنها تساعد على فهم بعض الملامح الاجتماعية والسياسية في مصر آنذاك. مما سنعرض له فيما بعد.

(١) عرض لهذه القضية بشيء من الإسهاب الدكتور محمد رجب بيومي في مقال له بعنوان (الرسائل الخاصة من وجهة إسلامية: حول رسائل الرافاعي)، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ١١ السنة الثالثة. ص ٧ - ١٣.

حقيقة هذه الرسائل^(١)

لا تزيد هذه الرسائل الخاصة على عشرين رسالة أرسلها حسن البنا إلى والده^(٢) على مدى واحد وعشرين عاماً ونصف عام. وكانت أول رسالة مؤرخة بالثلاثين من يناير

(١) معترضاً بالجمليل أسجل شكري للأستاذ أحمد جمال الدين البنا، فهو الذي أهداني الخطابات الشخصية التي وجهها الإمام حسن البنا إلى والده الشيخ أحمد عبد الرحمن، وقد عثر عليها عند الوالد بعد وفاته. وزاد من فرحي بهذه الرسائل تلك الترجمة المسهبة التي كتبها لوالده (رحمه الله).

وأحمد جمال الدين هو أصغر أشقاء الإمام الشهيد، وهو المشار إليه في هذه الرسائل: بأحمد جمال الدين، أو جمال، وهو كاتب ناقد أدبي له عدد من المؤلفات القيمة.

(٢) ولد أحمد عبد الرحمن البنا بإحدى قرى محافظة الغربية سنة ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢، ثم انتقل إلى «المحمودية» بمحافظة البحيرة، وبالمحمودية (التي كان يطلق عليها «العاطف» أحياناً) باسم مشروع أقيم بجوارها) ولد له كل أبنائه وبناته وهم: حسن ١٩٠٦م - عبد الرحمن ١٩٠٨م - فاطمة ١٩١١م - محمد ١٩١٣م - عبد الباسط ١٩١٥م - زينب ١٩١٩م (وقد توفيت بعد عدة أشهر) أحمد جمال الدين ١٩٢٠م، فوزية ١٩٢٣م.

عمل مأذوناً وإماماً بالمحمودية، وكذلك بتصلاح الساعات. وفي سنة ١٩٢٤ انتقل بأسرته كلها إلى القاهرة ليتخد منها مستقرًا ومقاماً بعد أن التحق ابنه حسن بدار العلوم. وأخلد أعماله هو «الفتح الرباني» في ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني في خمسة وعشرين مجلداً، وقد أنفق من عمره في هذا العمل العظيم ثمانية وثلاثين عاماً.

وقد انتقل إلى جوار الله في ١٩ من نوفمبر ١٩٥٨م، ولم يبق من أبنائه وبناته على قيد الحياة سوى أحمد جمال الدين، أطال الله في عمره. (عن الترجمة المسهبة التي كتبها الأستاذ أحمد جمال الدين عن والده). وانظر كذلك المقال الطيب الذي كتبه الأستاذ محمد عبد الله الخطيب بعنوان (العالم العامل صاحب الفتح الرباني الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا)، مجلة المجتمع، العدد ١٢١٦.

سنة ١٩٢٦م (وهو في سن العشرين)، وآخر الرسائل بتاريخ ١٢ من أغسطس سنة ١٩٤٧م، أي قبل استشهاده بعامين.

وقد صدر حسن البنا هذه الرسائل إلى والده من العطف (المحمودية)، وهو في نهاية تعليمه العالي بكلية دار العلوم، وكانت الأسرة كلها بالقاهرة بعد هجرتها من محمودية إلى القاهرة سنة ١٩٢٤م قبل تخرج الإمام بثلاث سنوات. إذ كان والده يكلفه - كما يذكر الأستاذ جمال البنا - ببعض الأعمال لإنجازها في محمودية.

وبعض هذه الرسائل مرسل من الإمام البنا وهو يعمل مدرساً في الإسماعيلية.

وبعضاً منها أرسله من قنا إلى والده بعد أن نقل إليها نقلًا تعسفيًا^(١).

وقد ظل الإمام الشهيد يعمل مدرساً لمدة تسعه عشر عاماً، وجاء تعيينه في مدينة الإسماعيلية سنة ١٩٢٧م، ثم انتقل إلى العمل بالقاهرة في أكتوبر سنة ١٩٣٢م بعد أن تزوج من آل الصولي، وهم من أعيان المدينة.

(١) كان الإمام حسن البنا يعمل مدرساً بالمدرسة المحمدية بالقاهرة، وقد زاد نشاط الإخوان قوة وانتشاراً؛ مما دفع الإنجليز إلى الضغط الشديد على حسين سري باشا - رئيس الوزراء - للحد من نشاط هذا الرجل بزعم أنه يعمل «في أوساط جماعته لحساب إيطاليا»، ووجد رئيس الوزراء حسين سري أن المخرج لا يكون إلا بنقل الأستاذ البنا إلى «قنا» بصعيد مصر، وتم ذلك في ٢٢/٢/١٩٤١م، ولكن بعض النواب ساعدهم هذا الاستسلام لرغبة الإنجليز، فسعوا إلى إعادة المرشد إلى القاهرة، وتم ذلك في أول يوليو من السنة نفسها، يقول الدكتور محمد حسين هيكل - وكان أيامها وزيراً للمعارف في وزارة سري - : «لكن الذي لا شبهة فيه أن تراجعه (حسين سري) أشعر الشيخ حسن بأن له من القوة ما يسمح له بمضايقة نشاطه من غير أن يخشى مغبة ذلك النشاط، وأن هذا الشعور كان له أثره في تطور جماعة الإخوان المسلمين من بعد». د. محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية ٢/١٧٨ (دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧م).

وانظر تفصيل هذا النقل وخطواته في الكتاب السابق ١٧٧ - ١٧٩.

وانظر كذلك كتاب عباس السيسي «في قافلة الإخوان المسلمين» ١/٨٥، ٨٦.

وفي وزارة حسين سري، وبضغط من الإنجليز صدر قرار بنقله إلى قنا في فبراير سنة ١٩٤١م، وظل يعمل بقنا أربعة أشهر، ثم أعيد إلى العمل بالقاهرة أول يوليو ١٩٤١م. ثم استقال من العمل في أول أكتوبر سنة ١٩٤٦م، لكي يتفرغ لخدمة الدعوة.

لَا مَكَانٌ لِهَذِهِ الرِّسَائِلِ فِي مَذْكُورَاتِهِ !!

ونلاحظ أن الإمام البنا لم يسجل في مذكراته (مذكرات الدعوة والداعية) نص رسالة واحدة، أو جزءاً من رسالة واحدة، أو حتى إشارة إلى رسالة واحدة من تلك التي أرسلها إلى أبيه، مع أن بعضها يحمل إشارات إلى أمور ومسائل عامة تتعلق بالدعوة أو الأمة. وقد يرجع إغفال هذا التسجيل إلى الأسباب الآتية:

أ - أنها رسائل خاصة تعالج مسائل شخصية أو عائلية يرى الإمام أنها لا تهم - من قريب أو بعيد - المشتغلين بالدعوة والعمل العام.

ب - أن ما أشارت إليه هذه الرسائل من مسائل أو شخصيات عامة عالجتها المذكرات بإسهاب وتفصيل يغني عن تسجيل هذه الرسائل.

ج - كان التواضع الجم من أهم فضائل الإمام الشهيد، حتى إنه في كثير من جوانب مذكراته لا يتحدث عن نفسه إلا بضمير الغائب^(١). وربما رأى الإمام البنا أن نشر هذه الرسائل الشخصية أو بعضها يتعارض مع فضيلة التواضع، فهي ليست «مذكرات حسن البنا»، ولكنها «مذكرات الدعوة والداعية».

د - وقد يكون ذلك من قبيل إجلاله أباء، وتوقيره إيماء؛ لأن الرسائل تكشف عن طبيعة المعاناة، وضيق الحال، وضيق ذات اليد، وهي حال كان الوالد

(١) انظر على سبيل التمثيل الصفحات: ١٧ - ٢١ ، ٧٨ - ٨٤.

يعيشها، وحاول ابن - بجزء من راتبه - أن يرفع بعض هذه المعاناة، وكذلك بإعاشه بعض إخوته. وقد يكون في نشر هذه الرسائل التي تكشف هذا الواقع الاجتماعي، ما قد يفسر على أنه من قبيل المن والأذى.

و قبل أن نلجم عالم هذه الرسائل نرى من الإسراف ومخالفة الواقع أن نزعم أن هذه الرسائل هي كل ما أرسله الإمام الشهيد إلى أبيه على مدى ما يزيد على عشرين عاماً، وهي لا تزيد على عشرين رسالة، ونرى أن هناك رسائل مفقودة، أو لم يحتفظ الوالد بها لا تقل عن ضعف هذا العدد. والأستاذ جمال البنا - شقيق الإمام الشهيد - لم يعثر على هذه الرسائل التي بين أيدينا الآن إلا بعد وفاة الوالد (رحمه الله)، توقيف وهو الوحيد الذي كان يملك الإجابة عن حقيقة عدد هذه الرسائل ولو على سبيل التقرير.

وكان تعيين الإمام البنا مدرساً بالإسماعيلية في سبتمبر سنة ١٩٢٧م، ومع ذلك نرى أول رسالة - فيما بين أيدينا - مرسلة من الإسماعيلية إلى والده في القاهرة مؤرخة بتاريخ ٧ من مارس سنة ١٩٢٨م، أي بعد قرابة نصف عام من إقامته في الإسماعيلية، فليس من المعقول والمقبول أن يصبر الشيخ الوالد على هذه القطيعة من ابنه المفترب لأول مرة في حياته. وهو الذي انتقل بأسرته من المحمودية إلى القاهرة بسبب مكرره كاد يصيبه وهو في نهاية عامه الأول بدار العلوم^(١).

(١) ففي نهاية العام الأول له بدار العلوم، وأثناء أيام الامتحان حاول أحد رفاقه في الدراسة والسكن - حقداً وحسداً - أن يحدث به عاهة تعوقه عن أداء الامتحان، فصب على وجهه - وهو نائم - زجاجة من صبغة اليود المركز، كانت تكفي لفقد البصر، ولكن الله سلم. واهتزت الأسرة في المحمودية لما حدث، وأصرت الأم على انتقال الأسرة كلها إلى القاهرة. وقد كان (راجع تفاصيل الواقعه ٥٥ - ٥٧ من «مذكرات الدعوة والداعية»).

وكيف يرسل إلى أبيه ثلث رسائل أو أكثر من «قنا» خلال المدة التي مكثها هناك، وهي قربة أربعة أشهر (من ١٩٤١ / ٢ / ٢٢ إلى ١٩٤١ / ٧ / ١)، ولا يرسل إليه رسالة واحدة في الأشهر الستة الأولى التي أقامها في الإسماعيلية، وهو الحريص على استشارة أبيه دائمًا، وكان يعرض عليه كل صغيرة وكبيرة في حياته؟ كل أولئك يجعلنا على اقتناع بأن هذه الرسائل الخاصة، من حسن البنا إلى أبيه، لا تمثل كمًا، إلا نصف المرسل، وربما أقل من النصف بكثير.

أمنية..

بعد معايشتي لهذه الرسائل الخاصة التي كتبها الإمام الشهيد - على قلتها - تمنيت - وما زلت أتمنى - لو ضُم لهذه الرسائل كل الرسائل الشخصية التي وجهها الإمام الشهيد إلى الإخوان والأصدقاء طيلة حياته من أمثال أحمد السكري وغيره من الإخوان^(١)، وتضم بين دفتي كتاب واحد بعنوان (من الإمام الشهيد إلى أبيه وإخوانه: رسائل شخصية)، ولتكن هذه دعوة إلى كل من يملك رسالة موجهة إليه من الإمام الشهيد - في أي مرحلة من مراحل سنه - أن يتقدم بها إلى الأستاذ أحمد سيف الإسلام حسن البنا، أو الأستاذ جمال البنا - الشقيق الوحيد الباقي من إخوة الإمام الشهيد - للقيام بهذا المشروع. وهذا النداء موجه أيضًا إلى ورثة من كان بحوزته هذا النوع من الرسائل، وانتقل إلى جوار الله^(٢).

(١) كان الإمام الشهيد يعتز بأحمد السكري اعزازاً عميقاً حتى وهو طالب، فقد كتب في موضوع تعبيري في الامتحان النهائي بدار العلوم سنة ١٩٢٧م: «... وأهمي الخاص هو إسعاد أسرتي وقرباتي، والوفاء لذلك الصديق المحبوب ما استطعت لذلك سبيلاً...»، ويعلق على هذه العبارة في مذكراته بقوله: «والصديق الذي أشرت إليه في هذا الموضوع هو الأستاذ أحمد السكري الذي كان يبادرني هذا الشعور...»، مذكرات الدعوة والداعية: ٧٤، ٧٥، ١١٨، ٣٥٩.

(٢) أذكر القارئ بأن الدكتور عبد العظيم المطعني قد جمع في كتاب واحد ١٩ رسالة للإمام الشهيد، وعلق عليها، وعنوان الكتاب: ١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية.

بين يدي الرسائل

وهذه الرسائل التي كتبها الإمام الشهيد - وأغلبها في شبابه، ترسم - صراحة أو ضمناً - خطوطاً مهمة في صورته النفسية والخلقية. وهي بذلك تمثل في نظري جانباً مهماً من ترجمته الذاتية.

ويمكن أن نقول باقتطاع: إن هذه الرسائل إذا اجتمعت إلى النوع الثاني الذي فصانا القول فيه، وهو رسائل الإمام الشهيد إلى الملوك والرؤساء وكتاب الشخصيات العامة، وكذلك إلى (مذكرات الدعوة والداعية); فإن هذه «الثلاثية» يمكن أن تمثل «ترجمة ذاتية كاملة» أو شبه كاملة للإمام الشهيد، وإن افتقرت إلى التسلسل التاريخي للواقع والأحداث، وهذا لا يعييها، فهي ترجمة ذاتية، تهتم أول ما تهتم بالصورة العقدية والفكرية والنفسية للإمام الشهيد^(١).

ودون افتعال أو تعسف نترك هذه الرسائل تبوح بما تحمل من معان، وما تدل عليه من طبائع الإمام الشهيد وأخلاقياته.

= وهي تقطع بأن الإمام الشهيد كان من المكثرين في كتابة الرسائل. فالرسائل التسع عشرة أرسلها الإمام خلال شهرين هما: صفر وربيع الأول ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م. ومنها أربع رسائل كتبها يوم ٨ من صفر - وخمس رسائل يوم ٩ من صفر ١٣٥٩هـ.

(١) ونحن في هذه الوجهة نخالف الدكتور يحيى إبراهيم الذي يرفض أن تأتي الترجمة الذاتية في شكل مذكرات أو ذكريات أو يوميات أو اعترافات (راجع ص ٣ وما بعدها من كتابه: الترجمة الذاتية في الأدب العربي: مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٦٩م)، وهو رأي فيه تشدد كبير؛ لأن من حق كاتب الترجمة أن يتخد لها القالب الذي يراه ملائماً، المهم أن يكون الناتج تمثيلاً صادقاً للشخصية في مراحل حياتها المختلفة بأبعادها النفسية أو (الجوانية) وأبعادها الاجتماعية، التي تعني تحديد مكان الشخصية في المجتمع وطبيعة العلاقة التي تربطه بالآخرين.

علاقته بوالده توقير وإجلال، وبر وإحسان

وتنطق كل رسائله دون استثناء بحبه لوالده وتعظيمه وتوقيره، فهو يستهل رسائله مخاطبًا والده بالعبارات الآتية:

§ سيدى الوالد الجليل..

§ سيدى الوالد المحترم..

§ سيدى الوالد الأجل..

§ سيدى فضيلة الوالد الجليل أعزه الله وأنا نالني رضاه..

كما أنه لا يتحدث إليه إلا بضمير الجمع تعظيمًا له وإجلالاً، وهذا يطرد في كل رسائله.

وهو حريص على إرضاء والده، والفوز بهذا الرضا، فيقول في رسالة أرسلها من الإسماعيلية إلى والده في ١٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٩هـ: «وإن اليوم الذي أستطيع فيه إرضاءكم هو أسعد أيامي حقاً، وعقيدتي أنني ما خلقت إلا لأرضيكم، وليس لي من الحق في كل ما يقدره الله لي بعض ما لكم. ذلك ما أعتقده وأقوله بإخلاص ويقين».

فلا عجب أن يستشير والده في أموره الخاصة، فحينما يفكرون في السفر إلى الحجاز مدرساً معاراً من وزارة المعارف المصرية يسأل والده في رسالة أرسلها إليه من الإسماعيلية "... فهل يرافقكم ذهابي إلى الحجاز مع حفظ حقي بمصر؟ بمعنى أن أكون موظفاً بوزارة المعارف المصرية منتدياً للعمل بالحكومة الحجازية، أم ماذا ترون؟ سوف لا أكتب شيئاً من الطلبات الآن حتى يوافيوني ردكم.

ليكن في العلم بأن وجودي بالحجاز لا فرق بينه وبين مصر في البُعْد، لأنني سأحضر
- إن شاء الله تعالى - في إجازة كل عام تقريباً، اكتبوا إلى برأيكم أنتم أولاً...".

ويذهب الإمام الشهيد في إرضاe والده مذهبًا عجيبةً، لقد كان الوالد يعيش في
ضائقة مالية، وكان ابن يرسل إليه كل شهر من مرتبه ثلاثة جنيهات أثناء وجوده
معلماً بمدينة الإسماعيلية، وخوفاً من أن يظن به أبوه الإسراف، يرسل إليه أطول
رسائله على الإطلاق، وهي تشغّل عدة صفحات.

يقول في مطلعها: "... على كل حال الذي يهمني راحتكم مهما كلفني ذلك،
سأفضل لكم في هذا الخطاب حساب ثلاثة أشهر مضت هي: نوفمبر، وسبتمبر،
وأكتوبر، أي منذ فارقتكم، لتعلموا أن ليس في تصريف شيء من الإسراف، ولا
الخفاء، ولا الاستبداد برأيي، وإنما أنا مسوق بقوة الظروف التي لا تغلب، وإذا كانت
ظرفية هكذا فما ذنبي أنا؟".

وبعد أن يقدم لأبيه بياناً بمفردات مصروفاته في الأشهر الثلاثة، يحاول - متشبّثًا
بإرضاe والده - أن يدفع عن نفسه ما قد يُتوهم أنه إسراف في النفقات "فإن كان
يؤلمكم أنني سافرت إلى دمنهور، فوالله ما خسرت فيها إلا ثلتين قرشاً فقط كانت
في جيبي، وأخذت بها التذكرة من الإسماعيلية، ودفع عامل التذاكر تعريفة بقي من
٣٠.٥ ثمن التذكرة، وعدت على حساب غيري، وإن كان يؤلمكم الخمسين قرشاً التي
دفعت في المسجد، فقدروا الظرف الذي تورطت فيه لدفعها، وقدروا أجرها، وإن كان
يؤلمكم ثمن الكتب بهذه أموال نافعة باقية...".

ووالدته أيضاً..

وكما كان يوقر والده في رسائله، كان يوقر والدته ويجلها، ولم يكن يتحدث عنها إلا بسديدي الوالدة، وعاش مشغولاً بها، حريصاً على إرضائهما، ودفع الألم عنها، يقول في إحدى رسائله التي أرسلها إلى والده من الإسماعيلية في ١٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٩هـ: .. والذى أريده فقط أن تغبطنوا بذلك وتعلمواه، وأن تحفظ سيدتي الوالدة من ألمها لعدم التوفير... .

والله إنني لأقضى الساعات الطوال في ألم لتألم والدتي، وفي تفكير كيف أرضيها، وكيف أسعدها، وكيف أجعلها هانئة مفتبلة، فهل يوفقني الله لهذه الأمنية؟".

إنه يخشى أن تكون والدته قد حزنت أو غضبت بسبب عدم توفير ابنها شيئاً من مرتبه الشهري، الذي لا يجاوز الخمسة عشر جنيهاً، فيطلب من أبيه ترضيتها .. وأما غضب والدتي فحكمتكم كافية بإزالته وترضيتها... فابذلوا الجهد في تسكين ثورتها، وإرضاء خاطرها، وإنقاذها، وتفهمها ما في هذه الخطابات... .

ولم تقف منظومة البر في حياة الإمام الشهيد وإحسانه إلى والده ووالدته عند هذا الحد، فهناك ما هو أكثر، كما أن دائرة البر والإحسان اتسعت لغير الوالد والوالدة - كما تتطق رسائله إلى أبيه، مما سنراه في الصفحات التالية والأخيرة من هذا الحديث.

âââ

٢- بره بإخوته وأهله

إن الرسائل التي أرسلها الإمام الشهيد إلى والده تم على بره وإحسانه إلى والديه وإخوته وأخواته، فنقرأ في رسالته الطويلة التي صدرّها إلى والده من الإسماعيلية بعد أن قدم بياناً بنفقاته وديونه خلال أشهر ثلاثة:

".. إذا كنتم بعد هذا لا تزالون مصرین على اقتراحكم، وتریدون ألا تفكروا في تصرفاتي هذه المعقّدة المتشابكة، وتریحوا أنفسکم من عنائهما، فأنا أتقبله بكل سرور على أن يعدل تعديلاً يسيراً إذا وافقکم، وأما إذا أبيتم هذا التعديل فلا أعارضکم، ولكني أرى من الرحمة والعدل أن يكون ذلك، هو أن تتركوا جمال الدين، وعبد الباسط بمصروفهما المدرسي، والملبسي، والمأكل، وكل لوازمهما، وفاطمة كذلك، ثم تأخذ والدتي نصف جنيه مصروف، وأنتم جنيه مساعدة، على جنيه عبد الرحمن، وأرسل إليکم الجنيهين شهرياً.".

ولم يكن الدافع المادي هو الدافع الوحيد للإمام البنا في طلبه إخوته إليه في الإسماعيلية للإنفاق عليهم، فقد كان بجانب هذا الهدف المادي هدف تربوي وسلوكي نبيل، فيقول لوالده في رسالة أخرى من الإسماعيلية في ٥ من أكتوبر ١٩٢٨م: "لا أدري موقفکم إزاء إرسال الأولاد - في إرسالهم مصلحة لي، فإنهم سيوفرون كثيراً من النفقات الذاهبة هباءً منثوراً، وسينظمون أوقاتي، ويريحونني من عناء كبير، مصلحة لهم هي تدرييهم وتهذيبهم، وتدريبهم تربية أراها جيدة صالحة تحجزهم عن أبناء الشوارع وعطلة السُّبُل، وإن يكون إرسالهم من صالح الطرفين، لعلكم تقدرون ذلك، وتتصرفون في إحضارهم في أقرب وقت ممكن...".

وضم الإمام الشهيد إليه في مستقره بمدينة الإسماعيلية شقيقه عبد الباسط، الذي يصغر عنه بتسعة سنوات، وشقيقه الأصغر: أحمد جمال الدين، الذي يصغر عن الإمام بأربعة عشر عاماً، وشقيقته فاطمة، وهي أصغر من الإمام بخمس سنين، وكانت هي ربة البيت ومدرتره في الإسماعيلية.

وكان سن عبد الباسط عند إرسال هذا الخطاب قرابة ١٢ عاماً، وفاطمة ١٧ عاماً، وجمال الدين قرابة ثمانى سنوات، وصدق المرشد الإمام فيما وعد، فسلك معهم منهاجاً تربوياً قوياً، فيقول عن فاطمة في رسالته: "أنا أوصيها - كلما ستحت الفرصة - الوصايا التهدئية، وسأشرع معها في القراءة والكتابة بحول الله وقوته".

ويقول عن شقيقه عبد الباسط: "عبد الباسط كذلك أهتم بتهذيبه جداً..".

وينال الصغير "أحمد جمال الدين" النصيب الأوفر من العناية والاهتمام، كما تتطق هذه الرسالة.

أما جمال فهو مسرور كل السرور، وقد أدخلته مدرسة أولية، فهو يتعلم بها، ويحبه أساتذتها، ويكرمونه جداً.. وكم يكون سروركم عظيماً إذا سمعتم جمال الدين وهو يقرأ الأحاديث التي حفظها بتجويد وإتقان، فمثلاً: "يا معاذ، أمسك عليك لسانك، وليسوك بيتك، ولتبك على خطيئتك"، وحديث: "صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك..".

وعن التعليم الجماعي والمشاركة الجماعية يقول: "فأأمل بعون (الله تعالى) أن أوفق إلى إرشادهم خيراً إرشاد إلى ما ينفعهم في المعاش والمعاد، ولهم درسان في الأسبوع بعد العشاء، يحفظون فيهما الحديث.. لنا جدول منظم يشمل الرياضة والمذاكرة والسمير والطعام، فاطمئنوا من هذه الوجهة كل الاطمئنان..".

ويخرج حسن البنا بشقيقه: عبد الباسط، وأحمد جمال من دائرة المنزل إلى دائرة المدينة، ليعرفا الناس، ويعرفهما الناس، وكانت النتيجة ما نراه من قوله في الرسالة نفسها:

"إن أهل البلدة "الإسماعيلية" عرفاً "جمال وعبد الباسط"، وكلهم يحبونهما ويكرمونهما، ويحترمونهما كل الاحترام أينما سارا، أو جلساً."

ولاشك أن القدوة الحسنة يبقى لها الأثر الفعال في تحقيق المنشود، وقد أشار الأستاذ الإمام إلى حرصه على أن يكون كذلك، وإشعار أخيه وأخته بشدة اهتمامه بهم، ورعايته لهم. يقول في رسالته السابقة إلى أبيه: "أنا الآن لا أسرير في الخارج قطعياً، وفقط سأجعل ليتين في الأسبوع أدرس فيهما بعد العشاء في مسجدين إلى الساعة الثامنة والنصف على الأكثر، ثم أعود إلى المنزل...".

ولا يختلف اثنان في أن من أسباب انحراف الأبناء في البيوت انعدام القدوة الحسنة في الآباء، وإهدار الوقت في السهر خارج البيت، وترك الأبناء بلا عناء أو توجيه بدعوى "التربية الاستقلالية".

وكان الإمام الشهيد - كما تطرق رسائله إلى أبيه - دائم السؤال عن أهله، والاهتمام بهم، وخصوصاً من بعد عنه من أخواته، بعد أن انتقلت الأسرة كلها من العطف "المحمودية" سنة ١٩٢٤م للإقامة الدائمة بالقاهرة.

يقول الإمام في إحدى رسائله التي كتبها إلى أبيه سنة ١٩٢٧م، والحديث عن فوزية صغرى أخواته .. سررت كثيراً لتقديم صحة فوزية بعد خوف وشفاق، وسر كذلك الجميع بهذا الخبر، ونسأل الله لها تمام الصحة وتمام القوة...".

وحينما نقل إلى قنا - وكان نقلًا تعسفياً - أخذه الحزن لمرض شقيقته فاطمة، وعندما علم بشفائها أرسل إلى أبيه من قنا في ١٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٠هـ:

".. سررت كثيراً لشفاء فاطمة، ولقد أفلقني أمرها إقلالاً شديداً، وطمأنني أحمد أفندي تليفونيًّا مرة، وكتب إلى عبد الحكيم مرة، حتى اطمأنت، والحمد لله على الشفاء...".

وفي رسالته التي بعث بها إلى أبيه من الإسماعيلية في السابع من مارس سنة ١٩٢٩م، بيدي أسفه، لأنه عجز عن تحقيق كل ما يتنى لأخيه عبد الباسط: "... وقد كنت أود أن أبعث بجنيه "بدلة" عبد الباسط، لولا أنه لم يبق إلا مصروفات السفر".

وكان الإمام الشهيد أكبر من شقيقه عبد الرحمن بعامين، ومن شقيقه عبد الباسط بستة أعوام، ومع ذلك - حرصاً على إظهار احترامه وإجلاله لهما - كان في رسائله يخلع على كل منهما لقب "أفندي" على غير ما هو معهود من أفراد الأسرة الواحدة، فنقرأ في رسالته التي أرسلها إلى والده من الأقصر في الثاني من مارس سنة ١٩٤١م: "وقد كتبت لعبد الباسط أفندي قبل أول الشهر، ولعبد الرحمن أفندي أول من أمس بالنسبة لكم، ولا أدرى ما موقفهما منكم...".

وهو حريص على إسعاد إخوته ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم، ودفع الهموم والأحزان عنهم، كتب إلى أبيه من الإسماعيلية في ٢٣ من المحرم سنة ١٣٥٠هـ، بعد أن ظهرت نتيجة الامتحانات بنجاح جمال، ورسوب عبد الباسط في مادة واحدة هي اللغة الإنجليزية: "... وبعد، فقد وصل خطابكم، وسررنا لجمال الدين، ونهنئه، أما عبد الباسط ف نتيجته سارة كذلك، فإن الرابس في علم كالنجاح، فطمئنوه على نجاحه، وراقبوه في هذه الأيام حتى ينتهي الأثر من نفسه".

الضائقـة المالية ..

كان المرتب الشهري للمدرس حسن البنا خمسة عشر جنيهاً، وكانت مصارف هذا المرتب أكثر وأوسع من قدرة هذا المبلغ، فلا عجب أن نجد في تضاعيف رسائله ما يشير إلى هذه الضائقـة ويقـف أمامها.

وبسبب هذه الضائقـة كان يود أن يُنتدب للعمل في لجان الامتحانات العامة التي تعقد آخر العام الدراسي، وذلك يكون - كما هو معروف - بمقابل مالي إضافي، ويظهر أن أباه قد أرسل إليه خطاباً يسألـه فيه عن عدم ندبـه وسببهـ، فجاءـه ردهـ في رسالة طـولـة، وهي تلكـ التي أرسـلـها من الإسماعـيلـية في ٢٣ من المـحرـم سنة ١٣٥٠هـ، وفيـها يقولـ: "أما سـبـبـ عدم الـانتـدـابـ فيـ لـجـانـ الـامـتـحـانـ هـذـاـ العـامـ، فـلـيـسـ لـهـ مـنـ سـبـبـ إـلـاـ أنـ مـدـرـسـتـاـ لمـ يـنـتـدـبـ مـنـهـ إـلـاـ ثـلـاثـةـ: إـبـرـاهـيمـ أـفـنـدـيـ يـوـسـفـ، وـعـيـسـىـ أـفـنـدـيـ، وـريـحـانـ أـفـنـدـيـ، وـلـمـ يـنـتـدـبـ الـبـاقـونـ إـلـاـ فـقـطـ، فـلـاـ يـكـنـ لـذـلـكـ أـثـرـ فيـ نـفـوسـكـ...".

وفيـ هذهـ الرـسـالـةـ سـجـلـ حـسـنـ الـبـنـاـ لأـبـيهـ - فيـ دـقـةـ عـجـيـبـةـ - مـصـارـفـ مـرـتبـهـ فيـ الشـهـورـ الـثـلـاثـةـ سـبـتمـبرـ، وـأـكـتوـبـرـ، وـنـوفـمـبرـ، وـهـيـ فيـ مـجـمـوعـهـ تـفـوقـ أـرـقـامـ الـمـرـتبـ الـحـكـومـيـةـ، فـعـنـ شـهـرـ سـبـتمـبرـ يـقـولـ: "كانـ مـعـيـ مـنـ هـذـاـ مـلـبـغـ كـلـهـ ثـمـانـونـ قـرـشـاـ، مـنـهـ أـجـرـةـ الـقطـارـ، وـمـنـ أـيـنـ الـبـاقـيـ؟ سـلـفـةـ طـبـعـاـ: مـنـ إـبـرـاهـيمـ الـبـنـهـاوـيـ ١٥٠ـ، وـمـنـ الشـيـخـ عـلـيـ ١٠٠ـ قـرـشـ...".

وبـعـدـ عـرـضـهـ مـصـرـوـفـاتـ شـهـرـ أـكـتوـبـرـ الـتـيـ بـلـغـتـ ثـلـاثـةـ وـعـشـرـينـ جـنـيـهـاـ، وـمـرـتبـهـ الشـهـريـ خـمـسـةـ عـشـرـ جـنـيـهـاـ.. بـعـدـ هـذـاـ عـرـضـ يـتـسـأـلـ أـيـضاـ: "... وـلـكـنـ مـنـ أـيـنـ أـتـيـتـ بـالـبـاقـيـ؟ أـتـيـتـ بـهـ مـنـ الشـيـخـ حـامـدـ الـذـيـ اـقـرـضـتـ مـنـهـ سـبـعـةـ جـنـيـهـاتـ، وـاقـرـضـتـ مـنـ مـالـ الـجـمـعـيـةـ جـنـيـهـاـ آخـرـ...".

ويـعـرـضـ مـصـرـوـفـاتـ شـهـرـ نـوـفـمـبـرـ، فـإـذـاـ بـهـ تـبـلـغـ أـحـدـ عـشـرـ جـنـيـهـاـ وـخـمـسـةـ وـسـتـينـ قـرـشـاـ، وـهـذـاـ يـعـنيـ أـنـ يـبـقـيـ مـنـ مـرـتبـهـ ثـلـاثـةـ جـنـيـهـاتـ وـخـمـسـةـ وـثـلـاثـونـ قـرـشـاـ، يـذـكـرـ أـنـهـ أـعـطـاهـ لـفـاطـمـةـ شـقـيقـتـهـ - رـبـةـ الـبـيـتـ "عـلـىـ سـبـيلـ الـمـصـرـوـفـ"ـ، وـلـكـنـ تـحدـثـ مـفـاجـأـةـ يـذـكـرـهـاـ إـلـمـاـ الـإـمـامـ الـبـنـاـ فيـ رـسـالـتـهـ، وـهـيـ أـنـ "الـشـيـخـ حـامـدـ طـلـبـ جـزـءـاـ مـنـ نـقـودـهـ، بـلـ نـقـودـهـ كـلـهاـ، فـمـاـذاـ أـصـنـعـ لـهـ؟".

لا حلّ - كما يذكر في خطابه - إلا ضغط المصاريف لتوفير جنيهين، واقتراض جنيهين من صديقين، وبذلك تصبح مصاريف شهر كلّه جنيهين وخمسة وثلاثين قرشاً لأسرة من أربعة أشخاص: هو وشقيقته فاطمة وأخواه عبد الباسط وجمال.. وهذا لا يكفي "فلا بد من الاعتماد على أن يكون الخبز لآخر الشهر، ولو الزم البقالة من الشركة لآخر الشهر، وهذا ما كان".

ويقى عليه من الديون - مع هذا التفاصيل الشديد - قرابة عشرة جنيهات، وهو مبلغ يعدّ كبيراً جداً في ذلك الحين.

وطلت هذه الخليقة - خليقة البر بأهله وأقاربه والإحسان إليهم - تلازمه طيلة حياته، تقول ابنته الدكتورة هالة: "كان كل واحد من أبنائه يشعر بأن والده يحبه أكثر من غيره، ولم يكن هذا مقصراً على بيته فحسب، بل كان يهتم بالجد، والجدة، والأعمام، والأخوال، والأقارب، كان أحياً يقول لوالدتي: "أنا اليوم اتصلت هاتفيّاً بعمتك فلانة، وهي تسلم عليك كثيراً"، كان عطاوه بلا حدود، شاملًا أفراد العائلة جميعاً.." (١).

رنة الحزن والأسى ..

من رسائل الإمام الشهيد إلى والده، رأينا كيف كان يعيش أزمة مالية في مطلع حياته الوظيفية بالإسماعيلية على مدى أربع سنوات، وهو يعمل مدرساً هناك، كان

(١) مجلة المجتمع العدد ١١٧٢، (١٩٤١٦هـ - ٢٤ من أكتوبر ١٩٩٥م)، ص ٦٠، من حوار الدكتورة هالة ابنة الإمام الشهيد حسن البنا.

وقد كتب الطالب حسن البنا في السنة النهائية له بدار العلوم موضوع تعيير جاء فيه: "اعتقد أن خير النفوس تلك النفوس الطيبة التي ترى سعادتها في إسعاد الناس وإرشادهم، وتستمد سرورها من إدخال السرور عليهم، وذود المكرور عنهم..". مذكرات الدعوة والداعية، ٧٢..

مرتبه - كما عرفنا - خمسة عشر جنيهاً هي كل دخله المالي لعيشته ومعه شقيقته وشقيقاه، كما كان عليه أن يقطع من هذا المرتب كل شهر ثلاثة جنيهات، يرسلها إلى والده بالقاهرة.

فلا عجب أن نستشعر أثر هذه الأزمة شعوراً حزيناً ينساب في أعطاف بعض عبارات رسائله الباكرة، يقول في رسالة بعث بها إلى والده من الإسماعيلية في الخامس من أكتوبر سنة ١٩٢٨ م:

"سيدي الوالد الجليل: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فيخيل إلى أن العالم كله أصبح بؤساً وشقاءً، وأننا - على ما بنا - خير من كثير.

بين يديّ الآن خطابات لأصدقاء إبراهيم البناوي، يرسلونها إليه، تفيض بمر الشكوى والعوز، وتتضح بحميم الحاجة والفاقة، فحمدًا لك اللهم حمدًا....".^(١)

وواضح أن هذا الأسى - على شدته - لم يشهده إلى انهزامية واستسلام، بل ظل دافئ القلب بالإيمان والثقة بالله، فلا يأس ولا قنوط، أما الاستسلام والتسليم فله فقط.. يقول في ختام رسالته السابقة:

"..تعب كلها الحياة - يا سيدي الوالد - فعلينا أن نتمسّك بعروة الصبر، وئمّت إلى الرضا عن الله، وبالله بسبب قوي ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾ (النساء: ٦٥)، تلك أزمات أظنها سوف لا تتجاوز هذا الشهر، والله الميسر والمعين".

(١) كانت مصر تعيش آنذاك في أزمة اقتصادية ازدادت وطأتها مع "الأزمة الاقتصادية العالمية العظمى، التي استمرت عشر سنوات" ١٩٢٩ - ١٩٣٩ م، فانتشر الفقر والتغطيل، وهبطت قيمة التجارة العالمية إلى النصف، ومن عجب أن هذه الأزمة لم تتفرج إلا بقيام الحرب العالمية الثانية باستيعاب جميع العاطلين عن العمل بالتجنيد، "انظر موسوعة المورد العربية ١٠٩/١، دار العلم للمليين ط١، بيروت ١٩٩٠ م.

وهو يلتمس المخرج من مطانه، وينتهي به الأمر إلى التفاؤل والتسليم لله، فيكتب لأبيه في رسالة أخرى:

"والذي ألاحظه أن وجود فاطمة سيخفض من المصروفات كثيراً، وأنه بعد هذا الشهر ستفرج الأزمة، وتتحل العقدة، وإذا لم يرق في نظركم كل هذا فالله نعم الكفيل، يكفل لي إقناعكم، وترضيتكم، وقد أصبحت أشعر من نفسي بخلق غريب هو التسليم لله (تبارك وتعالى) بحكم ما يريد...".

ونتيجة هذا "التسليم لله" في صدق وإيمان امتلاء النفس باليقين والرضا والأمل والتفاؤل، وهذا ما كتبه الإمام البنا في الرسالة نفسها: "أما حالتنا المنزلية، فنحن سعداء مسرورون هائمون وادعون، ليس وراء ما نحن فيه شيء من السعادة، يشعر جميعنا بذلك".

القدرة على التكيف والاندماج

وهذا المنطق الإيماني: منطق التسليم لله، والرضا بما قسم الله في المنشط والمكره، والسراء والضراء، يمنح المؤمن قدرة على التكيف بالواقع الذي يعيشه مهما كانت مصاعبه ومتاعبه، وصدقت الحكمة التي تقول: "إن العاقل اللبيب هو ذلك الذي يحب ما يعمل، لا ذلك الذي يعمل ما يحب".

والمعلوم أن صعيد مصر - وقنا بصفة خاصة - كان هو منفى المغضوب عليهم من موظفي شمال مصر - الوجه البحري - وذلك لشدة الحرارة، وصعوبة التكيف مع مجتمع الصعيد بعاداته وتقاليده المعروفة.

ولكن الإمام البنا بهذا المنطق الإيماني قسم هذه القاعدة، فبعد أن نقل إلى قنا نقلًا تعسفياً كتب إلى أبيه رسالة مؤرخة بيوم ٢٩ من المحرم سنة ١٣٦٠هـ - ٢٧ من

فبراير ١٩٤١ م يقول في مطلعها: "الحالة طيبة من كل نواحيها، ولو لا بُعدُ قنا، ولو لا مشاغلنا بالقاهرة، ولو لا ما يحيط بهذا النقل من ملابسات لفضول البقاء في قنا فعلاً، العمل مريح، والمدرسة لا بأس بها، والناظر والموظرون مهذبون، والإخوان هنا بخير، والحمد لله على كل حال".

وبعد ذلك يقول في رسالة أخرى من قنا تاریخها ١٦ من ربیع الآخر ١٣٦٠ھ: "الحر هنا شديد حقاً بدرجة يقول عنها الناس: إنهم لم يشهدوا مثلها في قنا من قبل، ولكنني مع هذا مستريح كل الراحة، والحمد لله، ولا أدرى سر هذا، إلا أنه تفضل إلهي، فلله الحمد والمنة، صحتي جيدة جداً، وأنام الليل والنهر مستريحاً، وأؤدي عملي في هدوء، وذلك من فضل الله، وألاحظ دهشة الإخوان من مزاولتي للعمل في حر هم أنفسهم - وهم قناويون - يكسلون فيه..".

حب للعمل وإقبال عليه..

في هذا الجو القائظ الخانق كان حسن البناء يقوم بأداء عمله معلماً مربياً بهمة ونشاط وحماسة، زيادة على أداء واجبه الدعوي في مدينة قنا، وما يتبعها من قرى ونجوع، وكان إقباله عليه أو حماسته له يعد افتراضًا مقبولاً، ولكن الرجل أقبل على عمله في قوة وهمة لا تعرف الكلالة أو الملالة.

وحبه لعمله، وقيامه به قاصداً وجه الله والنفع العام.. هذه السجية ليست جديدة طارئة عليه، بل هي متجلدة فيه طالباً ومعلماً، فقبل رسالته السابقة بثلاثة عشر عاماً، وبالتحديد سنة ١٩٢٨ م، يرسل إلى أبيه رسالة يقول فيها: "فقد كان بودي إجابة مطلبكم بخصوص الحضور في العيد لو لا أن هناك عذرًا شديداً يمنع من ذلك، أقوله لكم، والأمر بعد ذلك كما ترون: الامتحان بعد الإجازة مباشرة، والإجازة طويلة أي

عشرة أيام، ومعنى ذلك أن التلاميذ سيحضرون "بعد الإجازة" وقد نسوا ما درس لهم، وخصوصاً التمرن على الامتحان، فلذلك رأيت أنا وبعض المدرسين البقاء، وتوكيليف التلاميذ بالحضور كل يوم وقى قصيراً نمرئهم فيه على الامتحان لتحسين النتيجة، ولاسيما السنة الأولى التي أدرست بها".

فحبه للعمل وحماسته له والإخلاص فيه، وحرصه على مصلحة التلاميذ.. كل أولئك كان وراء حرمانه نفسه من قضاء عطلة العيد بين أسرته في القاهرة، ولم يكن وراءه أي هدف مادي؛ لأنّه عمل تطوعي بحت لا أجر مادياً عليه.

المرونة والتسامح الديني..

رسائل حسن البنا - بل سيرته كلها - تتطق بالمرؤنة، وحسن التصرف، والتسامح الديني، وقد رأينا في رسالته إلى الأنبا يونس بطريرك الأقباط الأرثوذكس كيف كان يخاطبه بكل تجلة واحترام، مراعياً مقامه الديني، فيحرص على مناداته بلقبه المشهور "صاحب الغبطية"، ويقول: إنه عهد في غبطته أسمى عواطف الرحمة النبوية، والبر بالإنسانية المعذبة.

ويقول له في رسالته: "من أجل ذلك توجهنا إلى غبطتكم، راجين أن تشملوا هؤلاء المجاهدين الأبطال "مجاهدي فلسطين" بعطفهم الأبوى.." (١).

ولكن الأمر المؤسف أن بعض هواة الفتنة حرصوا على إظهار حسن البنا وإخوانه في مظهر المتزمتين المتعصبين ضد الأقباط، وبذلك يكون وجودهم خطراً على الاستقرار والأمن والسلام الاجتماعي، وهذه الدعاية السيئة التي تولى كبرها - عن سوء نية -

(١) انظر الرسالة كلها في "مذكرات الدعوة والداعية" ٢٨٢، ٢٨٣.

بعض المحسوبين على الإسلام من أصحاب المصالح والأهواء، جعلت الأقباط ينظرون إلى الإخوان نظرة خوف وريبة.

وقد نجح الإمام البنا في نسف هذا الحاجز النفسي في لباقه وذكاء، حين دعا الأقباط إلى حفل كبير أقامه الإخوان في قنا، ولنقرأ ما كتبه الإمام الشهيد في رسالته التي بعث بها إلى أبيه من قنا في ١٦ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٠ هـ - ١٤ من مايو

١٩٤٢ م:

".. الجمعية - جمعية الإخوان - تسير بخطى موفقة، وكانت عندنا بالأمس حفلة كبيرة دعونا إليها كل الطائفة القبطية، وعلى رأسها المطران، وأقبلوا جميعاً لم يختلف منهم أحد، وكانت صفعة قوية لمنافقي المسلمين الذين يتزلجون إلى هؤلاء بالفتنة، ولقد كنت صريحاً جداً في بسط فكرة الإخوان بصورة حازت إعجاب الجميع، والحمد لله، وكل شيء على ما يرام."^(١).

آخر الرسائل..

وكانت آخر الرسائل التي وجهها الإمام الشهيد إلى أبيه رسالة موجزة جداً تدور حول الأمير عبد الكريم الخطابي البطل المجاهد المغربي^(٢)، وحرصه على الحصول

(١) دأب الإمام الشهيد - رحمه الله - في خطبه ومقالاته ورسائله على شرح موقف الإسلام - وما فيه من سماحة وعدل - من الأقليات وأصحاب الأديان الأخرى، "انظر مثلاً رسالة نحو النور ٨٣ وما بعدها من مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا".

(٢) عبد الكريم الخطابي "١٢٩٩ - ١٣٨٢هـ، ١٨٨٢ - ١٩٦٣م"، مجاهد مغربي ولد بقرية أغادير، وبعد أن حفظ القرآن وتعلم مبادئ الدين واللغة العربية وجهه والده إلى فاس؛ ليتلقى تعليمه العالي بجامعة القرويين، وفيها تخرج، وعمل بالتدرис والصحافة، ثم قاضياً للقضاء بمدينة "مليلة".

على نسخة من كتاب الوالد "الفتح الرياني" في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني"، والرسالة مصدرة من القاهرة في الثاني عشر من أغسطس سنة ١٩٤٧م، ونصها: "سيدي فضيلة الوالد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، جرى ذكر "الفتح الرياني" أمام الأمير عبد الكريم، فاشتاق إلى الحصول على نسخة منه، وظهر أن الرجل فاضل له إمام بعلوم الحديث والفقه والدين، وقد اعتمذ زيارتكم، وأكده في معرفة العنوان، ولكن يحسن أن تزوروه أولاً باعتباره ضيفاً، ويحسن كذلك إهداؤه نسخة من الفتح باسمكم، وأجلدها على حسابي، فما رأيكم في هذا الاقتراح، وماذا تم في نسختي أنا؟ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

والرسالة - كما أشرت آنفًا مصدره من القاهرة، وكان الإمام البنا يقيم بالقاهرة مع زوجته وابنه وبنته، كما كان والده يقيم بأسرته كذلك في القاهرة في مسكن مستقل، فهل أرسل الإمام هذه الرسالة إلى والده بالقاهرة مع رسول سلمها إليه يداً بيده؟ أم كان الوالد في زيارة طويلة للمحمودية، وأرسل الإمام الشهيد هذه الرسالة إليه؟

=واصل مسيرة الجهاد ضد الأسبان المستعمررين بعد أبيه، واستطاع بآلف مجاهد أن يقضي قضاءً تاماً مبرماً على خمسة وعشرين ألفاً من قوات الأسبان في معركة "أنوال"، التي استمرت ستة أيام من ١٦ من يونيو إلى ٢١ من يونيو سنة ١٩٢١م، وطارد الأسبان حتى تطوان، وتقدم نحو المنطقة التي يحتلها الفرنسيون في جنوب الريف، ولما وقع في أسرهم سنة ١٩٢٦م، نفوه إلى إحدى جزر المحيط الهادئ، وفي سنة ١٩٤٧م تمكّن من الفرار من سجانيه، بينما كانت تمر بقناة السويس في طريقه إلى منفى جديد بفرنسا، وعاش لاجئاً مكرماً بمصر، وتوفي بالقاهرة.

الموسوعة العربية العالمية ١٠٨/١٠ - الرياض ١٩٩٦م، والموسوعة العربية الميسرة ٢٢١/٢ - دار نهضة لبنان - بيروت ١٩٨١م، ومنوسوعة السياسة: د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون ٣٧٤/١، بيروت ط(٣)، ١٩٩٠م، وعباس السياسي: في قافلة الإخوان المسلمين ٩٦/١.

الرسالة - على أية حال - تكشف لنا عن حرص الإمام البنا على إشهار كتاب والده ونشره، وعن حرص المرشد على توثيق الصلة مع المجاهدين من زعماء العرب والمسلمين، وخصوصاً الذين كان يطاردهم الاستعمار وأذنابه ومواليه.

âââ

قوة كاشفة...

وهذه الرسائل - على قلتها، ودون الاستعانة بغيرها مما كتب الإمام حسن البنا، أو ما كتب عنه في شبابه أو كهولته - ترسم لنا صورة نفسية أخلاقية لصاحبها الإمام الشهيد، ومن أهم ملامح هذه الصورة كما ذكرنا بره بواليه، وأهله، وإخوته، وأقربائه إلى درجة الإيثار. وكذلك الصبر على الشدائـد وشظف العيش، والصمود للضائقـات والمتابعـات بطاقة إيمانية راضية بقدر الله، وقضائـه إلى درجة التسلـيم، مع التفاؤـل والتفتح للحياة بضمير حـي يدفعـه إلى أداء عملـه في إقبال طـيب، وحماسـة نـاشطة، وإخلاصـ منقطع النـظير، وكذلك مرونة وقدرة على التـكيف بكل وضعـ جـديد يـؤولـ إليه، ومن أهم ملامـ هذه الصـورة التـسامـ الـديـني الـكـريمـ، وهو تـسامـ لا يـشـوبـهـ أثـارـةـ منـ تعـصـبـ أوـ انـغلـاقـ.

وبعد كلـ أولـئـكـ أـعـتـقـدـ أـنـيـ لمـ أـسـرـفـ فيـ القـوـلـ،ـ حينـماـ ذـكـرـتـ منـ قـبـلـ أنـ هـذـهـ الرـسـائـلـ الشـخـصـيـةـ بـضـمـمـهـاـ إـلـىـ مـذـكـرـاتـ إـلـامـ الشـهـيدـ،ـ وـرـسـائـلـهـ إـلـىـ الـمـلـوكـ،ـ وـرـؤـسـاءـ الـوزـارـاتـ،ـ وـالـوزـراءـ،ـ وـكـبارـ الشـخـصـيـاتـ،ـ يـمـكـنـ أـنـ تـصـنـعـ لـنـاـ تـرـجـمـةـ ذاتـيـةـ كـامـلـةـ أـوـ شـبـهـ كـامـلـةـ لـإـلـامـ الشـهـيدـ،ـ وـإـنـ اـفـتـقـرـتـ إـلـىـ التـسـلـسـلـ الزـمـنـيـ لـلـوـقـائـعـ وـالـأـحـادـاثـ،ـ وـهـذـاـ لـاـ يـعـيـبـهـاـ،ـ لـأـنـهـ تـكـونـ بـهـذـهـ الصـورـةـ "ـتـرـجـمـةـ ذاتـيـةـ"ـ تـهـتمـ -ـ أـوـلـ مـاـ تـهـتمـ -ـ بـالـصـورـةـ النـفـسـيـةـ،ـ وـالـعـقـدـيـةـ،ـ وـالـفـكـرـيـةـ لـإـلـامـ الشـهـيدـ.

âââ



مادقات

أول خطاب أرسله الإمام الترمذى إلى والده من العطف (المحورية)

* أذكر سكري للدكتور جمال الدين أصفر: مفهوم ابن ريم التعبير ملود

البسم الله الرحمن الرحيم

السته والسته والسادس علو سلم ومه والمر

سيد الروايات العلیل

السته علو سلم حميمه وله دو برقه . وبعده . فعقد وفاته فطابهم ابره
فستانه . باسته . فتنس . وزنه لتفقيبه عله المطرية سيد روح العهد
الله عنه وساقده سليم بدر هبة بن ابي ذئب . سرت كثيراً لتفقيبه مسحة
فرزق ببد فرق وأستفاده وسررت منه البعض بجزء الجنة ورثا لـ ٧٧ لـ
تفقيبه الشفاعة وتعاهد الفتنة

شاسته يرى فطابهم فنطاها شهيد سبعة العينين برغوله تيه الى السته
الطبىء يوم الخميس ١٤ غسله دندا داخل القدر انتشاره تسببت
فندر طرقه منه القدرة وتأدية تسببت البصريه وصالحه والبلوطه برار
سورة ها رائفة العرش ذات ين و الا مر علىها وبرغوله العبس ما زده
انه يسلم الطبع وانا اترى به متبر اذ راحبه الى السته واندر برستاريه
أه او خر السته يرفقون الى الاردن الذى اريد تسبيبه الذهاب ارات الرسمية
بالجامعة هنا قبل هضمرى الى مصر حتى لا يسببون الامر بمدحه تأدية على
فرصة الوزارة استفت ويعينه عمه نعافه فهذا في سمه غدر الحسين
اذ اتنيت اذربيريات اذ بر جانبي الى الوزارة اـ ١٠٠٠ من متنفسه
ونها الغالبي سـ ٢٥٠ خفت اذربيلات الوجه
سبعين سليم الفقيه وبعد السير بـ ٣٧

صفحة من رسالت ذهب الزمن بـ ٣٧

٠ بسم الله الرحمن الرحيم
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَمِعَ الرَّوَالِ الْجَنِينُ
السَّدِيقُ عَلَيْكُمْ دُفَّةٌ وَهُورَ جَاهَ . وَبَعْدَ " فَرِشَ الْجَنَاحَ"
سَمِعَ حَدَّا عَزَّالَ بِمَلَائِكَةِ جَنَاحِهِ تَسْتَهِيْهُ تَسْتَهِيْهُ
وَقَدْ كَسَّ أُورَ أَوْرَ أَوْرَ أَوْرَ أَوْرَ أَوْرَ أَوْرَ
لَوْلَا أَنْ يَسِعَ مَعْصَمُ الْأَوْرَادِ وَكَثُرَ الدَّرْ فَقَدْ فَقَدَ
جَنَاحِهِ مَنْ الْأَرْدَةُ الْأَرْضَ الْأَرْضَ الْأَرْضَ
وَمَنْ الْأَرْضَ الْأَرْضَ الْأَرْضَ الْأَرْضَ الْأَرْضَ
أَنْ يَجْعَلَ مُؤْفِرَ الْأَوْرَادِ نَقْوَدَهُ فَرَغَتْ فَرَغَتْ
نَضْبِيبُ سَلَامِيْهِ فَنَدَى وَفَنَدَ لَهُ الْجَنِينُ الْجَنِينُ
وَلَبَقَ بَعْنَ الْأَرْدَ وَنَدَتْ مَفَرِّسُ قَعْدَاهُ
وَنَسْبَلَهُ حَمَيْنُ وَسَوْفَ وَسَاطَهُمْ عَلَى دَرَرِهِ
فَأَرَى وَسَارَ نَفَاعِبَهُ لَهُ عَنْهُ

سَنَ الْجَمَاعِيَّةَ إِلَى دَارِ الدِّينِ بِالْمَاقُونَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ عَلَى مَحْمُودٍ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ
سَبِيلُ الْأَوَّلِ الْبَلِلِ
سَبِيلُهُ مُكَبِّسٌ وَمَرْتَبَرٌ وَبَدْ دَيْمُونْ إِذَا اسْتَدَمْ
أَصْبَرْ رَزْ بِرْتَنْدَرْ دَانْدَرْ خَلْدَانْ خَلْدَرْ فَرْكَشْ
بَرْسَهْ يَرْدَنْ الدَّرْدَنْ خَلْدَانْ لَدْسَرْ دَادْلَدَرْ
دَالْبَهْ تَفْقِيْهْ بَرْلَانْدَرْ دَالْتَرْ دَالْتَرْ دَالْتَرْ
وَالْمَدَافَةْ فَرْزَدَهْ لَهْمَهْ فَرْزَدَهْ

لَوْأَرْدَنْ سَرْفَلَهْ بَرْزَادَهْ بَرْزَادَهْ بَرْزَادَهْ
مَلَاهَهْ لَهْ فَانْهَمْ سَبِيلَرْ فَرْدَهْ كَبِيرْ لَهْ لَفْفَاهْ لَهْ لَاهْ
مَلَاهَهْ مَلَاهَهْ لَهْ لَهْ لَهْ لَهْ لَهْ لَهْ لَهْ لَهْ
كَبِيرْ - دَرْلَاهَهْ لَهْ لَهْ لَهْ لَهْ لَهْ لَهْ لَهْ لَهْ
وَرْتَسْبِيْهْ تَرْبَهْ أَرَادَهْ رَافِيْهْ جَمِيعْ مَلَاهَهْ خَرْجَهْ
عَهْ بَسَارْ الشَّرَاعَهْ دَنْهَلَهْ السَّبَدْ دَازْهَهْ يَكْرَمْ بَسَارْ
سَهْ مَهْلَهْ لَاهْ
أَهْلَهْ لَاهْ
حَنْدَهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ

تَهْ كَلْهَهْ لَاهْ كَبِيرَهْ لَاهْ فَلَاهَهْ أَهْنَاهَهْ بَهْرَهْ
لَاهْ لَاهْ وَنَهْ إِلَهْ لَاهْ عَلَهْ دَاهْ لَاهْ بَسِيهْ خَرْهْ لَهْ
وَجَهْ لَاهْ
تَدَهْ أَهْنَهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ لَاهْ
وَالْمَعْبَهْ مَهْهْ

وَهْ كَبِيرَهْ لَاهْ

أَرْسَلَاهْ بَهْ لَهْ كَهْلَهْ لَهْ لَهْ وَالْهَهْ لَهْ لَهْ لَهْ
في ١٥/١٠/١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين والآله

رسوله العظيم
يسديه عزيمه رحمة الله وبرحماته ويهدي فقير دينه بماله، الرحمن عذر
رسوخه واعظمته ألمه، وله جعل النعيم فتو سرور كل السرور وفر
أو هذلة ربيت أرضي فلور عالمي بلا وجهه أتساره لا يكفي معرفة جهلا
وأمام فاطمة فانا أوصي كلها سمعة الفرمدة الرصدا بالمرشد به كوازع
صلة في المهرية والكتيبة محمد اه ذفونه وعبيدها سلطان زين الفخيم
برئته به جهلا ويا حرام ما قبل بغيره الله تعالى له اه ذفونه إلى اسراهم
خير اركانى باستفهامي يا اعدمه فلما عادم ولامه دلهم رسالاته في
الاسرع بعد العصا ومحنة فنونه فدعا بعونه وعلم بدوره امروركم
عطفنا اولاً سعيهم صراحت الربوبية وشكوا بغير ابراهيم انتى مهذلة
بتجرود والقاده فشار بايعاذ انسان عذاته سلك لم يسلمه
جبله رئيسه عزفه طلاقه دعوه بصلبه ففداء وأمسكه بسرمه
أيادى ابيه وقل لهم دلهم نفسك الله ربكم ربكم ربكم
وأنا أراكه لا أسرى نافذات قطعها ونعته شهيد سليله
والرسوخ أوصي فيها العذات وتحسينه الراوحه

عن الأكره ثم انعدوا إلى المطر
وابتها جهنم نسيط لستن ابرهيم والراوحه والرسوخ
فحضرنا من ربهم المطر وله انتى نافذات قطعها ونعته
أنه أهل العذاب فلما دخلوا بجهنم بطال وكلهم محبونها وداروا بها
وبحقها لا ارج لهم ايمانا مارأوه وربه في ظنها نذروه

مدون مع السيد رئيس الوزراء بتلكه من موقع الجاز وقد ظهر
ما كتب الى الابرار المفدى حميدة اشترى اى كم بحسب السيد رئيس وزراء
بادرة التحالف والصداقة والود في دور العمل وسكنه الارض
وذلك الى اليوم بحسب تفاصيل هذا حيث جاز في خطاب سنه مكتوب
استاذ المسالمة باللهاد سكرتير لجنة اقتصاد اسلامي اذ كان يخبرنا ان
هذه المؤسسة سعيد بر جبلة وتقديم طلب الى المعاشر برغبة
في الاستطلاع بالتمويل البدروني بمصر على ترتيبه مثلاً مصر بر لاد
الحادي عشر في اصداراته والمقدمة والمعنوية الى
رسالة ملهم باده صدرها السيد رئيس قائمها قبل المعمول
انه متى علم سكرتير الجاز وزارة العمارنة المفروحة باسم
تربيته سرطانها عند لها فتح طبع رواية المعاشر بخواص
رأيه فما دون الا خاكيه وكتبه المنشورة بهذه العمل
قتل ابرهيم المصطفى زعيم الاجاز يوم مقتول
محمد عبد الرحمن اثناء انتقامه من طعنها بوزارت العمارنة المفروحة
منتهى العمل بالملحوظ الجاز ائم مازا ثروته
سوق لا يكفيه مثله المفروحة الاولى حيث يروي
وركبه درر فشلي اقتصاد والى محمد راتب محمد عيسى
كانه بخلاف الاموال في اسرية راتب راتب مهلاً
اهلاً ومهلاً

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو دالمندرة وآخوه من سبط سلامة مسلم بن عيسى

رسول العين

ابنهم محبهم رحمة الله بهما . ولهم فضل ناجيهم إلهيهم
بنصرهم الفرج في العبد العزيز له هنالك عنده شفاعة ينصر بهم زمان
أنزل لهم والآخر سيد زمان كلامه

المرتضى عليه عقبه بمحاجاته مكانته والبرهان له طلاقه أهل عصمتهم ودفعوا
زمانه أهل التهذيب بغير خوضه فهم أشرار زمانهم وهم ملائكة الضرر على
الإنسانية . فلذلك أثبتت آياته وبياناته الرسمية البشارة ونقطة النهاية للضرر
ملوكهم وفتحاً فظيعاً أسر زخمهم فيه على الأرضيات لغير لغتها ولغير لغتها

النحو التي درس بهم

زمانهم يحيى ملائكته الضمر وفوق زمانهم جهاد زمانهم
عبيد الله ولهم من زمانهم العزبة العظيمة فلذلك كل من العبد سلامة الله رب العالم

السلطة السيدة والطيبة لرب زمانهم
نحو صر المدائح أولاً بخلافهم وأخوه لكم رب زمانهم وآخره بمحاجاته
وأفعاله سعيد زمانه حتى يرثي بعده لغيره بالطاقة لمن عذبه لهم

من الدعاء عليه إلى والده بالقاهرة

برسم بحثها
المرأة والصورة والصور بحسب درجة الارتفاع
الدراسية نـ ٥٠٠ جـ ١٤٩

بيان الأداء المترافق
السود عباس رسلان اورجان . وليد فهد در خلقهم بطبع
وادم السليمان استطاع فيه ارضاكم حذر صدایكم حمد وخفیف آذن
ما ملأتني ايامكم دلیل ملحوظ فیکم ما يندر فيكم لمح
ذلك ما اعتنى بأقوال باخداون ونفعه

والآن أربت فقط أه تقليدنا بيت وعلمه زاد تنفس
سيان الراهن سارياً لكم التغیر ذاتي هن هن ضرورة الرياح
ستفتح عالم قلب

والله أنت لوفته ساعات طوال نائم فتألم والرقة وفراغ
كنت أضيعه وبيه أصدقاً وآمنه اجعله حنانة مفتبلاً فزد
بوقتكم الجنة الأرضية
خطرك أن أذركم من شرارة لسانكم إلهم لوز لكم وأسرق بقين
بدرس وبيه دائم واحتله بعنوانه وعلمه كل يوم فهو يدرك هذا
مرضياً لطالع بيده الرضا

وسابقاً بتقديم ذاتي بيد غداً ابتدأه (إذ جاء) فتح أحضر
سأله ذلك بضم لعنة الشفاعة والجنة والجنة ببرهانك وفروعه وفروعه
بتبيه فائدة امورها وحيثه حصن

~ بدءاً على هذه الـ ٥٠٠ صفحـ

مکالمہ نوری

الجريدة الصغيرة "الشجرة" من نشرات دار درر للنادل ".

مکتبہ میرزا نسیم

سے نے ایسا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسانه - خبر و حکم فرماندهی و سرداری ارتش و وزیریه امنیت ارکان فنجه سان
گزینه نایب ارتبه زندگی کا تابع فلسفه مدنیت و رفاقت نوچنگی از این

الذين يحيى العزف والرقصات، وإنما يحيى العزف والرقصات فحاكمه الحكمة بالعدل

لهم إني أنت زمانك وأنت زماننا فلئن لست أنت زماننا فلئن أنت زماننا

از درست نمی‌شود مگر اینکه از همان فرمایش عصیان شود در کلیه افسوس

رسالة ختيبة البقرة - إلادى الشاعر فعف - مدح يهود لذاته من لوكه

لهم إنا نسألك مطرداً ودرجاً بغير بغيثٍ بغير عذابٍ

بِلْهَنْدَ الْجَيْرِ نَجْتَنَ دَشْرَفَ

من درس حاصلته إلى والد بارها فرنز

الرقة ٢١٧ جمع ١٣٠٨

سپریت الکارل انڈین هنٹن
دیکھ کے سوچ دیکھ رہا اور اور
اُبھر لئے نہ کرنا جیسا یقین خیر دھنارہ
و درون کیکم طبع داداں رنگیں المعنیہ و بیرونیہ دامت و لذت
ماں بیٹھ کیسے فراہم اسہ و مجاہدہ نہ لکھنی الورقات الناصیۃ
دنہ افراد کیا کلہ جمال الریس سید بن ابرہام
الرضا بہر کے دلائل مرفقہ دیکھ دیکھیں ہمیں لفتابہ و فرنگی ط
لے لفتابہ دیکھ دیکھیں اکابر کے خیر متعبدہ علی عمل سادہ ہجۃ
و کوئی پیشہ میں کہہ کرہ ایک دلیل فندرخیزیوں کا لیکھنی الورقات
و ایک دلیل کیسے دالنہ بیکھ دیکھ اور اور اور اور
و سترخیزی دالنہ بیکھ دیکھ اور اور اور اور اور اور اور اور اور
کلکت اسکندر کے دلیل
کلرنس چال الریس

عبد رب نوره جبريل فرده القمر الزر زارته وهي سمعة
عنة ابراهيم عليه اسلام العفرد فما كنت قد ارسلنا نحن هنا لبعض
الناس عذرنا لهم اذ ما كسر على خفاف سلة ٥٠ دينار حملها

سـ الـ أـ قـ صـ بـ صـ عـ يـ رـ صـ إـ لـ الـ وـ الـ دـ بـ الـ قـ اـ فـ رـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الترسُّدُ
القُلُّ
الزَّلَّاتُ
خَمْرَآنُ

الأخوان الشَّافعِيُّونَ
جَمِيعُ رَأْسَ الْمُؤْمِنِينَ وَكُلُّ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ
بِسْمِ اللَّهِ الْمُكَبِّرِ الْمُكَبِّرِ
ت. ١٢٠ سَرِيرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ١٣٧٥ هـ

سیسی فنچلر، دارالعلوم زمینه داده است.

کتبہ المسنون دریافت

سرمه کبریارن پنجه داشت اندوزه از عین بندو سرمه بر مانند همان رنگ
نمیباشد و کثیر در بکار نمی رود. سنته والجیب هم از آنهاست و از طرف ای احمد
صاحب اسناد از نامه

الجنة ونيل نعيم سرتدة رئاستها العروس فتحة كرتة دلجزا ابروكوازى لفحة
القبضة ونيل ابروك الالام ونيل ابروك اسيا لم يجتاز منه امر رهانه مهمنه
قرية لذا فضل السبلية الزرعة بتركيا وله اصواته بالجنة ونيل كرتة مصرى جها
نيل بادرة ونيل نهرة اليد ونيل العبرة ونيل ابي بالبلدين للكرس ونيل كرتة طارق

سـ تـنـا - بـصـيـدـهـر - دـلـتـهـ رـالـهـ بـالـقـافـة

بسم الله الرحمن الرحيم

حرسها والله رحيم عز عما يفعله بالمرأة

الكتاب رقم ١٤٦٧ / ١ / ٢

رسالة من أم القرى

رسالة من أم القرى

عمر زوج اثنين اربعين زوج الاول بغير طلاق ناشئاته
والاصحاء يحيى شفاعة منه وظاهر زواجه على فاعلاته المأمور
عليه الحديث والفقه والدينية وآلة المعرفة زوجته
زوجة في مدة النوبة وهي كفارة أمه تزوج زوجة أخرى
ويزيد بحسب ضيقها رسبيه كفارة الصدقة كفارة
لرثى شقيقها راجحة على مبابه في زواجه كفارة
الارتفاع وزاداته ونحوها من ذلك فهم كفارة

البراءة

آخر رسالة للبراءة الرؤوف إلى أبيه



مقاومة انتهت إلى تأليفه وزاراته الثلاثة الأخيرة . . . وكان في المواقف كلها رجل كفاح وصراحة ونزاهة لا ترق إليها ريبة ولا تعلق بها شائبة . من مصر بمثل هذه الواهب والمجايل بها صاحبها هبة صالح لخدمة وطنه وأمت ما وعها محمد محيي الدين خلال هذه السنوات الثلاثة والعشرين في إقدام بحارة ليس كمثلهما إقدام ولا جرأة .

ارتسمت أمام ذهني صورة من هنا التاريخ العاقل هنا الرجل الذي اختاره الله إلى جواره قبل أن يتم الرابعة والستين من سنه فحزنت بشفاقاً على مصر . فلما تنفس الصبح نذكرت في تشيع جنازة الرجل إلى مقبرة الأخير ، وكان قد تقرر أن تقام في الساعة الثالثة بعد الظهر .

وإذ كنت وزير المعارف ، فقد رأى رجال التعليم في أرجاء القاهرة جميعاً أن يشاركون في تشيعه ، كما شارك فيه من رجال الدولة ومن ضيقات التقى جميعاً كل من كان يقدر للرجل زيارة موافقه . وهؤلاء كانوا جنة أهل مصر . خصوصه وأنصاره على سواء . فقد كان الجميع يخلوه ويحترمه وإن خالقه في الرأي . سار حسين سري (باشا) رئيس الوزارة في الصف الأول للمشيدين . وصحبنا جثمان النقيد إلى مقبرة الأخير . فلما ووري التراب التي سري (باشا) كلمة في ناثية ، وأنقبت كلمة وجيرة سكت فيها كل عزيزني وكل ما كانت أكمل للرجل من مودة واحترام .

ونحدثنا في ليالي المتأم عن اختياره رئيساً لحزب الأحرار المستورين خلفاً لـ محمد (باشا) ، ثم انجها جميعاً إلى اختيار عبد العزيز فهمي (باشا) . وتردد الرجل متذرعاً بأنه اعتزل السياسة في فترة ولادته القضاء رئيساً لمحكمة الاستئاف ثم رئيساً لمحكمة النقض بين سنتي ١٩٢٨ وسنة ١٩٣٥ . وقد استنا على تردداته هذا بمحنة أصدقائه فاتته إلى الاتصال وتسلل رئاسة الحزب للمرة الثانية ، بعد أن كان قد تولاها في المرة الأولى في سنة ١٩٢٥ ثم استقال منها في سنة ١٩٢٦ .

• • •

كان الإيجيليز يمثل ثديي الحاسبة ، وبخاصة إزاء ما يبييه بعض ذوى الرأى من المصريين من ميلهم المحورية ، وإزاء بعض العناصر ذات النشاط بين سواد الشعب . وكانت جماعة الإيمان المسلمين قد تألفت قبل ذلك بأعوام قليلة على أنها جماعة دينية تدعو للتخلص بالأخلاق الإسلامية وللأخذ بقواعد الشرع الإسلامي في النظام المصري . وكان الشيخ حسن البنا هو الذى دعا نأتيف هذه الجماعة فكان مرشدنا العام . وكان الشيخ

حسن معلماً للغة العربية في مدرسة الحمدية الابتدائية الأميرية . وقد أبلغت السلطات البريطانية رئيس الوزارة ، حسین سری (باشا) ، أن هذا الرجل يعمل في أوساط جماعته لحساب إيطاليا ورغبت إليه في العمل على الحد من نشاطه . ورأى سری (باشا) أن نقل الرجل من القاهرة إلى بلد ثان بالصعيد يكفل هذا الفرض ، فحدثني في الأمر وطلب إلى نقله إلى قتا . ولم أجده بأساساً يتجاهله طلبه ، فنقل مدرس في مدرسة ابتدائية ليس أمراً ذا بال ، إذ يقع مثله خلال العام الدراسي في كل ستة ولا يتربّ عليه أى أمر .

لكن نقل الشيخ حسن البنا أدى إلى ما لم يؤدّيه نقل مدرس غيره ، فقد جامعني غير واحد من النواب الدستوريين بخاطئي في إعادةه إلى القاهرة ويرجع في ذلك بالحاج . ولما لم أقبل هذا الرجاء ذهب هؤلاء النواب إلى رئيس الحزب ، عبد العزيز فهمي (باشا) ، وطلبوا إليه أن يخاطبني في الأمر . وخاطبني الرجل فذكرت له أن حسین سری (باشا) هو الذي طلب إلى نقل الشيخ حسن البنا بحجّة أن له نشاطاً سياسياً ، وأن النشاط السياسي محظوظ على رجال التعليم كما أنه محظوظ على غيرهم من الموظفين ، وأنني لا مانع عندي من إعادة الرجل إلى مدرسة الحمدية كما كان إذا أبدى سری (باشا) عدم اعتراضه على إعادةه . وخطب عبد العزيز (باشا) سری (باشا) في الأمر وذكر له بالحاج طائفة من النواب الدستوريين ذوى المكانة . ووعد سری (باشا) بإعادة النظر في الموضوع ثم أبدى لي أنه لا يرى مانعاً من إعادة الرجل إلى القاهرة فأعاده .

ثُرى أحسن سری (باشا) في تراجعه هذا أم أساء؟ لعله خشي أن يزداد ضغط النواب جساماً ، وبخاصة حين رأى سؤالاً يقدم إلى البرلمان في هذا الشأن ، فأراد انتقاماً ما قد يجر إليه ذلك من نتائج . لكن الذي لا شبهة فيه أن تراجعه أشرف الشيخ حسن لأن له من القوة ما يسمح له بخضاعة نشاطه من غير أن يعنيه مفهوم ذلك النشاط ، وأن هذا الشعور كان له أثره في تطور جماعة الإخوان المسلمين من بعد .

وكما رغب الإنجليز في الحد من نشاط الشيخ حسن البنا رغبوا كذلك إلى سری (باشا) أن يعمل على الحد من نشاط على ماهر (باشا) . وذهبوا في رغبتهم هذه إلى مثل ما ذهبوا إليه مع حسین صبری (باشا) حين طلبوا اعتقال على (باشا) إذا اقتضى الأمر . ولم يطلع سری (باشا) مجلس الوزراء ، ولا أحسبه أطلع أحداً من الوزراء على هذه الرغبة ، فانا لم أعرف شيئاً عنها إلا حين رأيت مجلة روزاليوسف تنشر خطاباً من سری (باشا) إلى على ماهر (باشا) يطلب إليه ألا يستغل بالسياسة . وقد نشرت المجلة بعد ذلك ردّاً من على (باشا)

المصادر والمراجع

- ١- آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم، د. جابر قميحة.
- ٢- أساس البلاغة، الزمخشري: جار الله محمود بن عمر.
- ٣- الاحتجاج الديني والصراع الطبقي في مصر، د. رفيق حبيب.
- ٤- الأحزاب المصرية من سنة ١٩٢٢م إلى سنة ١٩٥٣م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- ٥- الإخوان المسلمون، ريتشارد ب. ميشيل. ترجمة د. محمود أبي السعود. وبهوامشه تعليقات للأستاذ صالح أبي رقيق.
- ٦- الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ، محمود عبد الحليم.
- ٧- الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، كامل الشريفي.
- ٨- الإخوان المسلمون في ميزان الحق، محمد فريد عبد الخالق.
- ٩- الإخوان المسلمون والمجتمع المصري، محمد شوقي زكي.
- ١٠- الإخوان وأنا، لواء حسن علام.
- ١١- أدب الرسائل في صدر الإسلام، د. جابر قميحة.
- ١٢- الأسلوب، أحمد الشايب.
- ١٣- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني.
- ١٤- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى الحالدي، وعمر فروخ.

- ١٥- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا، د. يوسف القرضاوي.
- ١٦- الترجمة الذاتية في الأدب العربي، د. يحيى إبراهيم.
- ١٧- ١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية، د. عبد العظيم المطعني.
- ١٨- تقرير الحالة الدينية في مصر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.
- ١٩- حسن البنا الرجل القرآني، روبير جاكسون، ترجمة أنور الجندي.
- ٢٠- حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين، محمود الصباغ.
- ٢١- خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه، جمال البنا.
- ٢٢- ذكريات لا مذكرات، عمر التلمساني.
- ٢٣- رياض الصالحين، الإمام يحيى بن شرف النووي.
- ٢٤- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري.
- ٢٥- الزعيم: العبرية والزعامة السياسية، محمد علي الغتيل.
- ٢٦- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، د. عبد الفتاح الخالدي.
- ٢٧- سيد قطب الأديب الناقد، عبد الله الخباص.
- ٢٨- شرح القصائد العشر، الخطيب التبريزى، أبو زكريا يحيى بن علي.
- ٢٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي.

- ٣٠- الشيخ حسن البنا ومدرسة (الإخوان المسلمون)، د. رءوف شلبي.
- ٣١- العمدة "في محسن الشعر وأدابه ونقده"، ابن رشيق: أبو علي الحسن القير沃اني الأزدي.
- ٣٢- في آفاق التعاليم، سعيد حوى.
- ٣٣- في أعقاب الثورة المصرية، عبد الرحمن الرافعي.
- ٣٤- في قافلة (الإخوان المسلمون)، عباس السيسي.
- ٣٥- في مسيرة الحياة، أبو الحسن الندوبي.
- ٣٦- لسان العرب، ابن منظور المصري.
- ٣٧- لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا؟ عبد المتعال الجبري.
- ٣٨- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، حسن البنا.
- ٣٩- مختار الصحاح، الرازى: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر.
- ٤٠- مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا.
- ٤١- مذكرات سائح في الشرق العربي، أبو الحسن الندوبي.
- ٤٢- مذكرات في السياسة المصرية، د. محمد حسين هيكل.
- ٤٣- المصباح المنير، الفيومي: أحمد بن محمد بن علي.
- ٤٤- معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة.
- ٤٥- المعجم الدستوري، أوليفيه دوهاميل - إيف ميني ترجمة منصور القاضي.
- ٤٦- معجم مصطلحات الأدب، د. مجدي وهبة.

- ٤٧- المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي.
- ٤٨- الملهم الموهوب حسن البنا، عمر التلمساني.
- ٤٩- موسوعة السياسة، د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون.
- ٥٠- الموسوعة الشوقية، أحمد شوقي.
- ٥١- الموسوعة العربية العالمية، إصدار الرياض.
- ٥٢- الموسوعة العربية الميسرة.
- ٥٣- موسوعة المورد العربية.
- ٥٤- النظارات والوزارات في مصر "من ٢٨ من أغسطس ١٨٧٨م إلى ١٨ من يونيو ١٩٥٣م"، جمع وترتيب فؤاد كرم.
- ٥٥- النظريات السياسية الإسلامية، د. محمد ضياء الدين الرئيس.
- ٥٦- النقط فوق الحروف: الإخوان المسلمين والنظام الخاص، أحمد عادل كمال.
- ٥٧- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب.
- ٥٨- وهي القلم، مصطفى صادق الرافعي.
- ٥٩- The American Heritage Dictionary.
- ٦٠- The Palestine Diary: Robert John - sami Hadawi.
- ٦١- Zionism and Arabism in Palestine and Israel: Elie Kedourie and Sylvia G. Haim.

الدوريات

١- الأخبار "القاهرة - يومية".

٢- الأدب الإسلامي "الرياض - فصلية".

٣- الدعوة "القاهرة - أسبوعية".

٤- المجتمع "الكويت - أسبوعية".

âââ